إعلام الأتباع في تحقيق توحيد النبي ﷺ بالاتباع

إعداد

وليد ابن سيف النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فخير هدي عرفته البشرية هدي محمد ﷺ، لذا رأيت أن أُسهم في (**مؤتمر: نبي الرحمة**) بشئ يسير في بيان مكانة السنة والحث على اتباعها، وبيان حقيقة الاتباع للنبي ﷺ وسنته، إذ إن اتباع النبي ﷺ، ونشر سنته، والقيام بحق الله فيها هو أعظم سبيل للدفاع عنه ﷺ، فإنه هو الغاية العظمى من كل هذه الجهود المباركة.

وهذا يوجب بيان ما عليه الطوائف المبتدعة بإجمال التي وقفت وقفات شنيعة مشينة في وجه السنة النبوية واتباعها، وقدَّموا لأعداء الإسلام خدمة لم تخطر لهم على قلب.

فالجفاة عن السنة كثيرون، والانحراف في هذا الباب طل بقرنيه، نخراً في جسد الأمة، وكاد أن يفتك بها لولا رسوخ السنة وشموخها، وهم مع ذلك أنواع، وجميعهم يحسبون أنفسهم متبعين، وكلهم يزعم أنه صاحب دعوة الحق، ولم ينكر أحد منهم السنة كلها، بل من أصولهم اتباع السنة والحديث، ولكن يؤمنون ببعض السنة وينكرون بعضاً فأين هم من حقيقة الاتباع؟!

وكل يدَّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

ولست أريد هنا الردَّ على الصَّادين عن السنة من المستشرقين وأذنابهم وشبهاتهم فإن هؤلاء أنكروها من جذورها، وسعوا بكل ما أُوتوا من جدَل في تكذيبها وإنكارها.

وأنا في هذه المقدمة أشير إلى أذناب هؤلاء المستشرقين في العصر الحديث من أمثال: محمد عبده، والدكتور توفيق صدقي، وأحمد أمين، حتى نشر إسماعيل أدهم رسالته سنة (١٣٥٣هـ) وصرَّح فيها بأن أحاديث الصحيحين "ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع"!.

حتى حمل الراية أبو رية ونشر كتبه الضالة والتي منها: "أضواء على السنة المحمدية"، ثم ألّف بعض المعاصرين كتاباً بعنوان: "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، وآخر الكتب كتاباً بعنوان: "كيف نتعامل مع السنة النبوية" لمؤلف آخر مشهور، وهؤلاء لهم أُسوة بقوم سابقين من المعتزلة والروافض ونحوهم من أهل الضلال.

ثم إن بيان زغل المستشرقين وأذنابهم وضلالاهم والرد عليهم يحتاج إلى مؤلفات ومجلدات، وشبهاتهم لم ترج –ولله الحمد– إلا على بعض المتلقفين من هذه الأمة من مدَّعي الثقافة، وقد قام جمع من أهل العلم وطلابه بالردّ عليهم، وشبهاتهم لا تنقضي، وكأن من منهجهم إشغال العلماء وطلاب العلم بالردّ عليهم لضياع أوقاتهم وأعمارهم بذلك، ونحن نشير إلى بعض ما أُلّف في الرد عليهم، وأرى أن معرفة سبيل ومنهج هؤلاء أهم من معرفة الردّ على كل صغيرة وكبيرة يلقونها في الأمة لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام/ ٥٥).

فمن الكتب النافعة في الرد على المستشرقين وأذنابهم والمتأثرين بهم: كتاب: "زوابع في وجه السنة" للشيخ الفاضل صلاح الدين مقبول، وكتاب: "السنة ومكانتها في التشريع" للشيخ السباعي، وكتاب: "الأنوار الكاشفة"، وكتاب: "ظلمات أبي رية" كلاهما للعلامة المعلمي اليماني، و"دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه"، و"دفاع عن السنة" كلاهما للشيخ الدكتور محمد أبوشهبة، وكتاب: "دراسات في الحديث النبوي" للدكتور محمد مصطفى الأعظمي وغيرها.

هذا وسأذكر بعون الله تعالى بعض ما أطلعت عليه من كلام قيم لأهل العلم في حقيقة الاتباع، وحقيقة مخالفيه.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى أربعة فصول، وخاتمة:

الفصل الأول: عظم شأن الاتباع.

وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقدمة في حقيقة الاتباع، وبيان أنه نوع من التوحيد.

المبحث الثاني: مكانة السنة ومنزلتها وكيف انتفع السلف بها، وتعاملوا معها.

المبحث الثالث: أهل الحديث هم أهل الاتباع حقاً وصدقاً.

الفصل الثاني: الأمر بالاتباع وثماره اليانعة، وما يترتب على التهاون به.

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: أهمية وثمار الاتباع.

المبحث الثاني: الآثار السيئة المترتبة على ترك الاتباع في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث: عوائق في وجه الاتباع.

الفصل الرابع: الأسباب المعينة على الاتباع.

الخاتمة

هذا والله تعالى أسأل أن يرزقنا السداد في القول والعمل، وأن يمن علينا بحسن الاتباع إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اكتبه

وليد ابن سيف النصر

الفصل الأول

عِظم شأن الاتّباع

مما لا شك فيه أن اتباع النبي ﷺ له حقيقة طالما غفل عنها كثير من الناس ، وادَّعى كثير منهم الاتباع ولكنه لا يعلم حقيقته، أو لا يحسنه، بل قد يقف في وجهه ويصد عنه، ويحسب أنه يحسن صنعاً وأنه من أفضل الناس اتباعاً، وأنه أولى الناس به ^، وفيما يأتي بيان لقدر الاتباع وأهميته، ولنرى كيف علم السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان حقيقته، وكيف قاموا به على الوجه الأكمل، وكانوا قدوة صالحة، وأسوة حسنة لمن جاء بعدهم كما يأتي بعض الأمثلة لذلك.

المبحث الأول: **توحيد اتّباع النَّبي ﷺ**

إن الكلام على قضية اتّباع النَّبي ﷺ مهم جداً لأن الإيمان بذلك، هو من مقتضيات الشطر الثاني من الشهادتين، وهو من التوحيَد الذي شرعه الله تعالى لعباده، ولا يصح عمل ولا يقبل إلا بشرطين هما الإخلاص لله تعالى، وموافقة سنة النبي ﷺ.

وعلى الرغْم من كثرة النصوص المنقولة في هذه المسألة، ووضوحها في الكتاب والسنة، وبيان أهل العلم من السلف والخلف لها، ثم أبرز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله جميعاً.

فإننا نرى تقصير البعض في اتّباع السنة، وليس معنى قولنا بتوحيد الاتباع يعني أنه قسيم لأنواع التوحيد الثلاثة المشهورة، فإن هذه الأنَواع متعلقة بتوحيدنا لربنا عز وجل، وأما توحيد الاتباع متعلق بالنَّبي

ﷺ وإفراده دون من سواه من البشر بالاتباع، والانقياد لأمره، ولا يتحقق التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بالاتباع للنبي ﷺ، والرجوع إلى سنته الصحيحة.

أما التقليد، وتقديم آراء وأقوال الرجال في العقائد والتحليل والتحريم ونحوه، على قول النبي ﷺ فإنه قادح في الإيمان، وثالم فيه قال **أبوعمر ابن عبد البر**: قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١)، وصح عن **حذيفة وغيره** قال: "لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلُّوا لهم، وحرَّموا عليهم فاتَّبعوهم". [**حسن**: رواه ابن جرير (١١٤/١٠)، فإنه أثر في تفسير الآية، وقد قال بعضهم: إن تفسير الصحابي له حكم المرفوع ، وله شاهد من حديث عدي رواه الترمذي (٣٠٩٥)، حسنه شيخنا الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٧١)].

وقال **الشافعي** رحمه الله: "من قلَّد معيَّناً في تحريم شئ أو تحليله وقد ثبت الحديث الصحيح على خلافه، ومنعه التَّقْليدُ عن العمل بالسنة، فقد اتخذ من قلَّده رباً من دون الله تعالى، يُحل له ما حرَّم الله، ويُحرِم عليه ما أحلَّ الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون". [هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان (ص٦٩)، ومثله عن الشوكاني في "فتح القدير" (٣٤٨/١)]. وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (النساء/ ٦٥). وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد/٣٣). وقال **أبوالقاسم الأصبهاني**: "قال بعض علماء السنة: كل من صح عنده شئ من أمر رسول الله ﷺ ، ونهيه بلا معارض له يعرفه من حديثه، أو ناسخ له ثم قال: قال رسول الله كذا، وأنا أقول بخلافه، فقد تكلم بعظيم... فمن قَبِل عن النبي ﷺ فإنما يقبل عن الله، ومن ردَّ عليه فإنما يردُّ على الله، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ (النساء/٨٠). [الحجة في بيان المحجة (٣٩٧/٢)].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ (الكوثر/ ٣) : "فالحذر الحذر من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك، أو

لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو الدنيا... **فلو خالف العبدُ جميعَ الخلقِ، واتبع الرسول ﷺ ما سأله الله عن مخالفة أحد** ... فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدع، تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل **لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله** والله أعلم". [مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)].

وقال أيضاً **ابن القيم**:

قَدّر رسولَ الله عندك وحدَه ... والقولُ منه إليكَ ذو تبيـان
ماذَا ترى فرضاً عليك معيَّناً ... إن كنت ذا عقلٍ وذا إيمـانَ
عرضَ الذي قالوا على أقواله ... أو عكس ذاك فذانك الأمرَان
هي مفرقُ الطرقات بين طريقـ ... ـنا وطريق أهلِ الزيغ والعدوان
قَدّر مقالاتَ العباد جميعهم ... عدماً وراجع مطلع الإيمـان[1].

وقال **الإمام ابن القيم**، وكذا **ابن أبي العز الحنفي** شارح الطحاوية رحمهما الله: "**توحيدان**، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل (سبحانه وتعالى)، **وتوحيد متابعة الرسول**، فلا يُحاكَم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف في تنفيذ أمره، وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفَّذه، وقَبِل خبره، وإلا فإن طلب **السلامة**: أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلا حرَّفه عن مواضعه، وسمَّى تحريفه: تأويلاً، وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله. **فلأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب على الإطلاق – ما خلا الشرك بالله– خير له من أن يلقاه بهذه الحال**".[تهذيب مدارج السالكين (ص٤٥١/ط الأوقاف بالإمارات)، و"شرح الطحاوية" (/ص٢١٧ ط المكتب الإسلامي)، وكتاب: "الاتباع" لابن أبي العز (ص٧٩، ٨٠)، وينظر "جهود علماء الحنفية" (١٠٥/١: ١٠٦) لشمس الأفغاني رحمه الله]. **وقد**

---

(١) شرح القصيدة النونية (٢١٨/٢)، وينظر ما قاله ابن جرير رحمه الله في قوله: ﴿ **رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة/١٢٨): «يعنيان بذلك: واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك». (تفسير ابن جرير٥٦٦/٢).

سئل شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله: "عن سؤال يتعلق بأقسام التوحيد وأنواعه[٢] فقال: "هذا مأخوذ من الاستقراء، لأن العلماء لما استقرؤوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، **وزاد بعضهم نوعاً رابعاً هو توحيد المتابعة**، وهذا كله بالاستقراء. .... ويجد آيات تدل على وجوب اتباع الرسول ﷺ ورفض ما خالف شرعه، وهذا **هو توحيد المتابعة، فهذا قد عُلم بالاستقراء وتتبع الآيات ودراسة السنة** ...." . [مجموع الفتاوى لابن باز (١/٨٤: ٨٧)]. **وقال الشيخ العلامةَ تقي الدين الهلالي** رحمه الله: «فمن اتخذا شخصاً غير معصوم يجتنب كل ما نهاه عنه ويمتثل كل ما أمره به، فقد اتخذ مع الله إلهاً آخر». (سبيل الرشاد١/١٥٤). **وقال الأخ محمد عبدالوهاب الوصابي** حفظه الله: "سألت عنه (أي: **توحيد المتابعة**) **الشيخ الألباني** يرحمه الله تعالى حين التقيت به فأكد من شأنه وقال: بأنه ممن يدعو إليه"، وسألت عنه **الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي** –رحمه الله– فأكد من شأنه وقال: اثبت ولا تبال بهم". [القول المفيد في أدلة التوحيد (ص٨٥)]. "وقال **شيخنا العلامة الألباني** رحمه الله: "واعلم أيها الأخ المسلم! أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله؛ إلا بتوحيد الله تعالى في عبادته دون سواه ، **وبإفراد النبي ﷺ بالاتباع دون غيره من عباد الله**؛ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(النساء/ ٨٠)، وقوله: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾(آل عمران/٣١)، وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى كان حياً ما وسعه إلا اتّباعي**».(حسن) **قلت**: فإذا كان مثل موسى كليم الله لا يسعه أن يتبع غير النبي ﷺ، فهل يسع ذلك غيره؟! فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي ﷺ في الاتباع، وهو من لوازم شهادة " أن محمداً رسول الله " ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه ﷺ – دون سواه – دليلاً على حب الله إياه" (من مقدمة تحريم آلات الطرب/ص١٦). وقد يسميه بعضهم **بتوحيد الطريق** كما في نونية ابن القيم (ص١٥٧). وقال **فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ** حفظه الله: "قد يقْسم التوحيد عند طائفة من أهل العلم إلى أربعة أقسام ويجعلون الرابع توحيد المتابعة؛ يعني متابعة النبي ﷺ، وهم يقصدون بهذا التقسيم ما دلّت عليه الشهادتان، فإذا قالوا (توحيد الله) قالوا ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وإذا قالوا (التوحيد) بدون الإضافة إلى الله –عز وجل–، جعلوه أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله – عز وجل –، والرابع هو : توحيد المتابعة للنبي ﷺ، لأنه لا يتَّبع في التشريع غير المصطفى ﷺ" . (تفريغ شرح الطحاوية١/١٢ من "المكتبة الشاملة"، وكذا

---

(٢) **تنبيه**: ولا نقول، بإفراد ما يسمى بتوحيد الحاكمية، كما قال بعض من لا علم عنده، فإنهم جعلوه قسيماً لأنواع التوحيد الثلاثة لجهلهم بحقيقة أمر التوحيد، أو غفلتهم، أو لغلوهم في مسألة الحكم والتحاكم، والتحكيم، فإن ذلك داخل في جميع أنواع التوحيد بحسب المقصد من الحاكمية المذكورة.

شرحه للعقيدة الواسطية ١٣/١). وهو مع هذا مستلزم لتوحيد الإلهية، إذ لا يمكن أن نعبد الله حق عبادته إلا بما جاء عن النبي ﷺ.

المبحث الثاني: مكانة السنة ومنزلتها وكيف انتفع السلفُ بها، وتعاملوا معها

منْزلة السنة في الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل/٤٤)، فبين ﷺ كتابَ ربه بالسنة، قولاً وفعلاً وتقريراً، أتمَّ بيان، وتركنا على مثل البيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عَنها إلاَ هالك.

فالسنة وحياة النبي ﷺ وسيرته، وأخلاقه، وآدابه، إذن توضيح، وتفسير للقرآن الكريم، فهي بيان لمجمله(٣)، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم/٣، ٤)، فلا يجوز والحالة هذه أن تضرب السنة بالقرآن، أو يتوقف عن

(٣) قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "والبيان منه ﷺ على ضربين:

١ - بيان المجمل في الكتاب: كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي يؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحج، قال ﷺ إذ حج الناس: «**خذوا عني مناسككم**». رواه مسلم (١٢٩٧).

٢ - وبيان آخر: وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، إلى أشياء يطول ذكرها.

وقد أمر الله عز وجل بطاعته –أي طاعة نبيه– واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يقيد بشيء، ولم يقل: ما وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ". "صحيح جامع بيان العلم" (ص٤٨٧).

العمل بها حتى ينظر فيه، هل هي موافقة لظواهر الكتاب أم لا؟ وهل قال بها أحد من العلماء بعدها أم لا؟ وهل توافق القياس والمعقول أم لا؟ إذ كله وحي.

وقد جاء في حديث المقدام بن معدي كَرب عن النبي ﷺ: «**ألا إني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه ألا إني أوتيتَ القرآنَ ومثلَه، ألا إنَه يوشكَ رجل شبعان على أريكته يَقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**» وفي رواية: «**ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**». [صحيح سنن أبي داود (٣٨٤٨)]. وعن أبي نضرة قال : كنا عند **عمران بن حصين** رضي الله عنه فجعل يحدثنا فقال رجل . فكأنه كره الحديث عن رسول الله ﷺ . حدثنا عن كتاب الله: فغضب عمران وقال: "إنك أحمق، ذكر الله الزكاة في كتابه فأين في مئتين خمسة دراهم؟، وذكر الصلاة في كتابه فأين الظهر أربعاً؟، ... **إنما يحكم ما هناك وتفسره السنة**". [**صحيح**: خرجته في "الشريعة" (١٠٤)] .

وعن أمية أنه سأل **ابن عمر** فقال: يا أبا عبد الرحمن إنَّا نجد صلاة الحضر في القرآن، وصلاة الخوف فأخبرني عن صلاة السفر، فإنا لا نجده في القرآن!.

فقال **ابن عمر**: "يا ابن أخي إن الله بعث محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً فإنَّا نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل"(٤).

فقد قال علقمة بن قيس: قال **ابن مسعود** -رضي الله عنه-: «**لعن الله الواشمات والمتوشمات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**».

فبلغ ذلك امرأة ، يقال لها أم يعقوب، كانت تقرأ القرآن فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك، أنك لعنت الواشمات.....، فقال **ابن مسعود**: "ومالي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ ، وهو في كتاب الله"، فقالت: لقد قرأت القرآنَ بين لوحي المصحف فما

(٤) ذم الكلام (٢/ ١٦٣).

وجدتُ هذا، فقال عبدالله: "لئن كنت قرأتيه قد وجدتيه، ثم قرأ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(الحشر/ ٧)[٥].

وقال **سعد بن معاذ**: "ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً قط إلا علمت أنه حق من الله"[٦].

عن **حماد بن زيد** عن أيوب قال رجل لمطَرِف بن عبدالله بن الشّخّير: إنا نريد كتاب الله، فقال **مطرف**: «إنا لا نريد بكتاب الله بديلاً، ولكن نريد من هو أعلَمَ به منا». [**صحيح**: ينظر "صحيح جامع بيان العلم" (ح١٦٩٨)].

قال **حماد بن زيد**: "حرمة أحاديث رسول الله ﷺ كحرمة كتاب الله تعالى".(رواه البيهقي في المدخل٢/١٩١).

ثم قال البيهقي: «وإنما أراد في معرفة حقها، وتعظيم حرمتها، وفرض اتباعها.

وعن أبي موسى عن المعتمر بن سليمان التيمي أنه قال: «أحاديث النبي ﷺ كالتنزيل».

قال أبو موسى: يعني في الاستعمال، يستعمل سنة رسول الله ﷺ كما يستعمل كتاب الله عز وجل. (ذم الكلام/٢٣٣).

قال **الإمام الشافعي**: "وتقام سنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله -عز وجل- مقام البيان عن الله -عز وجل- وليس شئ من سنن رسول الله ﷺ يخالف كتاب الله في حال، لأن الله تعالى قد أعلم خلقه أن رسوله ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم". (الرسالة/). وعن **مكحول** قال: "القرآن إلى السنة، أحوج من السنة إلى القرآن"، [**إسناده صحيح** : رواه ابن عبد البر "جامع بيان العلم" (ح٢٣٥٢)] وقال **أبو القاسم الأصبهاني**: "ومن قال: تعرض السنة على القرآن فإن وافقت ظاهره، وإلا استعملنا ظاهر القرآن، وتركنا الحديث، فهذا جهل، وقد قصَّ الله علينا أن ننتهي إلى سنة نبيه، وليس لنا معها من الأمر شئ إلا التسليم لها

---

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (ح٤٨٨٦)، ومسلم (ح٢١٢٥).

(٦) **صحيح**: جامع بيان العلم (ح١٧٠٧).

وإتباعها" [الحجة (٢/٣٠٦)]. وقول **أيوب السَّختياني**: "إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا وحدثنا عن القرآن فاعلم أنه ضال". [الحجة (٢/٤٩٤)].

تسليم السلف لنصوص الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء/ ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(الأحزاب/ ٣٦). عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا» قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: لَاهَا اللهِ إِذًا مَا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟!.

قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ،** (وفي رواية: قَالَتِ الْفَتَاةُ مِنْ خِدْرِهَا : مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمَا ؟ قَالا : رَسُولُ الله ﷺ قَالَتْ: **أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَمْرَهُ** [﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(الأحزاب/ ٣٦) كما في الاستيعاب لابن عبدالبر]، **ادْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَنِي**) فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا وَقَالَا: صَدَقْتِ فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ**» فَزَوَّجَهَا ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ.

فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ قَالَ أَنَسٌ: (فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ).

وفي رواية: (قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ : هَلْ تَدْرِي مَا دَعَا لَهَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ : وَمَا دَعَا بِهِ قَالَ : «**اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهِمَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلا تَجْعَلْ عَيْشَهُمَا كَدًّا كَدًّا**». [صحيح: رواه أحمد٣/ ١٣٦، ٤/ ٤٢٢، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني/ ٢٣٦١) من حديث أبي برزة الأسلمي].

وفي حديث صلح الحديبية، قَالَ سُهَيْلٌ (يعني: ابن عمرو): وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟!.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ**».

قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**» قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «**بَلَى فَافْعَلْ**».

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ.

قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟!. قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي**» قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟. قَالَ: «**بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ**»، قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟!.

قَالَ: **أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.**

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا.

[**متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٥)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه (في رواية:استطلَقَ بطنُهُ)، فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه الثانية فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه الثالثة فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه فقال: فعلت، (وفي رواية: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً)، فقال: «**صدق الله وكذبت بطن أخيك، اسقه عسلاً**»، فسقاه، فبرأ. [رواه البخاري (ح٥٦٨٤)، والزيادات برقم (٥٧١٦)] وقد تحدث **أبو معاوية** بحديث أبي هريرة «**احتج آدم وموسى**» في مجلس هارون الرشيد، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ فوثب به هارون وقال: يحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارضه بكيف؟!! أ.هـ [عقيدة أصحاب الحديث (ص١٢٩)]، وقد خاب وخسر من عارض الحديث بشبهة لِمَ وكيف!! قال **شارح الطحاوية** رحمه الله: "فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحِّده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحد المرْسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل". [شرح الطحاوية (ص٢٠٠)]، وقد وردت أدلة كثيرة في هذا المعنى اكتفينا بما ذكرنا اختصاراً.

سرعة الاستجابة لله ورسوله:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنفال/ ٢٤).

فعن أبي سعيد ابن المعلَّى قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت، قال: «**ما منعك أن تأتيني**»، قال: قلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي قال: «**ألم يقل الله تعالى**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾»، وفي رواية: (قال: "بلى يا رسول الله ولا أعود"). [رواه البخاري (ح٤٦٤٧)]

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار، فأرسل إليه، **فخرج ورأسه يقطر**، فقال: «**لعلنا أعجلناك؟**»، قال: نعم يا رسول الله!...". [رواه مسلم (ح٣٤٥)] **قلت**: فهذا كان في حال جماعه مع أهله فلما دعاه ﷺ استجاب له وهو على هذه الحال ولم ينتظر حتى يفرغ من قضاء وطره. وعن سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال: قال لي أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «**أيما رجل أعتق إمرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار**».قال **سعيد بن مرجانة**: فانطلقت به إلى **علي بن الحسين**، فعمد علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبد له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار- فأعتقه. [رواه البخاري (٢٥١٧)]، وفي قصة الإفك، وما قاله مسطح في عائشة واتهامه لها بالفاحشة، وحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ ﴾، يعني: مسطحاً، إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور/ ٢٢)، حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا، إنا نحب أن تغفرَ لنا، وعاد له بما كان يصنع"[٧].

وقال **ابن عباس** استأذن الحر بن قيس لعيينة بن حصن ليدخل على عمر، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به.فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف/ ١٩٩)، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، **وكان وقَّافاً عند كتاب الله**". (متفق عليه).

عدم التقدم بين يدي الكتاب والسنة بقول أو فعل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(الحجرات/ ١).

قال **ابن عباس**: "لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"، (تفسير الطبري١٦/ ١١٦) والهروي في (ذم الكلام/ ٢٧٤).وعن **مجاهد**: "لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشئ حتى يقضيه الله على لسانه". (ذم الكلام/ ٥٦٤)، والطبري (٢٦/ ١١٦)، البيهقي (الشعب/ ١٥١٦). وقال **ابن القيم** رحمه الله: «أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه ... والقول الجامع في معنى الآية لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل». (إعلام الموقعين١/ ٥١).

و**قال أيضاً**: « يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال

---

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم ().

القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها.

وأعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقه وجله هو ما جاء به الرسول ﷺ فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (الحجرات / ١) أي لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر»(إغاثة اللهفان١/ ٨)، **وقال أيضاً**: «وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ **فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته** ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم»(مدارج السالكين٢/ ٣٨٩).

لذلك كان من منهج وعقيدة أهل السنة، استدل ثم اعتقد، وأما أهل البدع فيقدِّمون أهواءهم وما يشتهون، ثم يبحثون عما يوافق أهواءهم من النصوص.

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «كيف بمن يقدم كلامه على كلام الرسول؟ وأما المؤمنون بما جاء به فلا يتصور أن يقدموا أقوالهم على قوله بل قد أدبهم الله بقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾». (درأ تعارض العقل مع النقل٣/ ٣).

قال **ابن القيم** رحمه الله: «وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾(الحجرات/ ٢)، فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٍ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(النور/ ٦٢)، فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه» (إعلام الموقعين١/ ٥١). وقال **عمر**: "تفقهوا قبل أن تسودوا". رواه البخاري معلقاً مجزوماً به.

تعظيم السلف للنَّبيِّ ﷺ وسنته والانتصار لها:

قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾(الفتح/ ٩). عن قتادة: «أمر بتفخيمه، وتسويده، وتشريفه، وتعظيمه». (تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر/ ٧٣٧).

تعظيم شخص النبي ﷺ:

فعن أنس قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيتَ عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ؟، قال: فانطلقَ إليه، وركِبَ حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرضٌ سَبَخةٌ، فلما أتاه النَّبِيّ ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حِمارِكَ.

فقال رجل من الأنصار: واللهَ! لحمارُ رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك، قال: فغضب لعبدالله رجل من قومه، قال فغضب لكل واحد منهما أصحابُهُ، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال". [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْشُرْهَا، لأَبِي طَلْحَةَ فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: «يَا نَبِيَّ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لاَ تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، **نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**». متفق عليه.

وفي قصة صلح الحديبية: «قَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ قَالُوا بَلَى قَالَ أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَلْ تَتَّهِمُونِي قَالُوا: لَا قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي

قَالُوا: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ قَالُوا ائْتِهِ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ.

فَقَالَ: عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْبَاشًا مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ .

فَقَالَ لَهُ **أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**: «امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ! أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟!.

فَقَالَ: مَنْ ذَا قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ **وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ** قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: **فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.**

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ وَاللهِ **لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا** وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ... متفق عليه.

وعن أسامة بن شريك – رضي الله عنهما – قال : «أتيتُ رسول الله ﷺ **وأصحابُه حولَه ، وعليهم السَّكِينَةُ ، كأنما على رؤوسِهم الطيرُ** ، فسلَّمتُ ، ثم قعدتُ ، فجاءت الأعرابُ من ها هنا وها هنا يسألونه ، فقالوا : يا رسول الله، أنَتَدَاوَى؟ قال: تَدَاوَوْا ، فإن الله تعالى لم يَضَعْ داءًا إلا وضع له دواءًا ، غيرَ داء واحد ، وهو الهرمُ» [(صحيح) أخرجه أبو داود (٥٦٢٨)].

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ فَقُلْتُ لِابْنِي هَذَا وَاللهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ ابْنِي **يَرْتَعِدُ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ**...»

[**صحيح الإسناد**: رواه أحمد (٤٥/ ٢١٦)].

تعظيم سنَّة النَّبي ﷺ:

وفي الحديث أن **أبا جعفر الباقر** كان عند **جابر بن عبد الله** هو وأبوه وعنده قوم فسألوه عن غسل النَّبِيّ ﷺ فقال: يكفيك صاع فقال رجل: ما يكفيني فقال جابر: "كان يكفي من هو أوفى منك شعراً، وخير منك"(٨).

عن معاذة العدوية أن امرأة سألت **عائشة** فقالت: أتقضي إحدانا الصلاة أيام حيضها؟(وفي رواية: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟) فقالت **عائشة**: أحرورية أنت؟ قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ﷺ، ثم لا تؤمر بقضاء. وفي

(٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (ح٢٥٢)، ومسلم (ح٣٢٩).

رواية: (كان يُصيبُنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة). [متفق عليه (البخاري/ ٣٢١)(مسلم/ ٣٣٥)].

وفي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها**» قال : فقال بلال بن عبد الله ابن عمر: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبدالله فسبه سباً سيئاً، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : والله لنمنعهن؟!. [متفق عليه، واللفظ لمسلم]. عن عبد الله بن مغفل أنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تخذف فإن رسول الله ﷺ: «**نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف**» وقال: «**إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسرُ السِّنَّ، وتفقأ العين**». ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟! لا أكلمك كذا وكذا". متفق عليه

وعن عمرو بن دينار عن سالم أنه ذكر قول عمر في الطيب (يعني عند الإحرام) ثم قال: قالت **عائشة**: "كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم..."، قال **سالم**: "سنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع". [فتح الباري (٣/ ٤٦٥)]، وقد بلغ **عمر** أن رجلاً يصوم الدهر، فأتاه فعلاه بالدِّرة وجعل يقول: "كُلْ يا دهريّ". [صحيح: رواه ابن أبي شيبة (ح٩٥٥٦)] وعن عبدالرحمن بن أبي نعم أنه كان يصوم الدهر، فقال **عمرو بن ميمون**: "لو رأى هذا أصحابُ محمدٍ لرجموه". ["فتح الباري" (٤/ ٢٦١)] وعن أبي قتادة قال كنا عند عِمران بن حُصَيْن في رهط منا وفينا بُشير بن كعب فحدثنا عمرانُ يومئذٍ قال رسول الله ﷺ: «**الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**» قال أو قال: «**الحياءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**» فقال بُشَيْر بن كعب: إنا لَنَجِدُ في بعض الكتبِ أو الحكمة أنَّ منه سكينةً ووقاراً لله، ومنه ضعف قال: فغضب عمرانُ حتى احمرَّت عيناه وقال: ألا أُراني أُحَدِّثُكَ عن رسولِ اللهِ ﷺ وتعارضُ فيه؟!. [رواه مسلم (٢/ ١٠-ح٣٧)]

قلت: وقد أنكر الصحابة على كل من خالف الحديث لشبهة عرضت له، ولم يسلم للنص تسليماً.

وعن **ابن أبي ذئب** أنه حدث عن رسول الله ﷺ بحديث فقال له رجل: يا أبا الحارث أتأخذ بهذا ؟ فضرب صدره وصاح عليه صياحاً كثيراً ونال منه وقال: أحدِّثُك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟ نعم آخذ به وذلك فرضٌ عليَّ وعلى من سمعه إن الله تبارك وتعالى اختار محمداً من الناس فهداهم به، وعلى يديه واختار لهم ما اختار له على لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك. قال:وما سكت حتى تمنى أن يسكت. [الحجة (١/ ٢٤٥)] يراجع زيادة على ذلك كتاب: (إيقاظ الهمة لاتباع نبي لأمة/ص٩٢: ١٥١).

وعن **محمد بن إسحاق بن خزيمة** قال: قلت **لأحمد بن نصر- المقرئ النيسابوري-** وحدث بخبر عن النَّبِيّ ﷺ: أتأخذ به ؟فقال: "أترى على وسطي زِنَّاراً؟ لا تقل بخبر النَّبِيّ ﷺ أتأخذ به؟ وقل أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن النَّبِيّ ﷺ قلتُ به شئتُ أم أبيتُ"(٩). قال البخاري رحمه الله: سمعت الحميدي يقول: كنا عند **الشافعي** رحمه الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل **للشافعي** : ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بِيَعَةٍ! ترى على وسطي زُنَّاراً؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!. رواه البيهقي في مناقب الشافعي (ص:٤٧٤)، وانظر : مناقب الشافعى للرازى (ص ٣١٧) ، "ذم الكلام وأهله" (٣/ ١٣).

وقال الهيثم بن جميل: قلت **لمالك**: إن عندنا قوماً وضعوا كتباً يقول أحدهم: حدثنا فلان عن فلان عن عمر بكذا، وكذا فلان عن إبراهيم بكذا، ونأخذ بقول إبراهيم.

قال **مالك**: وصح عندهم قول عمر؟، قلت: إنما هي رواية، كما صح عندهم قول إبراهيم. فقال مالك: هؤلاء يستتابون.

---

(٩) ذم الكلام (٢/١٧٥).

قال **ابن القيم**: فإذا كان تارك قول عمر يستتاب، فكيف من ترك قول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ بقول من هو دون إبراهيم النخعي أو مثله؟!![١٠].

وقال **الطحاوي** رحمه الله تعالى: "وطريق أهل السنة: ألا يعدلوا عن النَّص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول ولا قول فلان".

وقال **الشيخ سليمان بن عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** رحمهم الله تعالى جميعاً: ....**يجب اتباع النص، فإذا أفتى بعض المفتين بخلافها، وعارض الأحاديث بكلام الشيخ، وكلام ابن عباس رضي الله عنهما أجيب بما أجاب به ابنُ عباس لمن خالفه في مسألة المتعة حيث يقول: "يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر،** [صحيح: رواه ابن عبدالبر (جامع بيان العلم٢/ ١٩٦)، والخطيب في (الفقيه والمتفقه١/ ١٤٥)]، وهذا أبلغ في الزجر عن مخالفة النصوص لقول بعض العلماء قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النور/ ٦٣).

فالواجب فيما تنازع فيه العلماء رده إلى الله والرسول، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى/ ١٠)، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(النساء/ ٥٩).

فإذا وجدنا مسألة قد اختلف العلماء فيها **وجب علينا الرد إلى النصوص، فما وافق النصوص وجب الأخذ به، وما خالفها وجب رده إليها، وأما تركها لقول بعض العلماء**

---

(١٠) إعلام الموقعين (١٨٢/٢).

والتعليل بأنهم أعلم منا بمعانيها فلا يجوز، بل **هذا عين التقليد المذموم الذي أنكره شيخنا رحمه الله تعالى كما أنكره العلماء قبله** والله سبحانه وتعالى أعلم"[١١].

تنبيه مهم يتعلق بالغلو في التعظيم:

تبيَّن مما سبق ببعض الأمثلة كيف عظم السلفُ النَّبيَّ ﷺ، ووقَّروه، وقدموا سنته، ورفعوها، وشددوا النكير على من خالفها تعظيماً لها، وقد جاء من بعدهم فغلوا وجفوا، وادعوا محبة النبيّ ﷺ فرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل وهي منزلة العبودية الكاملة، وأضفوا عليه بعض أو كل صفات الربوبية عياذاً بالله من ذلك غلواً وإطراءً.

وقد ورد النهي عن هذا في كتاب الله تعالى، فتركوا ما أُمِروا به من حقه وأهم ذلك: اتباعه ﷺ، والتأدب معه بلزوم سنته، وعدم إطرائه، وخالفوا أمر الله تعالى، وأمر رسوله في ذلك وتجاوزوا الحد الشرعي، والحق المرعي، وفعلوا ما نهاهم الله عنه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(المائدة/ ٧٧).

وفعلوا ما نهى عنه النبي ﷺ: فعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا تطروني**[١٢] **كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه**»[١٣].

قال **العلامة الألباني** رحمه الله: « فعلى المسلم تحقيق الأمر، ومنابذة الشيطان عدو الإنسان اللدود بالعداء ليس غير، ومع هذا التحذير الشديد من الغلو في الدين، وقع المسلمون فيه مع الأسف، واتبعوا سنن أهل الكتاب، فإن المراد منه: لا تمدحوني مطلقاً، وهو

---

(١١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٤٩٦).

(١٢) **الإطراء**: هو حسن الثناء أي لا تبالغوا في مدحي، ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله كما بالغت النصارى في مدح عيسى عليه السلام فجعلوه إلهاً أو ابن إله.

(١٣) **رواه البخاري**: (٣٤٤٥) والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وأحمد (١/ ٢٣ و٢٤، ٥٥).

من معاني الإطراء لغة، وهو وإن كان جائزاً في الأصل، فقد ينهى عن مثله من باب سد الذريعة، كما هو معلوم من علم الأصول، فإن فتح باب المدح قد يؤدي إلى مخالفة الشرع كما هو مشاهد في الواقع، إما جهلاً، وإما غلواً، ألا ترى معي إلى ما قال بعضهم في مدحه ﷺ:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم.

كيف أوصله إلى أن قال فيه ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا الشاعر الذي يعظِّمه كثير من المسلمين، ويترنمون بقصيدته هذه المشهورة بالبردة، ويتبركون بها، وينشدونها في الموالد وبعض مجالس الوعظ والعلم، ويعدُّون ذلك قربة إلى الله تبارك وتعالى، ودليلاً على محبتهم نبيهم ﷺ، أقول: هذا الشاعر قد ظنَّ النهي الوارد في الحديث السابق مُنْصبّاً فقط على الادّعاء بأنَّ محمداً ﷺ ابن الله، فنهى عن هذه القولة، ودعا إلى القول بأي شيء آخر مهما كان! وهذا غلط بالغ وضلال مبين.

وبيان ذلك أن للإطراء المنهي عنه في الحديث معنيين اثنين، أولها مطلق المدح، وثانيهما المدح المجاوز للحد،وعلى هذا فيمكن أن يكون المراد من الحديث النهي عن مدحه ﷺ مطلقاً، من باب سد الذريعة، كما هو معلوم من علم الأصول، فإن فتح باب المدح قد يؤدي إلى مخالفة الشرع كما هو مشاهد في الواقع، إما جهلاً، وإما غلواً.

ويكتفى باصطفاء الله تعالى له نبياً ورسولاً، وحبيباً وخليلاً، وبما أثنى سبحانه عليه في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤)، إذ ماذا يمكن للبشر أن يقولوا فيه بعد قول الله تبارك وتعالى هذا؟ وما قيمة أي كلام يقولونه أمام شهادة الله تعالى هذه؟ وإن أعظم مدح له ﷺ أن نقول فيه ما قال ربنا عز وجل: إنه عبد له ورسول، فتلك أكبر تزكية له ﷺ، وليس فيها إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وقد وصفه ربنا سبحانه وهو في أعلى درجاته، وأرفع تكريم من الله تعالى له، وذلك حينما أسري وعرج به إلى السماوات العلى، حيث أراه من آيات

ربه الكبرى، وصفه حينذاك بالعبودية فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ﴾(الإسراء:١).

ويمكن أن يكون المراد: لا تبالغوا في مدحي، فتصفوني بأكثر مما أستحقه، وتضعوا عليَّ بعض خصائص الله تبارك وتعالى.

ولعل الأرجح في الحديث المعنى الأول لأمرين اثنين:

أولهما تمام الحديث، إذ فيه قوله ﷺ: «**فقولوا عبد الله ورسوله**» أي اكتفوا بما وصفني به الله عز وجل من اختياري عبداً له ورسولاً، **وثانيهما** ما عقد بعض أئمة الحديث له من الترجمة، فأورده الإمام الترمذي مثلاً تحت عنوان: "باب تواضع النبي ﷺ" فحملُ الحديث على النهي عن المدح المطلق هو الذي ينسجم مع معنى التواضع ويأتلف معه.

ومثل هذا المدح كثير فيما يسمونه بالأناشيد الدينية، فنهيه ﷺ أمته عن مدحه بما هو جائز أصلاً خشية وقوع المادح فيما لا يجوز.

وأين هذا مما يصفه بعض المسلمين اليوم فيما يسمونه بالموالد وغيرها مما لم يكن معروفاً عند السلف الصالح، كقولهم: إنه نور. وإنه أول خلق الله، وأن جبريل كان خادمه ليلة الإسراء، ونحو ذلك من المماديح والأباطيل. فاعتبروا يا أولي الأبصار"ا-هـ[١٤].

ومما يؤيد ذلك ما ورد عن عبدالله بن الشِّخِّير قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺفِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ: أَنْتَ وَالِدُنَا ، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلاً، وَأَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلاً، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْغَرَّاءُ قَالَ ﷺ:

«**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ لا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»[١٥].

---

(١٤) مختصر الشمائل المحمدية (ص١٧٥)، التوسل (ص٨٣: ٨٨ ط الدار السلفية)، تصرفاً وجمعاً ودمجاً بين قوليه في الموضعين.

(١٥) صحيح على شرط مسلم: رواه أحمد (٢٦/ ٢٣٧- رقم ١٦٣١١) وابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني" (١٤٨٢: ١٤٨٥) من طرق عنه.

وعن أنس: " أن رجلاً قال : يا محمد : أيا سيدنا و ابن سيدنا ! و خيرنا و ابن خيرنا ! فقال رسول الله ﷺ:

«**يا أيها الناس عليكم بتقواكم و لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، أنا عبد الله و رسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله**»(١٦). فهذا قال: «سيدنا ... وخيرنا ..»، وهو بلا شك خيرنا وسيدنا بحق، بل هو سيد ولد آدم يوم القيامة، وصاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، ومع ذلك اعتبره النبيُّ ﷺ مطرياً له، وغالياً ، وهو في الحقيقة لا يريد إلا المحبة والاحترام والتقدير له ﷺ، فكيف بمن يضفي عليه من الصفات التي لا تليق إلا بالله عزوجل؟!.

لذلك ورد عَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: (وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**» [رواه البخاري (٤٠٠١)]، وقد قال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(الأعراف١٨٧: ١٨٧).

فالنبي ﷺ بشر من البشر، إلا أنَّ اللهَ تعالى ميّزه على الناس واصطفاه برسالاته، ولم يخلقه من نور بل من بني آدم وآدم من تراب، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق قال تعالى:

---

(١٦) **صحيح على شرط مسلم**: رواه البخاري في "التاريخ الصغير" (٧)، وأخرجه أحمد (٣ / ١٥٣ و٢٤١) من طريقين آخرين عن حماد بن سلمة به، قاله العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٤ / ١٠١)، (١٥٧٢).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾(الفرقان٧، ٨)، وقال تعالى مبيِّناً بشرية النبي ﷺ، وأنه بشر من البشر، ومن دعاة توحيد الله وعدم الشرك به فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾(فصلت/ ٦)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾(الإسراء/ ٩٣).

وصدق **ابن القيم** رحمه الله حين قال في (نونيته):

لله حق لا يكون لغـــــــيره ولعبده حــق هما حـقان

لا تجعلوا الحقين حقاً واحدًا من غير تمييز و لا فرقان

ولقد أجاد من قال:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فعلم بما تقدم أن المحبة له والتعظيم والإجلال والتقدير، والإكبار والتوقير إنما يكون أولاً بالاتباع، والصلاة الإبراهيمية والإكثار منها، وبسائر ما ذكر من فعل السلف، وليس بالغلو والمدائح والموالد، والمنائح، والاختلاط والولائم، ونحو ذلك مما لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله السلف الصالح، فإنه كان أحب إليهم من كل مفروح به، فلم يفعلوا معه إلا ما أُمِروا به، لذلك كان أنس يقول رضي الله عنه: **"ما كان شخص أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ رؤية، وكانوا لا يقومون له، لما يعلمون من كراهيته لذلك "**[١٧].

(١٧) **صحيح على شرط مسلم**: أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"(٩٤٦) والترمذي (٢٧٥٤)، ينظر "الصحيحة" (٣٥٨).

الاقتداء بالسنة والثبات عليها حتى الممات:

لقد حرص السلف على السنة والتمسك بها والثبات عليها، ولو كانت سنناً مستحبة، فلم يتركوها لإنكار منكر بل ولا خوفاً من سلطان أو نحوه، بل لو عُرِض أحدهم على السيف لا يدع ما يعتقده ديناً،قال تعالى: ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾، قال **ابن كثير**: «أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدَى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه»(تفسير ابن كثير٦/ ٣٢٨).

وهكذا كان أهل السنة ولا يزال هذا ديدنهم، وهذه كلماتهم، وذاك شأنهم وهجِّيرهم وأذكر بعض الأمثلة على ذلك بإذن الله كلها تحض على شدة التمسك والاتباع والثبات حتى الممات.قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء/ ٦٦) فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً وفعلاً. عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزّ وجَلّ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**».قال عمر: "فوالله ما حلفت بها منذ سمعتُ رسولَ الله ﷺ نهى عنها، ذاكراً ولا آثراً". [متفق عليه].

وعن **أبي رافع** قال: رأيت أبا هريرة يسجد في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ ، فقلت: تسجد فيه؟.**فقال**: نعم، رأيت خليلي ﷺ يسجد فيه، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه". [البخاري (١٠٧٨) رواه مسلم (٥/ ١٠٨-ح٥٧٨)].

وعن **أبي سعيد الخدري** قال: كنا نخرج زكاة الفطر ورسول الله ﷺ فينا، عن كل صغير وكبير، حر ومملوك، من ثلاثة أصناف: صاعاً من تمر، صاعاً من أقِط، صاعاً من شعير، **فلم نزل نخرجه كذلك حتى كان معاوية**، فرأى أن مدين من بر تعدل صاعاً من تمر. قال **أبو سعيد**: "**فأما أنا فلا أزال أخرجه، كما كنت أخرجه أبداً ما عشت**". (متفق عليه) .

ولما حدَّث **عبادةُ** بحديث: النهي عن بيع الذهب بالذهب ... قال **معاوية**: "ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله بأحاديث، قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه".فقام

عبادة بن الصامت فأعاد الحديث ثم قال: "لنحدِّثنَّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية، أو قال: وإن رغم ما أبالي أن لا أصحبه في جنده في ليلة سوداء". [رواه مسلم (١١/ ١٨)].

وعن **ابن عمر** قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ، فقال رجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ: «**من القائل كلمة كذا وكذا؟**»، قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «**عجبت لها فتحت لها أبواب السماء**». قال **ابن عمر**: "فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك". [رواه مسلم (٥/ ١٣٧)].

وعن **سويد بن غفلة** كان يصلي الظهر حين تزول الشمس، فأرسل إليه الحجاج، لا تسبقنا بصلاتنا، فقال سويد: قد صليتها مع أبي بكر وعمر هكذا، والموتُ أقربُ إليَّ من أن أدعها". [**إسناده صحيح**: رواه ابن أبي شيبة (١/ ٣٢٣)، قال الحافظ: "إسناده قوي" (الفتح٢/ ٤٥٠)].

وهذا **شيخ الإسلام أبوإسماعيل الأنصاري**: قال عنه الذهبي: "كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظمونه ويتغالون فيه، ويبذلون أرواحهم فيما يأمر به، كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوداً راسياً في السنة، لا يتزلزل ولا يلين، وقد امتحن مرات وأُوذي ونفي من بلده، قال **ابن طاهر**: سمعته يقول: عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكت". [سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩)].

قلت: ولكن الآن يُطْلَب منا أن نتركَ السنةَ وألا ندعو إليها ونسكت عمن يخالفها!!.

فرحم الله سلفَنا فقد كانوا على ثبات عظيم قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** –رحمه الله–: "أما أهل السنة والحديث فما يعلم من علمائهم، ولا صالح عامتهم أحدٌ رجع قط عن قوله واعتقاده، بل

هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن والفتن. وهذه حال الأنبياء وأتباعهم وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة" أ.هـ.ملخصاً. [مجموع الفتاوي (٤/ ٥٠)].

الصدع بالسنة ولو خالف فيها من خالف:

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (الحجر/٩٤)[١٨].

وفي الحديث أن رجلاً من أهل العراق قام يثني على عثمان وكان أميراً فقام إليه المقداد وجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً، وجعل يحثو في وجهه الحصباء، فلما قال له عثمان ما شأنك؟، قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجوه المداحين التراب**». [**رواه مسلم**

(١٨) وقد ورد عن الحسن بن أبي الحسن قال ضرب رسول الله ﷺ بعثاً قبل وفاته على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺفاستأذنه يأذن لي فأرجع الناس فإن معي وجوه الناس وحدهم ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وثقل رسول الله ﷺ وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الأنصار: فإن أبى إلا أن نمضي وأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر: **لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضاه رسول الله ﷺ** قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر.

وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقالوا له ما صنعت؟ فقال: **امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله ﷺ** .

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم وشيعهم وهو ماشي وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ لتركبن أو لأنزلن فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له وسبع مائة درجة ترفع له وتمحى عنه سبع مائة خطيئة حتى إذا انتهى.

قال: إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل فأذن له، وقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تقذفوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها وسوف يلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم تركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيوف. رواه الطبري (٢/ ٢٤٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٥٠) وفي أسناده انقطاع، وضعف، لذا لم أجعله في الأصل لأنه ليس على شرطي في هذا الكتاب.

(ح٣٠٠٢)] **وفي رواية** قال: "أما أنا فلا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ". [ورواه أحمد (ح٥٦٨٤)، وإسناده صحيح كما قال الوادعي في "الجامع " (٥/ ٣٠)].

عن قيس بن عباد قال: "بينما أنا بالمدينة في المسجد في الصف المقدَّم قائم أُصلي، فجبذني رجل من خلفي جبذة، فنحاني وقام مقامي.

قال: فوالله ما عقلتُ صلاتي ، فلما انصرف، فإذا هو **أُبَيّ بن كعب**، فقال: "يا فتى لا يسؤك الله، إن هذا عهدٌ من النبي ﷺ إلينا أن نليه، ثم استقبل القبلة فقال: هلك أهل العقدة، ورب الكعبة ثلاثاً، ثم قال: والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على من أضلوا.

قال: قلت يا أبا يعقوب: ما يعني بأهل العُقَد؟ قال: الأمراء[١٩].

وعن أبي صالح السمان قال: بينما أنا مع **أبي سعيد** وهو يصلي يوم الجمعة، إلى شئ يستره من الناس، إذ جاء رجل شاب من بني أبي معيط، أراد أن يجتاز بين يديه، فدفع في نحره، فنظر فلم يجد مساغاً إلا بين يدي أبي سعيد، فعاد فدفع في نحره أشد من الدفعة الأولى، فمثل قائماً، فنال من أبي سعيد، ثم زاحم الناس، فخرج، فدخل على مروان، فشكا إليه ما لقي.

قال ودخل أبو سعيد على مروان، فقال له مروان: مالك ولابن أخيك، جاء يشكوك؟.

فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا صلى أحدكم إلى شئ يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفع في نحره، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان»[٢٠].

---

(١٩) **إسناده حسن**: رواه النسائي (٢/ ٨٨-ح٨٠٨)، وصحح إسناده شيخنا في "صحيح سنن النسائي" (ح٧٧٨)، ورواه ابن خزيمة في "صحيحه" (٣/ ٣٣-ح١٥٧٣).

(٢٠) رواه مسلم (٤/ ٢٩٩).

وعن **أبي سعيد الخدري** دخل يوم الجمعة، ومروان يخطب، فقام يصلي فجاء الحرس ليجلسوه فأبى حتى صلى، فلما انصرف أتيناه فقلنا: رحمك الله إن كادوا ليقعوا بك، فقال: **ما كنت لأتركهما بعد شئ رأيته من رسول الله ﷺ** ، ثم ذكر أن رجلاً جاء يوم الجمعة في هيئة بذة، والنَّبِيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فأمره فصلى ركعتين، والنَّبِيّ ﷺ يخطب".

[**إسناد حسن**: رواه الترمذي (٣/ ٣٠)، وهو في "الجامع الصحيح" للشيخ مقبل (٥/ ٣١)]

عن الحسن قال: كان **معقِل بن يسار** يتغدى، فسقطت لقمة فأخذها فأماط ما كان بها من أذى، ثم أكلها، فجعل أولئك الدهاقين يتغامزون به، فقالوا له: ما ترى ما يقول هؤلاء الأعاجم، يقولون: انظروا إلى ما بين يديه من الطعام، وإلى ما صنع بهذه اللقمة؟!. فقال: "إني لم أكن لأدع ما سمعت من رسول الله ﷺ لهذه الأعاجم، **إنا كنا نؤمر إذا سقطت من أحدنا لقمة أن يميط ما بها من الأذى، وأن يأكلها**".

إسناد صحيح: رواه الدارمي (٢/ ١٣٢)، صححه العلامة الوادعي في "جامعه" (٥/ ٣١).

وقال **عمر لسعد بن أبي وقاص**: لقد شكوك في كل شئ حتى في الصلاة، فقال سعد: أما أنا فأمد في الأوليين، وأحذف في الأخريين، ولا آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ، قال: صدقت، ذاك الظن بك"[٢١].

ومعناه: لا أقصر ولا أهتم ولا ألتفت لقول أحد مادمت مقتدياً بالنبي ﷺ.

وعن **مروان بن الحكم** قال: شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهما، وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يجمع بينهما، فلما رأى **عليٌّ**، أهلَّ بهما: لبيك بعمرة وحجة، قال: **"ما كنت لأدع سنةَ النبي ﷺ لقول أحد"**. متفق عليه.

---

(٢١) رواه البخاري (ح ٧٧٠).

وعن **وبرة** قال: سأل رجل **ابنَ عمر**: أطوف بالبيت وقد أحرمتُ بالحج؟. قال: وما يمنعك؟ قال: إني رأيت ابنَ فلان يكرهه، وأنت أحبُّ إلينا منه، ثم قال: رأينا رسولَ الله ﷺ أحرم بالحج، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، **فسنة الله وسنة رسوله ﷺ أحق أن تتبع، من سنة فلان، إن كنت صادقاً**. [**رواه مسلم** (٨/ ٢٩٩،٢٩٨)].

وفي رواية: "فبقول رسول الله ﷺ أحق أن تأخذ، أو بقول ابن عباس، إن كنت صادقاً؟!.

وقول **عمر بن الخطاب** لما طعن، وقيل له استخلف، قال: "إن الله يحفظ دينه، وإني لئن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف.

قال ابن عمر: فوالله! ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً، وانه غير مستخلف"(٢٢).

قال أبوالسائب: كنا عند **وكيع**، فقال لرجل عنده ممن ينظر في الرأي: أشعر رسولُ الله ﷺ، ويقول أبوحنيفة: مُثْلة!، فإنه قد رُوِي عن إبراهيم النخعي أنه قال: (الإشعار مُثْلة).

فرأيتُ **وكيعاً** غضب غضباً شديداً، وقال: أقول لك رسول الله ﷺ، وتقول: قال إبراهيم؟! ما أحقك بأن تُحْبَس، ثم لا تخرج (يعني: من السجن) حتى تنزع عن قولك هذا.

(**صحيح**: رواه الترمذي٢/ ٢٣٩رقم٩٠٦ ط بشار عواد).

طلب الحجة والبرهان الثابت الصحيح:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف/ ١٠٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن

(٢٢) **رواه مسلم** (١٢/ ٢٨٤)، فلم يعدل برسول الله ﷺ أحداً لا أبا بكر ولا غيره فكيف بمن يعدلون برسول الله ﷺ من هو دون هؤلاء الصحابة بمراحل كبعض أئمة المذاهب ونحوهم أو من هو دونهم.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة/ ١١١). وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام/ ١٤٨)، وقوله: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يونس/ ٦٨).

وقال **ابن القيم**: "والمقصود أن الله سبحانه سمّى علمَ الحجةِ سلطاناً، لأنها توجبُ تسلُطَ صاحبها واقتداره، فله بها سلطانٌ على الجاهلين، بل **سلطان العلم أعظم من سلطان اليد**، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب. وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن، **فالحجة تأسر القلب وتقوده، وتذل المخالف، وإن أظهر العناد والمكابرة فقلبه خاضع لها، ذليل مقهور تحت سلطانها....فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل قاهرة له**". [مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٤)].

وكانوا يذكرون الدليل والحجة للموالي والعبيد. فعن **معمر بن عبد الله** أنه أرسل غلامه بصاع قمح، فقال: بعه ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام فأخذ صاعاً وزيادة بعض صاع، فلما جاء معمراً أخبره بذلك فقال له معمر: لِمَ فعلتَ ذلك؟ انطلق فردَّه، ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل، فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل».[رواه مسلم (ح١٥٩٢)].

وكانوا يسألون العالم عن حجته ودليله ولم يعتبروه قلة أدب مع العالم كما يفعل البعض اليوم. فعن عبد الرحمن الأصم قال: **سئل أنس** عن التكبير في الصلاة، وأنا أسمع، فقال: " يكبر إذا رفع وإذا سجد، وإذا رفع رأسه من السجود، وإذا قام بين الركعتين"، قال له حكيم: عمَّن تحفظ هذا؟ قال: "عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر"، ثم سكت، فقال: حكيم: وعثمان؟، قال: "وعثمان". صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٥٧)

وعن ابن وعلة قال: سألت **ابن عباس**: إنا نكون بالمغرب، فيأتينا المجوس بالأسقية فيها الماء والودك فقال: اشرب، فقلت: أرأيٌّ تراه؟.فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**دباغه طَهوره**». [رواه مسلم (ح٣٦٦)]

وكانوا إذا تنازعوا في مسألة ردوها إلى السنة وسألوا عن دليلها،وبحثوا عما وافق السنة كي يصيروا إليها ويذعنوا لها. فعن عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة، أنهما اختلفا بالأبواء، فقال: عبدالله بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور: لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني ابن عباس إلى أبي أيوب الأنصاري أسأله عن ذلك، فوجدته يغتسل بين القرنين، (أي: قرني البئر) وهو يستتر بثوب، قال فسلمت عليه فقال: من هذا؟، فقلت: أنا عبدالله بن حنين أرسلني إليك عبدالله بن عباس، أسألك كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟، فوضع أبو أيوب يده على الثوب، فطأطأه حتى بدا رأسه، ثم حرَّك رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، ثم قال: هكذا رأيته ﷺ يفعل"، وفي رواية: قال **المسور لابن عباس**: "لا أماريك أبداً". **[رواه البخاري مسلم واللفظ له]**.

وعن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا جلوساً فذكروا ما يوجب الغسل فاختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار فقال الأنصاريون لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء وقال المهاجرون بل إذا خالط فقد وجب الغسل قال أبو موسى فأنا أشفيكم من ذلك قال فقمت فاستأذنت على عائشة فأذنت لي فقلت لها يا أمتاه – أو يا أم المؤمنين إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك فقالت لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك قلت فما يوجب الغسل قالت على الخبير سقطت قال رسول الله ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل**».

ولمسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري عن أم كلثوم بنت أبي بكر عن أختها عائشة أم المؤمنين

أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل – وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل. (رواه مسلم/ ٣٤٩).

وكانوا يتواصون بذكر الدليل والحجة والبرهان، ويحثون على ذلك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم شر الكلام؛ فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله، من كان منكم قائماً فليقم بكتاب الله، وإلاَّ فليجلس". [**إسناده صحيح**: رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم"].

وعن الضحاك، قال: لقي **ابنُ عمر جابرَ بن زيد** وهو يطوف بالكعبة، فقال: "يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تُستفتى، فلا تفتينَّ إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلتَ ذلك وإلا فقد هلَكتَ، وأهلكتَ". [الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (صحيحه/ ٧٠٢)].

وعن عمرو بن ميمون قال: سألتُ سليمان بن يسار عن المنيِّ يصسب ثوبَ الرجل، أيَغْسِلُهُ أم يغسلُ الثوبَ؟ فقال: أخبرتني عائشة؛ أن رسول الله ﷺ **كان يغسل المنيّ ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوبِ**، وأنا أنظرُ إلى أثرِ الغَسْلِ فيه. (رواه البخاري () مسلم/ ٢٨٩).

وقال الربيع: قال **الشافعي**: "لم أسمع أحداً نَسَبْتُهُ إلى العلم، أو نسبته العامة إلى علمٍ، أو نَسَبَ نَفْسَهُ إلى علمٍ يحكي خلافاً في أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه **فإن الله تعالى لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه**، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا قبول الخبر عن رسول الله ﷺ". (إيقاظ همم أولي الأبصار/ ص١٠٤).

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "لا يجوز أن يكون الشئ واجباً أو مستحباً إلا بدليل شرعي يقتضي إيجابه أو استحبابه" [مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥)]، **فإن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول** وهو: النقل المصدَّق والبحث المحقق، فإن ما سوى

ذلك -وإن زخرف مثله بعض الناس- خزف مزوّق، وإلا فباطل مطلق.[الفتاوى (٦/ ٣٨٨)]، **وقال**: "والواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً. [الفتاوى (٣/ ٣٨٠)].

وإلا فمجرد قول القائل: "رواه فلان" لا يحتج به، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف، فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته. [باختصار يسير من "منهاج السنة النبوية" (٧/ ٤٢)].

وقال **ابن القيم**: "من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول". [مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٤)]

وإليك كلام جميل من عالم جليل وهو **المعلمي اليماني** رحمه الله يقول: "أن من اعتمد في العقائد المأخذين السلفيين، ووقف معهما (وهما: تمييز الحجج من الشبهات، ومعرفة الاختلاف المنهي عنه)، واتقى البدع، وجرى في اختلاف الفقهاء على أنه مذهب واحد اختلف علماؤه فتحرى الأرجح، وكان مع ذلك محافظاً على الفرائض، مجتنباً الكبائر، فإن عثر استقال ربه، وتاب وأناب، فهو من الطائفة التي أخبر النبي ﷺ: أنها لا تزال قائمة على الحق، فليتعرف إخوانه، وليتعاضد معهم على الدعوة إلى الحق، والرجوع بالمسلمين إلى سواء الصراط.

فأما من أبى إلا الجمود على أقوال آبائه وأشياخه والانتصار لها، فيوشك أن يدخل في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾"[التنكيل (٢/ ٣٨٤)].

وقد **سئلت اللجنة الدائمة**: س: ما هو أقرب كتب الفقه إلى الصحيح من القول؟

ج: كل واحد من الناس ما عدا الرسل والأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه عن الله عز وجل، يخطئ ويصيب، مهما بلغ درجة عالية من الاجتهاد. لكن الواجب على طالب العلم أن يتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويستعين بما كتبه علماء المذاهب عند الحاجة إليه دون أن يتعصب لمذهب معين، ليتهيأ له أخذ الحكم بدليله إذا أمكنه ذلك.

عبدالله بن قعود – عبدالله بن غديان – عبدالرزاق عفيفي – عبدالعزيز ابن باز".

[فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/ ١٢١)]

وقد سئل **العلامة ابن عثيمين**: ما نصيحة فضيلتكم للطالب المبتدئ في العلم، هل يقلد العلماء أم يبحث عن الأدلة؟. **فأجاب قائلاً**: الطالب المبتدئ في العلم يجب عليه البحث عن الدليل بقدر إمكانه، لأن المطلوب الوصول إلى الدليل،ولأجل أن يحصل له التمرن على طلب الأدلة، وكيفية الاستدلال فيكون سائراً إلى الله على بصيرة وبرهان.

ولا يجوز له التقليد إلا لضرورة كما لو بحث فلم يستطع الوصول إلى نتيجة أو حدثت له حادثة تتطلب الفورية فلم يتمكن من معرفة الحكم بالدليل قبل فوات الحاجة إليها فله حينئذ أن يقلِّد بنية أنه متى تبين له الدليل رجع إليه. وإذا اختلف عليه المفتون ... الأرجح أن يأخذ بما غلب على ظنه أنه أقرب للصواب، لكون قائله أعلم وأورع"[٢٣].

ما من عالم إلا وتغيب عنه سنة عن رسول الله ﷺ:

وقال الربيع سمعت **الشافعي** يقول: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلتُ فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي" قال: وجعل يردد هذا الكلام. (مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول/ ص٥٨).

---

(٢٣) كتاب العلم لابن عثيمين (ص٢١٩)، والظاهر أن ما رجحه الشيخ هو الصواب، لقوله ﷺ: «**البر ما انشرح له صدرك، والإثم ما حاك في صدرك، وإن أفتاك عنه الناس**» ، رواه عبد الله بن أحمد في "زوائده" (٤/ ٢٢٧)، **إسناده صحيح**، وقد صحح شيخنا الألباني إسناده في تخريج "هداية الرواة" (ح٢٧٠٥).

رجوع السلف عن قولهم إلى الحجة والدليل الأرجح:

قال جندب: جئت يوم الجرعة، فإذا رجل جالس فقلت: ليهراقن اليوم ههنا دماء.

فقال ذاك الرجل: كلا والله.

قلت: بلى والله!.

قال: كلا والله.

قلت: بلى والله.

قال: كلا والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه.

قلتُ: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟!.

ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة[٢٤].

وعن سعيد قال: قال: كان عمر بن الخطاب يقول: الدية للعاقلة لا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً، حتى قال له الضحاك بن سفيان: كتب إليّ رسول الله ﷺ: «أن أورث أمرأة أشيم الضبابي من دية زوجها» فرجع عمر عن قوله(). للعاقلة لا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً، حتى قال له الضحاك بن سفيان:

كتب إلى رسول الله ﷺ: «أن أورث أمرأة أشيم الضبابي من دية زوجها» فرجع عمر زاد الحميدي: -عن قوله.

---

(٢٤) رواه مسلم (١٨/ ٢٥).

وقال **ابن عبد البر** معلقاً عليه: "فيه: أن القياس لا يستعمل مع وجود الخبر وصحته، وأن الرأي لا مدخل له في العلم مع ثبوت السنة بخلافه، ألا ترى عمر قد كان عنده في رأيه أن من يعقل يرث الدية، فلما أخبره الضحاك بما أخبره، رجع إليه وقضى به، وطرح رأيه"(٢٥).

عن ابن المسيب، قال: "قضى **عمر بن الخطاب** في الأصابع بقضاء ثم أخبر بكتاب كتبه النبي ﷺ لابن حزم (في كل أصبع مما هنالك عشر من الإبل) فأخذ به، وترك أمره الأول"().

وعن **أبي بن كعب**، أنه قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم يُنْزل؟ قال:«يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ».

وعن خارجة بن **زيد بن ثابت**، عن أبيه عن **أبي بن كعب**، أنه كان يقول: «ليس على من لم يُنْزِل غسل» ثم نزع عن ذلك- أي قبل أن يموت(). قال الشافعي: وإنما بدأت بحديث **أُبَيّ** في قوله «**الماء من الماء**» ونزوعه عنه، أنه سمع: "الماء من الماء من النبي ﷺ، ولم قال بعده ما نسخه». قلت : هذا الذي ظنه الشافعي، قد روى سهل بن سعد أن أُبَيّ بن كعب وقفه عليه توقيفاً مبيناً.

وقال الإمام أحمد: كان أحسن أمر **الشافعي** رضي الله عنه عندي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده، قال به وترك قوله"(٢٦).

عن سهل بن سعد، قال: نا أبي بن كعب: "أن الفتيا التي كانوا يفتون «أن الماء من الماء»، كانت رخصة رخصها رسول الله ﷺ، في الزمان الأول".

رواه أبو داود السجستاني، عن محمد بن مهران فزاد: "ثم أمر بالاغتسال بعد"().

---

(٢٥) فتح البر بترتيب التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩١).

(٢٦) **صحيح**: رواه البيهقي في "المدخل" (برقم ٢٥١).

عن طاووس، قال: كنت مع **ابن عباس** إذا قال له **زيد بن ثابت**: أتفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت؟ فقال له **ابن عباس**: "إما لا؛ فسل فلانة الأنصارية: هل أمرها بذلك". فرجع زيد بن ثابت يضحك ويقول: "ما أراك إلا قد صدقت"().

قال **الشافعي**: "سمع زيدٌ النهي أن يصدر أحدٌ من الحاج حتى يكون آخر عهده بالبيت، وكانت الحائض عنده من الحاج الداخلين في ذلك النهي، فلما أفتاها ابن عباس بالصدر إذا كانت قد زارت بعد يوم النحر أنكر عليه زيدٌ، فلما أخبره عن المرأة، أن رسول اله ﷺ أمرها بذلك، فسألها، فأخبرته، صدق المرأة، ورأى أن عليه أن يرجع عن خلاف ابن عباس، وما لابن عباس حُجة غيرُ خبر امرأةٍ".

وحكى عبد الرحمن بن مهدي عن شيخه **عبيد الله بن الحسن العنبري** أحد سادات البصرة فقهاً وعلماً، قال: "كنا في جنازة، فسألته عن مسألة، فغلط فيها، فقلت له: أصلحك الله، القول فيها كذا وكذا، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: "إذن أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَباً في الحق، أحبّ إليّ من أن أكونَ رأساً في الباطل"[٢٧].

وعن محمد، ونافع أن **عبدالله بن عمر** كان يكري أرض آل عمر، فسأل رافع بن خديج فأخبره: "أن رسول الله ﷺ نهى عن كراء الأرض" فترك ذلك ابن عمر"().

وعن سليمان يعني ابن علي الربع نا أبو الجوزاء غير مرة، قال: سألت **ابن عباس** عن الصرف، فقال: "يداً بيد لا بأس به" ثم حججت مرة أخرى، والشيخ حي، فأتيته فسألته عن الصرف قال: "وزنا بوزن، قلت له: إنك كنت أفتيتني اثنين بواحد، فلم أزل أفتي به منذ

(٢٧) تهذيب التهذيب (٧/ ٧).

أفتيتني قال: كان ذلك عن رأي، وهذا أبوسعيد الخدري يحدث عن النبي ﷺ، فتركت رأيي لحديث رسول الله ﷺ"[٢٨].

على كل حال فهذا الأمر من سيرة السلف أشهر من أن يذكر، فإنهم كانوا أتباع حق ودليل، لا يعبدون الله على مرادهم، ولا بأهوائهم، بل أذلة أمام النصوص، وهذا والله هو التواضع الصحيح، والخضوع للحق، والرفعة في الدنيا والآخرة، ولا جرم أن نالوا به العز والسؤدد والإمامة في الدنيا والآخرة.

هل يجوز لمسلم أن يخرج عن مذهبه الذي تعلمه؟

وقد قال **الشافعي**: "متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب، وأشار بيده على رؤوس الجماعة"[٢٩].

وقال أيضاً: "إذا وجدتم سنة رسول الله ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي، فإني أقول بها"[٣٠].

وروى الخطيب بإسناده: أن **الداركي أبا القاسم عبدالعزيز بن عبدالله**، كان **فقيهاً من الشافعية**، كان يستفتى وربما يُفتي بغير مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله فيقال له: هذا يخالف قولهما! فيقول: ويلكم حدَّثَ فلانٌ عن فلانٍ عن النبي ﷺ بكذا وكذا والأخذ بالحديث أوْلى من الأخذ بقولهما إذا خالفا. (تاريخ بغداد١٠/ ٤٦٤، وطبقات الشافعية٢/ ٢٤٠).

وقال **الجرجاني** في "تاريخه": أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الشالنجي الكسائي الجرجاني طبري الأصل صنف كتباً كثيرة منها كتاب: "البيان" وغيره وكان أحمد بن حنبل

---

(٢٨) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٨)، وابن ماجة (ح٢٢٥٨)، وهو في: "صحيح الفقيه والمتفقه (ص١٣٩)، وصححه شيخنا لشواهده في "الإرواء" (٥/ ١٨٩).

(٢٩) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص٢٦١).

(٣٠) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص٢٦٢).

يكاتبه سمعت أبا أحمد عبد الله بن عدي الحافظ يقول سمعت أحمد بن العباس العدوي يقول سمعت إسماعيل بن سعيد الكسائي يقول: **كنت أربعين سنة على الضلالة فهداني الله وأي رجال فاتتني** (معناه: وأي عِلم ضيعتُ)، **كان أبو إسحاق هذا ينتحل مذهب الرأي ثم هداه الله وكتب الحديث ورأى الحق في اتباع سنة رسول ﷺ ثم ردَّ عليهم في كتاب البيان** حدثنا بذاك الكتاب محمد بن أحمد الغطريفي حدثنا أحمد بن العباس العدوي حدثنا إسماعيل بن سعيد الكسائي كله من أوله إلى آخره وكان من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة كل مسألة يحكي عنه ثم يرد عليه. (تاريخ جرجان/ ١/ ١٤١).

وقال محمد الحلبي الحنفي المعروف بابن الشحنة (ت٨٩٠-هـ) في "نهاية النهاية في شرح الهداية": «وإن كان (أي الإمام) ترك الحديث لضعف في طريقه فينظر إن كان له طريق غير الطريق الذي ضعفه به فينبغي أن يعتبر، فإن صح عمل بالحديث، ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به، فقد صح عنه أنه قال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)» (تحفة الأنام لحياة السندي/ ص٤٠).

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله (ت٩٧٠هـ) في (البحر الرائق): «إن بلغه الخبر ولم يعرف النسخ ولا تأويله (عمل به) لأن **ظاهر الحديث واجب العمل** خلافاً لأبي يوسف لأنه قال: ليس لعامي العمل بالحديث لعدم علمه بالناسخ والمنسوخ». (حجة الله البالغة١/ ١٥٨).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (ت٧٩٢هـ): «ولو بلغه الحديث اعتمده .... لأن قول رسول الله ﷺ لا ينزلُ عن قول المفتي». (حاشية الهداية) (تحفة الأنام/ ص٤٢). ولا شك أن قوله ﷺ أعظم وأجل.

وقال أيضاً: «فالمنسوخ من السنة في غاية القلة، وقد جمعه ابن الجوزي في ورقات، وقال: أفرد فيها قدر ما صحّ نسخه، أو احتمل، وأعرض عما لا وجه لنسخه ولا احتمال وقال: فمن سمع بحديث يدّعى عليه النسخ، وليس فيها فليعلم وهاء تلك الدعوى.

ثم قال: وقد تدبرته فإذا فيه أحد وعشرون حديثاً.

فإذا كان العامي يسوغ له الأخذ بقول المفتي، بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ الأخذ بالحديث؟!

فلو كانت سنة رسول الله ﷺ لا يجوز العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطاً في العمل بها. وهذا من أبطل الباطل.

ولذا أقام الله تعالى الحجة برسوله ﷺ دون آحاد الأمة.

ولا يفرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وأفتى به بعد فهمه إلا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطأه من صوابه. ويجوز عليه التناقض والاختلاف، ويقول القول ويرجع عنه، ويحكي عنه في المسئلة عدة أقوال. وهذا كله في من له نوع أهلية.

وأما إذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (النحل: ٤٣).

وإذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتب له من كلامه، أو كلام شيخه وإن علا، فلإن يجوز في اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله ﷺ أولى بالجواز. ولو قدر أنه لم يفهم الحديث، فكما لم يفهم فتوى المفتي فسأل من يعرف معناه، فكذلك الحديث».

وقال **ابن عبدالبر المالكي** رحمه الله: «يجب على كل من بلغه شئ أن يستعمله على عمومه حتى يثبت عنده ما يخصه، أو ينسخه». (التمهيد١/ ٣٠٤).

وقال **ابن أبي العز الحنفي، وشيخ الإسلام ابن تيمية** رحمهما الله ونِعْمَ ما قالا: «وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد، ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح في دينه، ولا عدالته بلا نِزاع، بل هذا أولى بالحق، وأحب إلى الله ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة، ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه

دون قول الإمام الذي خالفه، **فمن فعل هذا كان جاهلاً ضالاً، بل قد يكون كافراً**،فإنه **متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر**، فإنه **يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل**، بل غاية ما يقال: أنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحداً **لا بعينه، من غير تعيين زيد ولا عمرو**.

وأما يقول قائل: إنه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان، **فهذا لا يقوله مسلم**.

ومن كان موالياً للأئمة محباً لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك، بل هذا أحسن حالاً من غيره، ولا يقال لمثل هذا مذبذب على وجه الذم، وإنما المذبذب الذي لا يكون مع المؤمنين، ولا مع الكفار، ...فهؤلاء المنافقون المذبذبون هم الذين ذمهم الله ورسوله.

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنْزِلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين كالرافضي الذي يتعصب لعليٍّ دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة.

وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت ذمهم بالكتاب والسنة والإجماع، أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله رسوله ﷺ.

فمن تعصب لواحد من هؤلاء الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة، أو أحمد أو غيرهم.

فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين، وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر لاجتهاده، وخطؤه مغفور له»[٣١]ا-هـ باختصار.

---

(٣١) مجموع الفتاوى (٢٢/٢٤٨-٢٥٥).

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «إنْ كَانَ انْتِقَالُهُ مِنْ مَذْهَبٍ إلَى مَذْهَبٍ لِأَمْرٍ دِينِيٍّ، مِثْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُ قَوْلٍ عَلَى قَوْلٍ فَرَجَعَ إلَى الْقَوْلِ الَّذِي يَرَى أَنَّهُ أَقْرَبُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ إذَا تَبَيَّنَ لَهُ حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي أَمْرٍ أَنْ لَا يَعْدِلَ وَلَا يَتْبَعَ أَحَدًا فِي مُخَالَفَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ طَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾»[٣٢].

وقال الملا علي القاري رحمه الله (في رسالته): «وأما ما اشتهر بين الحنفية أن الحنفي إذا انتقل إلى مذهب الشافعي يعزّر، وإذا كان بالعكس يخلع، فهو قول مبتدَع ومخترع، نعم لو انتقل طاعناً في مذهب الأول سواء كان حنفياً أو شافعياً يعَزَّر». (إرشاد النقاد/ ص١٤٧).

ومما لا يليق قول بعضهم: العبرة بالعمل على الفقه لا على الحديث!

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «لا يخفى ما في هذا اللفظ من سوء الأدب والشناعة، والبشاعة، فإن التفوه بنفي العمل على الحديث على الإطلاق مما لا يصدر من عاقل فضلاً عن فاضل».

وقال **الشوكاني** رحمه الله: «وهؤلاء ألجأونا إلى نقل هذه الكلمات، وإلا فالأمر واضح لا يلتبس على أحد، و لو فرضنا -عياذاً بالله- أن عالماً من علماء الإسلام يجعل قوله كقول الله تعالى، أو قول رسوله ﷺ لكان كافراً مرتداً، فضلاً عن أن يجعل قوله أقدم من قول الله ورسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون- ما صنعت هذه المذاهب بأهلها، وإلى أي موضع

---

(٣٢)الفتاوى الكبرى (٥/٩٦).

أخرجتهم؟ وليت هؤلاء المقلدة الجناة الأجلاف نظروا بعين العقل، ووازنوا بين رسول الله ﷺ وبين أئمة مذاهبهم، وتصوروا وقوفهم بين يدي رسول الله ﷺ!!». (القول المفيد/ ص٢٥).

قال **العلامة ولي الدين العراقي**: النظر في الدليل يعطي الجواز بعض العمل بالأثر، لما تقرر أن الصحابة رضي الله عنهم ما كان كلّهم فقهاء على اصطلاح العلماء، فإن فيهم القروي والبدوي، ومن سمع منه ﷺ حديثاً واحداً وصحبه مرة. ولا شك أن من سمع منهم حديثاً عن رسول الله ﷺ، أو عن واحد من الصحابة –رضي الله عنهم– كان يعمل به حسب فهمه، مجتهداً كان أو لا. ولم يعرف أن غير المجتهد منهم كلّف بالرجوع إلى المجتهد فيما سمعه من الحديث، لا في زمانه، ولا بعده في زمان الصحابة –رضي الله عنهم– وهذا تقرير منه ﷺ بجواز العمل بالحديث لغير المجتهد، وإجماع من الصحابة عليه.

ولولا ذلك لأمر الخلفاء غير المجتهد من الصحابة، سيما أهل البوادي أن لا يعملوا بما أخذوا من النبي ﷺ مشافهة، أو بواسطة، حتى يعرضوا على المجتهدين منهم. ولم يرد من هذا عين ولا أثر.

وهذا هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر: ٧]. ونحوه من الآيات، حيث لم يقيد بأن ذلك على فهم الفقهاء.

ومن هنا عرفت أنه لا يتوقف العمل بعد وصول الحديث الصحيح على معرفة عدم الناسخ، أو عدم الإجماع على خلافه، أو عدم المعارض، بل ينبغي العمل به إلى أن يظهر شيء من الموانع فينظر ذلك. ويكفي في العمل كون الأصل عدم هذه العوارض المانعة عن العمل. وقد بنى الفقهاء على اعتبار الأصل في الشيء أحكاماً كثيرة في الماء ونحوه لا تحصى على المتتبع لكتبهم.

ومعلوم أن من أهل البوادي والقرى البعيدة من كان يجيء عنده ﷺ مرة أو مرتين، ويسمع شيئاً، ثم يرجع إلى بلاده ويعمل به. والوقت كان وقت نسخ وتبديل، ولم يعرف أنه

ﷺ أمر أحداً من هؤلاء بالمراجعة، ليعرف الناسخ من المنسوخ، بل أنه ﷺ قرر من قال: «لا أزيد على هذا، ولا أنقص» على ما قال، ولم ينكر عليه بأنه يحتمل النسخ، بل قال: «دخل الجنة إن صدق».

وكذلك ما أمر الصحابة أهل البوادي، وغيرهم بالعرض على فقيه، ليعرف له الناسخ ونحوه بلوغ الناسخ، لا وجوده.

فظهر على أن المعتبر البلوغ، لا الوجود. إن المكلف مأمور بالعمل على وفق المنسوخ، ما لم يظهر عنده الناسخ. فإذا ظهر لا يعيد ما عمل على وفق المنسوخ، بل صحح ذلك حديث نسخ القبلة إلى الكعبة المشرفة. فإن خبره وصل إلى أطراف المدينة المنورة كأهل قباء، وغيرهم بعد ما صلّوا على وفق القبلة المنسوخة. فمنهم من وصله الخبر في أثناء الصلاة، ومنهم وصله بعد أن صلى صلاة، والنبي ﷺ قررهم على ذلك. ولم يأمر أحداً منهم بالإعادة.

فلا عبرة لما قيل: لا يجوز العمل قبل البحث عن المعارض والمخصص، وإن ادعى عليه الإجماع. فإنه لو سلم فإجماع الصحابة وتقرير النبي ﷺ مقدم على إجماع من بعدهم.

ولا يقال: يجوز أن يكون ذلك لعدم الاعتقاد على صحة الحديث، لأنا نقول: لا كلام فيما لا يعرف صحته. وإنما الكلام فيما صح وثبت.

وهل يتوقف العمل به بعد ذلك لغير الفقيه على مراجعته إلى الفقيه أو لا؟ هذا والذي يظهر لي بعد التأمل في مأخذ المسألة رواية ودراية، أن العمل بما هو دليل شرعي في ذاته –إذا احتمل عروض عارض مانعٍ من العمل به، كالحديث الذي وصل إلى العامي، إذا احتمل أن يكون منسوخاً أو مخالفاً للإجماع –جائز إذا كان الاحتمال غير ناشيء عن دليل. وأما إذا كان الاحتمال ناشئاً عن دليل فمحل توقف. ولو قيل: إن عدم جواز العمل حينئذ ما لم يفتش عن ذلك الاحتمال، فله نوع قُربٍ والله سبحانه وتعالى أعلم.

فإذا لم يبلغ العامي أن ههنا نسخاً أو مخالفة إجماع، يكون الاحتمال غير ناشيء عن دليل، بل لا احتمال أصلاً، فينبغي القول بجواز العمل. نعم، الأولى أن يسأل عمن له أهلية الفتوى على الحكم.

وإذا بلغ أن في الآيات والأحاديث ما اشتهر نسخه بين الصحابة، ومنها ما يُخالف الإجماع، فمقتضى ما ذكره في (الهداية) من مذهب محمد جواز العمل به[٣٣].

وقال ابن حجر المكي في فتاواه: لا يسوغ لمن هو من أهل الفهم، والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه، والتمكن من علمي الأصول والعربية، والمعرفة بخلاف السلف ومأخذهم، إذا وجد حديثاً صحيحاً على خلاف قول مقلده، أن يترك الحديث ويعمل بقول إمامه.

وقد روى البيهقي في ما يقول [أبو حنيفة]: إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين. وإذا جاء عن أصحاب النبي ﷺ نختار من قولهم. وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم"[٣٤].

وفي أصول اللامشي: (ولا عيب على من اتبع الأثر. فمن قال: أن الرواية حقيقة بالعمل لا الحديث، فقد أهان الحديث. والإهانة كفر)[٣٥]. كذا أفاد بعض العلماء.

ونقل عن شرح مسلم: (أن سنة النبي ﷺ وقوله الصحيح أولى وأفضل من قول المجتهد)[٣٦].

وفي شرح المهذب للنووي: إذا ثبت الحديث على خلاف قول المقلد، وفتشه فلم يجد له معارضاً وكان المفتش له أهلية، فإنه يترك قول صاحب المذهب، ويأخذ بالحديث. ويكون حجة للمقلد في ترك مذهب مقلده[٣٧].

---

(٣٣) الهداية مع البناية (٣/٣٨٩-٣٩٠).

(٣٤) مختصر المؤمل لأبي شامة (ص٦٢،٦٣).

(٣٥) (الإيقاظ) (ص٥٢) نقلاً عن أصول اللامشي.

(٣٦) (الإيقاظ) (ص٥٢) نقلاً عن شرح مسلم.

وفي قوت القلوب: ومن محبة رسول الله ﷺ إيثار سنته على الرأي والعقول[٣٨] انتهى.

وقال ملا علي القارئ في رسالته في (إشارة المسبّحة): (وقد أغرب الكيداني حيث قال: العاشر من المحرمات: الإشارة بالسبابة، كأهل الحديث، أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله ﷺ وهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم. منشأه الجهل بقواعد الأصول ومراتب الفروع من المنقول. ولولا حسن الظن به، وتأويل كلامه لكان كفره صريحاً وارتداده صحيحاً. فهل لمؤمن أن يحرم ما ثبت فعله منه ﷺ بما كاد نقله أن يكون متواتراً، ويمنع جواز ما عليه عامة العلماء كابراً عن كابر مكابراً. والحال إن الإمام الأعظم والهمام الأقدم قال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس الجلي في المسئلة.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنه لو لم يكن نص الإمام على المرام، لكان من المتعين على أتباعه من العلماء الكرام، فضلاً عن العوام أن يعملوا بما صح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام. وكذا لو صح عن الإمام فرضاً نفي الإشارة، وصح إثباتها عن صاحب البشارة، فلا شك في ترجيح المثبت المسند إليه ﷺ. كيف وقد وجد نقله الصريح بما ثبت بالإسناد الصحيح. فمن أنصف ولم يتعسّف عرف إن هذا سبيل أهل التدين من السلف والخلف. ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المعاند المكابر ولو كان عند الناس من الأكابر[٣٩] انتهي.

---

(٣٧) المجموع شرح المذهب لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (١/١٠٩) نقلاً عن الشيخ أبي عمرو بن الصلاح قال: (فمن وجد من الشافعي حديث يخالف مذهبه، نظر –إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً، أو في ذلك الباب أو المسألة– كان له الاستقلال بالعمل به، وإن لم يكمل وشق عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث، فلم يجد لمخالفته عنه جواباً شافياً، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي. ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا.

[قاله النووي]: (وهذا الذي قاله حسن متعين. والله أعلم).

(٣٨) الإيقاظ (ص١١٢) نقلاً عن مؤلف هذا الكتاب.

(٣٩) إرشاد النقاد (ص١٤٨)، والإيقاظ (ص٥٦-٥٧).

وقال **الشعراني** في (الميزان): فإن قلت فما أصنع بالحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ بها؟

فالجواب: ينبغي لك أن تعمل بها، فإن إمامك لو ظفر بها وصحت عنده، لربما كان أمرك بها. فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة، ومن فعل مثل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه. ومن قال: لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي فإنه خير كثير، كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب. وكان الولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة. فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو ظفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم لأخذوا بها وعملوا بها[٤٠].

وقال **ابن الجوزي** في (تلبيس إبليس): اعلم أن المقلّد على غير ثقة فيما قلَّد [فيه]. وفي التقليد إبطال منفعة العقل. لأنه [إنما] خلق للتأمل والتدبر. وقبيح ممن أعطي شمعة يستضيء بها أن يُطفئَها، ويمشي في الظلمات.

وينبغي النظر إلى القول لا إلى القائل، كما قال علي رضي الله عنه للحارث الأعور ابن الحوتي وقد قال له: أتظن أن طلحة وزبيراً كانا على الباطل؟ فقال له: يا حارث، إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. ا- هـ باختصار[٤١].

وهذا **الشيخ الألباني** كان على المذهب الحنفي ثم هداه الله للسنة فنفعه الله كثيراً باتباع السنة، والدعوة إليها.

قال **الفلاني** رحمه الله: "وقد جمع ابن دقيق العيد المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث الصحيح انفراداً واجتماعاً، في مجلد ضخم، وذكر في أوله أن نسبة

---

(٤٠) (الميزان) للشعراني (١/٢٦).

(٤١) تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام (ص٥٦: ٦٥).

هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام، وأنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها، لئلا يعزوها عليهم فيكذبوا عليهم"[٤٢].

التأدب مع السنة، ولا تُضْرب لها الأمثالُ:

وفي الحديث عن أبي هريرة أنه روى عن النبي ﷺ حديثاً في «**الوضوء مما مست النار**» فقال له أحد الصحابة: ألا أمرتهم أن يتوضؤوا من الحميم -أي الماء الحار- فقال: "يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ بحديث فلا تضرب له الأمثال.."[٤٣].

وفي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا استيقظ أحدُكم من منامه، فلا يُدخل يدَهُ في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات، فإنه لا يدري أين باتت يدُه منه، أو أين طافت يدُهُ**».

فقال له رجل: أرأيتَ إن كان حوضاً؟

فحصبه ابن عمر، وقال أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: أرأيتَ إن كان حوضاً؟![٤٤].

وقريب من هذا لما سأل رجل **ابن عمر** رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلِمَهُ ويقبِّلَهُ، قال: أرأيت إن زحمتُ، أرأيتَ إن غُلِبتُ؟ قال: "اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله"[٤٥]، وفي رواية: "اجعل أرأيت عند ذاك الكوكب"[٤٦].

---

(٤٢) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص٢٥٢).

(٤٣) **إسناده حسن، على شرط مسلم**: رواه الترمذي (٧٩) وحسنه شيخنا في "صحيح الترمذي" (٦٨).

(٤٤) **صحيح**: رواه الدار قطني، وقال: "إسناده حسن" (١/ ٥٠).

(٤٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (ح١٦١١)،

(٤٦) **صحيح**: رواه أبو داود الطيالسي في "مسنده" ().

قال **الحافظ ابن حجر** معلقاً: "إنما قال له ذلك لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأي فأنكر عليه ذلك وأمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقي الرأي"(٤٧).

وصح من حديث أبي هريرة قال: اقتتلت امرأتان من هُذيل، فرمت إحداهما الأخرى فقتلتها وما في بطنها، فقضى النبي ﷺ أن دية جنينها عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معه، فقال حَمَلُ ابن النابغة الهُذلي: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل هذا يُطَلُّ؟، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**» من أجل سجعه الذي سجع(٤٨).

قلتُ: إنما ذمَّه رسول الله ﷺ لمعارضته حكم رسول الله ﷺ برأيه وكلامه الذي يشبه كلام الكهان وسجعهم.

الاعتناء بالسنن المستحبة، والنوافل:

قال **إسحاق بن راهويه**، قال في ((كتاب الجامع)): لا يعذب أحد على ترك شيء من ترك النوافل، وقد سن رسول الله ﷺ سنناً غير الفرائض التي فرضها الله ، فلا يجوز لمسلم أن يتهاون بالسنن التي سنها رسول الله ﷺ، مثل الفطر والأضحى والوتر والأضحية ، وما أشبه ذلك ؛ فإن تركها تهاوناً بها فهوَ معذب ، إلا أن يرحمه الله ، وإني لأخشى في ركعتي الفجر والمغرب ؛ لما وصفهما الله في كتابه وحرض عليها ، قالَ : (فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ([قّ : ٤٠] ، وقال : (فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ([الطور : ٤٩] .

وقال سعيد بن جبير : لو تركت الركعتين بعد المغرب لخشيت أن لا يغفر لي (فتح الباري لابن رجب٦/ ٢١٢).

---

(٤٧) فتح الباري (ص٥٥٦).

(٤٨) **صحيح** : رواه الشيخان وغيرهما ، ينظر تخريجه في "إرواء الغليل" (٢٢٠٥).

وَقَدْ ذَكَرَ الرَّافِعِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمُرُوءَةِ أَنَّ مَنْ اعْتَادَ تَرْكَ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ وَتَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ رُدَّتْ شَهَادَتُهُ ؛ لِتَهَاوُنِهِ بِالسُّنَنِ ، فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى ارْتِكَابِ خِلَافِ الْمَسْنُونِ تُرَدُّ الشَّهَادَةُ بِهِ مَعَ أَنَّهُ لَا إثْمَ فِيهِ .(الزاجر عن اقتراف الكبائر٣/ ٢٢٨)

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة

هل كل أفعال النبي ﷺ على الاقتداء:

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "وفعله (ﷺ) إذا خرج امتثالاً لأمر أو تفسيراً لمجمل كان حكم ما امتثله وفسره وهذا كما أنه ﷺ: كان يأتي في كل ركعة بركوع واحد وسجودين كان كلاهما واجباً وكان هذا امتثالاً منه لما أمر الله به من الركوع والسجود، وتفسيراً لما أجمل ذكره في القرآن[٤٩].

وقال في موضع آخر: "وإذا كان تفسيراً شملنا وإياه أو امتثالاً لأمر شملنا وإياه، وقد يكون هذا من طريق الأولى، بأن يعلم سبب التحريم في حقه وهو في حقنا أشد، وسبب الإباحة أو الوجوب"[٥٠].

وقال أيضاً: وأما فعله ﷺ غير ذلك على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسي به فيه، فإذا خص زماناً أو مكاناً بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة كتخصيصه العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف، وكتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه، وكما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وان يستلم الحجر الأسود، وقصد الصعود على الصفا والمروة، وكان يتحرى الصلاة عند أسطوانة مسجد المدينة فالتأسي به في ذلك **أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي**

(٤٩) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٦٧).

(٥٠) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص١٩١).

فعل لأنه فعل، وذلك إنما يكون بأن يقصد مثل ما قصد فإذا سافر لحج أو عمرة أو جهاد وسافرنا كذلك كنا متبعين له، وكذلك إذا شرب لإقامة حد، بخلاف من شاركه في السفر وكان قصده غير قصده أو شاركه في الضرب **وكان قصده غير قصده فهذا ليس بمتابع له**.

ولو فعل فعلاً بحكم الاتفاق مثل نزوله في السفر بمكان، أو أن يفضل في إدواته ماء فيصبه في أصل شجرة، أو أن تمشي راحلته في أحد جانبي الطريق ونحو ذلك، فهل يستحب قصد متابعته في ذلك؟

كان ابن عمر يحب أن يفعل مثل ذلك، وأما **الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة فلم يستحبوا ذلك، لأن هذا ليس بمتابعة له، إذ المتابعة لابد فيها من** القصد.

فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل بل حصل له بحكم الاتفاق كان في قصده غير متابع له وابن عمر يقول: وإن لم يقصده (يعني: ﷺ) لكن نفس فعله حسن على أي وجه كان، فأحب أن أفعل مثله، إما لأن ذلك زيادة في محبته، وإما لبركة مشابهته له

ومن هذا الباب إخراج التمر في صدقة الفطر لمن ليس ذلك قوته، وأحمد قد وافق ابن عمر على مثل ذلك.

ويرخص في مثل ما فعله ابن عمر وكذلك رخص أحمد في التمسح بمقعده من المنبر اتباعاً لابن عمر، وعن أحمد في التمسح بالمنبر روايتان:

أشهرهما أنه مكروه كقول الجمهور، وأما مالك وغيره من العلماء فيكرهون هذه الأمور وإن فعلها ابن عمر، فإن أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم لم يفعلوها، فقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في السفر فرآهم ينتابون مكاناً يصلون فيه فقال: ما هذا؟

قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺفقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟

إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته فيه الصلاة فليصل فيه وإلا فليمض.

وهكذا للناس قولان فيما فِعْله من المباحات على غير وجه القصد هل متابعته في مباحة فقط أو مستحبة؟

على قولين في مذهب أحمد وغيره كما قد بسط ذلك في موضعه، ولم يكن ابن عمر ولا غيره من الصحابة يقصدون الأماكن التي ينْزل فيها ويبيت فيها مثل بيوت أزواجه ومثل مواضع نزوله في مغازيه، وإنما كان الكلام في مشابهته في صورة الفعل فقط، وإن كان هو لم يقصد التعبد به، فأما الأمكنة نفسها فالصحابة متفقون على أنه لا يعظم منها إلا ما عظمه الشرع"[٥١].

وقال أيضاً: والمقصود ذكر متابعة النبي ﷺ وهو أنه يعتبر فيه متابعته في قصده، فإذا قصد مكاناً للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة، وأما إذا صلى فيه اتفاقاً من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة.

ولهذا لم يكن جمهور الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك، وابن عمر رضي الله عنهما مع أنه كان يحب مشابهته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة إلا في الموضع الذي صلى فيه لا في كل موضع نزل به[٥٢].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "سائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان ما ثبت عن النبي ﷺ يخالفه لا يوافقه، لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد ومما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول.

---

(٥١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٠٩-٤١١).

(٥٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٩٦).

ولها نظائر كثيرة: مثل ما كان ابن عمر يُدخل الماء في عينيه في الوضوء، ويأخذ لأذنيه ماء جديداً، وكان أبو هريرة يغسل يديه إلى العضدين في الوضوء، ويقول: من استطاع أن يطيل غرته فليفعل!، وروي عنه أنه كان يمسح عنقه، ويقول: "هو موضع الغل

فإن هذا وإن استحبه طائفة من العلماء اتباعاً لهما فقد خالفهم في ذلك آخرون، وقالوا: سائر الصحابة لم يكونوا يتوضؤون هكذا"[٥٣].

وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبي ﷺ، وينْزل مواضع منْزِله، ويتوضأ في السفر حيث رآه يتوضأ، ويصب فضل مائه على شجرة صب عليها، ونحو ذلك مما استحبه طائفة من العلماء ورأوه مستحباً، ولم يستحب ذلك جمهور العلماء؛ كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم، لم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر. ولو رأوه مستحبا لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته والاقتداء به.

وذلك لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة عند اسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة، والدعاء، والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده –مثل أن ينْزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدا لتخصيصه به بالصلاة والنُّزول فيه فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه، أو النزول لم نكن متبعين، بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب؛ كما ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمى عن المعروف بن سويد، قال: كان

---

(٥٣) مجموع الفتاوى (١/٢٧٨-٢٧٩).

عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي ﷺ؛ فقال عمر: إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً، فمن عرضت له الصلاة فليصل، وإلا فليمض.

فلما كان النبي ﷺ يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب.

وهذا هو الأصل، فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل، ولهذا لما اشتبه على كثير من العلماء جلسة الاستراحة: هل فعلها استحباباً أو لحاجة عارضة تنازعوا فيها، وكذلك نزوله بالمحصب عند الخروج من مني لما اشتبه: هل فعله لأنه كان اسمح لخروجه أو لكونه سنة؟ تنازعوا في ذلك.

ومن هذا وضع ابن عمر يده على مقعد النبي ﷺ، وتعريف ابن عباس بالبصرة وعمرو بن حريث بالكوفة، فإن هذا لما لم يكن مما يفعله سائر الصحابة، ولم يكن النبي ﷺ شرعه لأمته؛ لم يمكن أن يقال هذا سنة مستحبة؛ بل غايته أن يقال: هذا مما ساغ فيه اجتهاد الصحابة، أو مما لا ينكر على فاعله لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد، لا لأنه سنة مستحبة سنها النبي ﷺ لأمته، أو يقال في التعريف: إنه لا بأس به أحيانا لعارض إذا لم يجعل سنة راتبة.

وهكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله: تارة يكرهونه، وتارة يسوغون فيه الاجتهاد، وتارة يرخصون فيه إذا لم يتخذ سنة، ولا يقول عالم بالسنة: إن هذه سنة مشروعة للمسلمين.

فان ذلك إنما يقال فيما شرعه رسول الله ﷺ، إذ ليس لغيره أن يسن ولا أن يشرع؛ وما سنة خلفاؤه الراشدون فإنما سنوه بأمره فهو من سننه، ولا يكون في الدين واجباً إلا ما أو

جبه، ولا حراما إلا ما حرمه، ولا مستحبا إلا ما استحبه، ولا مكروها إلا ما كرهه، ولا مباحا إلا ما أباحه.

وهكذا الإباحات، كما استباح أبو طلحة أكل البرد وهو صائم، واستباح حذيفة السحور بعد طهور الضوء المنتشر حتى قيل هو النهار، إلا أن الشمس لم تطلع. وغيرهما من الصحابة لم يقل بذلك، فوجب الرد إلى الكتاب والسنة.[٥٤].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً صالحاً شديد الاتباع فرأى هذا من الاتباع، وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين: عثمان وعلي وسائر العشرة وغيرهم: مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأُبَي فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر، وقول الجمهور أصح"[٥٥].

وهذا استحبه طائفة من العلماء ، ورأوه مستحباً، ولم يستحب ذلك جمهور العلماء[٥٦].

وقال أيضاً: "وقد تنازع الناس في أمور فعلها: هل هي من خصائصه (ﷺ) أم للأمة فعلها؟

كدخوله في الصلاة إماماً، بعد أن صلى بالناس غيره، وكتركه الصلاة على الغال والقاتل، وأيضاً فإذا فعل فعلاً لسبب، وقد علمنا ذلك السبب أمكننا أن نقتدي به فيه، فأما إذا لم نعلم السبب أو كان السبب أمراً اتفاقياً.

فهذا مما تنازع فيه الناس مثل نزوله في مكان في سفره، فمن العلماء من يستحب أن ينْزل حيث نزل كما كان ابن عمر يفعل، وهؤلاء يقولون: نفس موافقته في الفعل حسن، وإن كان فعله هو اتفاقاً، ونحن فعلناه على لقصد التشبه به.

---

(٥٤) مجموع الفتاوى (١/٢٧٩-٢٨٢).

(٥٥) مجموع الفتاوى (١٧/٤٦٦).

(٥٦) مجموع الفتاوى (١/٢٨٠).

ومن العلماء من يقول: إنما تستحب المتابعة إذا فعلناه على الوجه الذي فعله، **فأما إذا فعله اتفاقاً لم يشرع لنا أن نقصد ما لم يقصده، ولهذا كان أكثر المهاجرين والأنصار لا يفعلون كما كان ابن عمر يفعل.**

وأيضاً فالاقتداء به يكون تارة في نوع الفعل وتارة في جنسه، فإنه قد يفعل الفعل لمعنى يعم ذلك النوع وغيره، لا لمعنى يخصه فيكون المشروع هو الأمر العام مثال ذلك احتجامه ﷺ فإن ذلك كان لحاجته إلى إخراج الدم الفاسد ثم التأسي هل هو مخصوص بالحجامة أو المقصود إخراج الدم على الوجه النافع؟.

ومعلوم أن التأسي هو المشروع، فإذا كان البلد حاراً يخرج فيه الدم إلى الجلد كانت الحجامة هي المصلحة، وإن كان البلد بارداً يغور فيه الدم إلى العروق كان إخراجه بالفصد هو المصلحة.

وكذلك ادهانه ﷺ: هل المقصود خصوص الدهن، أو المقصود ترجيل الشعر؟

فإذا كان البلد رطباً وأهله يغتسلون بالماء الحار الذي يغنيهم عن الدهن، والدهن يؤذي شعورهم وجلودهم يكون المشروع في حقهم ترجيل الشعر بما هو أصلح لهم، ومعلوم أن الثاني هو الأشبه[٥٧].

---

(٥٧) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٢٥).

المبحث الثالث: أهل الحديث والسنة هم أهل الاتباع حقاً

قد يختلط على كثير من الناس فلا يدري من يتبع، ومن يعينه على الاتباع حقاً، ويحثه عليه، على رُغم وضوح المنهج والسبيل، ومع ذلك فإني ذاكر لك بعض ما ورد في ذلك ما يعينك كي تلازم أخي المسلم أهل الاتباع حقاً.

ومما لا شك فيه أن اشد الناس اتباعاً للنبي ﷺ: أصحابه ثم التابعون لهم بإحسان وهم أعلم الناس بآثاره، وهديه، وسنته، وسلوكه، ومن التابعين بإحسان: أصحاب الحديث، وأهل السنة والأثر المتبعون له، الحريصون عليه، الداعون إليه، المكثرون منه، المستمسكون به، الذابون المدافعون عنه، وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله-: "مذهب أهل الحديث، وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف". [مجموع الفتاوى (٣٥٥/٦)].

وهم حراس الدين حقاً وصدقاً:

وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**يحمل هذا العلم من كلِ خَلَفٍ عُدولُه، ينْفونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلينَ**» ، [**حسن لغيره**: خرجته في الشريعة (ح٢)] وقال **أبو داود**:"لولا هذه العصابة لاندرس الإسلام-يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار". [شرف أصحاب الحديث (رقم١٠٦)] وقال **الثوري** -رحمه الله-:"الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض".[المصدر السابق (رقم٨٥)]، **وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة** لقوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خَذَلَهم أو خالَفَهُم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**» ، متفق عليه وقد فسرت الفرقة الناجية: وقال **أحمد**

بن حنبل: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم".[شرف أصحاب الحديث (ص٢٦)]

وقال **الخطيب البغدادي**: "قد جعل الله أهل الحديث أركان الشريعة، وهدم بهم كلَّ بدعةٍ شنيعةٍ، فهم أمناءُ اللهِ من خليقتهِ، والواسطة بين النبي ﷺ وأمتهِ، والمجتهدون في حفظِ ملتهِ.

أنوارُهُم زاهرةٌ، وفضائلُهُم سائرةٌ، وآياتُهُم باهرةٌ، ومذاهبُهم ظاهرةٌ، وحججُهُم قاهرةٌ، وكلُّ فئةٍ تتحيزُ إلى هوى ترجعُ إليه، أو تستحسنُ رأياً تعكفُ عليه، سوى أصحابِ الحديثِ، فإن الكتابَ عُدَتُهم، والسنةَ حُجَّتُهم، والرسولَ فئتُهم، وإليه نسبتهم، لا يُعَرِّجُونَ على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراءِ.إذا اُختلف في حديثٍ، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبولُ المسموعُ. وكلُّ مبتدعٍ باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر، من كادهم قَصَمَه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يُفْلِحُ مَن اعتزلهم. المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير". [شرف أصحاب الحديث (٨-٩)]

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** –رحمه الله–: "**أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ** وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل المعرفة بمعانيها واتباعاً لها... الذين يردون المجمل إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة، ويجعلونها من أصول دينهم، وإن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه".أ.هـ [مجموع الفتاوى (٣/٣٤٧)]

والحق حليفهم **وهم أهل الصراط المستقيم، والصواب في القول والعمل**، وقال **أحمد** -رحمه الله:"أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم".وبنحو هذا قال **الأوزاعي**. وقال **ابن تيمية** -رحمه الله-: "أعلم الناس، وأخصهم بالرسول، وأعلمهم بأقواله، وأفعاله، وأعلمهم بأصحابه، وسيرته وأيامه، وأعظمهم بحثاً عن ذلك، وأعظمهم تديّناً به، واتباعاً له، واقتداءً به، هؤلاء هم أهل السنة، والحديث.... أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين: أن **هؤلاء أحق بالصدق والعلم والإيمان والتحقيق ممن يخالفهم**، وأن عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل المبتدع، ، وأن الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه!!، ومن الضلال كذلك". [مجموع الفتاوى (٨٥/٤) (٤٩/٤) (٣٥٤/٦)]

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "**إنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم، والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾(محمد/١٧)، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾(النساء/٦٦: ٦٨) ، وما تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم". [مجموع الفتاوى (١٠/٤)].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "يعلم فضل أهل الحديث والسنة بأمور" ، **فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم، وتارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم، أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل، وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض** ... فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض: فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس، والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، **وإنما نبل أحمد والشافعي وإسحاق وغيرهم، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة، و كذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك**، وكذلك مالك والأوزاعي، والثوري، وأبوحنيفة

وغيرهم، إنما نبلوا في عموم الأمة، وقُبِلَ قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة، وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم إلا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة، إما لعدم بلاغها إياه، أو لاعتقاده ضعف دلالتها، أو رجحان غيرها عليها". [مجموع الفتاوى (١٠،١١/٤)].

وقال **ابن قتيبة** -رحمه الله-:"فأما **أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته،** وتتبعوه من مظآنه، وتقربوا من الله تعالى، باتباعهم سنن رسول الله ﷺ، وطلبهم لآثاره وأخباره حتى فهموا صحيحها وسقيمها، وعرفوا **من خالفها من الفقهاء إلى الرأي.** فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً، وبسق بعد أن كان دارساً، وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً، وتنبه عليها من كان عنها غافلاً، وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ.ا.هـ.[تأويل مختلف الحديث (ص٧٣،٧٤)] وقال **أبو القاسم الأصبهاني**: "**إنّ الطريق المستقيم مع أهل الحديث،** وإنّ الحق ما نقلوه ورووه". باختصار وتصرف يسير من "الحجة " (٢٢٣/٢) **وقال أيضاً**: "الحقّ الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي نعتقده وننتحله، غير **أنّ الله أبى أن يكون الحقّ والعقيدة الصحيحة إلاّ مع أهل الحديث والآثار،** لأنّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، ... ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدّين المستقيم، والصراط القويم، إلاّ هذا الطريق الذي سلكه **أصحاب الحديث،** وأمّا سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه". [المصدر السابق] ، وأرى من المناسب هنا نقل فتوى **الإمام أحمد** -رحمه الله- وقد سأله ابنه عبدالله عن الرجل يريد أن يسأله عن أمر دينه مما يبتلى به من الأيمان في الطلاق وغيره، وفي مصره من أصحاب الرأي، وأصحاب الحديث: لا يحفظون، ولا يعرفون الحديث الضعيف، ولا الإسناد القوي، فلمن يسأل؟، لهؤلاء، أو لأصحاب الحديث على قلة معرفتهم؟

فقال: "**يسأل أصحاب الحديث، ولا يسأل أصحاب الرأي، ضعيف الحديث خير من الرأي**"(٥٨).

وعليه فإن **أهل الاتباع الحقيقي هم: أهل الحديث والسنة في كل عصر ومصر**، أينما كانوا وحيثما كانوا فالزمهم وأحبهم واسألهم ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(الكهف/٢٨). فإن قال قائل: كيف أعرفهم في بلدي؟ **الجواب**: ما قاله **أبو القاسم الأصبهاني**: "قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾(الحشر:٧)، فأمرنا بإتباع النبي ﷺ وطاعته فيما سَنَّ وأمر، ونهى، وحكم، وعلّم. وقال النبي ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**». **(متفق عليه)**

فوجدنا سنته، وعرفناها فنظرنا إلى هذه الفرقة -أعني **أصحاب الحديث**- وهم لها أطلب، وفيها أرغب، ولها أجمع ولصحاحها أتبع، فعلمنا يقيناً بالكتاب والسنة، أنهم دون من سواهم من جميع الفرق، لأن صاحب كل فرقة أو صناعة ما لم يكن معه آلة من آلاته، ثم ادّعى تلك الصناعة، كان في دعواه عند العامّة مبطلاً، فإذا كانت معه آلات الصناعات شهد له كل من عاينه قبل الاختبار كما أنك إذا رأيت الرجل فتح باب دكانه على تمر علمت أنه تمّار، وإن لم تختبره، وكذلك صاحب كل صناعة، إنما يستدل على صناعته بآلته، ولو رأيت بين يدي نجار قدوماً، ومنشاراً، ومثقباً، ثم سمّيته حداداً جُهِّلت. ثم كل صاحب صناعة، وحِرْفة يفتخر بصناعته، ويجالس أهلها، ولا يذمها.ورأينا أصحاب الحديث رحمهم الله قديماً وحديثاً، هم الذين رحلوا في طلب هذه الآثار وسنن رسول الله ﷺ فأخذوها ، وجمعوها من مظانها، وحفظوها فاغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها، وعابوا من خالفها فكثرت عندهم، حتى

---

(٥٨) رواه الخطيب في (تاريخ بغداد١٣/٤١٨)، أعلام الموقعين (٤/٢٥٨)، **قول شريك**: "أثر فيه ضعف أحب إليَّ من رأيهم". (ذم الكلام/٣٢٥) .

اشتهروا بها كما اشتهر التمار بتمره، والعطار بعطره، ثم رأينا قوماً انسلخوا من حفظها ومعرفتها، وتنكبوا اتباع أصحها وأشهرها، وطعنوا فيها، وفيمن أخذ بها، وزهّدوا الناس في جمعها ونشرها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة، أن هؤلاء الراغبين فيها، وفي جمعها وحفظها، واتباعها أولى بها وأحق من سائر الفرق الذين تنكَّبوا أكثرها.

وأن السنن هي التي تحكم على أهل الأهواء بالأهواء **لأن الاتباع عند العلماء هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه، والخضوع لها، والتسليم لأمر النبي ﷺ فيها، والانتهاء عما نهى الله عنه**، ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء، والمعقولات بمعزل من الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنة رسول الله ﷺ.

فهذا الذي **قلناه سمة ظاهرة وعلامة بيِّنة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل الأهواء في تركها، والعدول عنها**، ولا نحتاج في هذا إلى شاهد أبين من هذا، ولا إلى دليل أضوأ من هذا"ا.هـ. [الحجة في بيان المحجة].

وقال **شيخنا العلامة الألباني**: "أقول: إننا –والحمد لله– من أول الناس اعترافاً بذلك كله، ولعل منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى الآخرين، الذين يدَّعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره، **لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه**، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ (آل عمران:٣١)، ونحن بفضل الله من أحرص الناس على طاعة الله عز وجل، واتباع نبيه ﷺ وهما أصدق الأدلة على المودة والمحبة الخالصة بخلاف الغلو في التعظيم، والإفراط في الوصف اللذين نهى الله تعالى عنهما" (التوسل/ ص٨٣: ٨٨ ط الدار السلفية).

الفصل الثاني

الأمر بالاتباع وثماره اليانعة، وما يترتب على التهاون به

أمر الله تعالى باتباع الكتاب والسنة، وأوجب ذلك على الناس، قال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/١٠٦)، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الجاثية/١٨)، وبين سبحانه أن من أهم مقاصد بعثة النبي ﷺ هو اتباعه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء/٦٤).

المبحث الأول: أهمية وثمار الاتباع

للاتباع ثمار يانعة كثيرة، وفوائد نافعة وفيرة في الدنيا والآخرة، وواحدة منها توجب على الناس أن يظلوا متبعين للنبي ﷺ في جميع شئون حياتهم أذكر بعض هذه الثمار فمن ذلك:

١- المتبع يعيش حياة سعيدة هنيئة طيبة:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(النحل/٩٧). فعن **الفضيل بن عياض** قال: "الحياة الطيبة: **الإسلام والسنة**". (ذم الكلام للهروي/ ١٠٥١)، وقال **ابن كثير** رحمه الله:

«هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا -وهو العمل المتابع **لكتاب الله تعالى وسنة نبيه** من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله -بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة: **تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت**».

٢- طاعة الله ورسوله من أسباب رحمة العبد في الدنيا والآخرة:

قال عز وجل: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(آل عمران/ ١٣١-١٣٢).

٣- طاعة الله ورسوله سبب من أسباب الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة:

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب/٧٠، ٧١).

وقال تعالى: ﴿.... فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (الأعراف/١٥٧). وعن عليّ رضي الله عنه: "إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا برسول الله أهنأه وأهداه وأتقاه". [صحيح: رواه ابن ماجه (صحيح ابن ماجه/ ١٩)، وأحمد (١/ ١٢٢)].

٤- الاتباع للسنة سبب عظيم يستجلب به العبد محبة الله تعالى ومغفرته:

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾(آل عمران/٣٢: ٣١)، يقول **الحسن**: «كان علامة حبه إياهم: اتباع سنة رسول الله ﷺ» [(لا بأس به) لأجل عامر بن عبدالله بن يساف، أخرجه ابن جرير (٣/ ٢٣٢)، واللالكائي (٦٨)].

٥- الاتباع سبب للثبات على الحق والهدى:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (آل عمران/١٧٢ : ١٧٤).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(النساء/٦٦).

٦- طاعة الرسول من طاعة الله عز وجل:

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(الن ساء/٨٠)، و عن جَابِرَ ابن عَبْدِ الله يقول: في رؤيا رآها النبي ﷺ قالت الملائكة:«.... فَمَنْ أطَاعَ محمداً ﷺ فَقَدْ أطَاع الله، وَمَنْ عَصَى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمدٌ فَرَّقَ بينَ الناسِ». [رواه البخاري (٧٢٨١)].

٧- أن السمع والطاعة لله ورسوله علامة الإيمان، ومن صفات المؤمنين:

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (النور/٥١، ٥٢).

٨- أن من أطاع الرسول ﷺ فهو ممن أخرجه الله من الظلمات إلى النور:

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة /١٥ : ١٦). فجمع الظلمات لكثرة طرق الضلال، وأفرد النور لأن صراط الله والحق واحد، وعن أبي الدرداء قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتذاكر الفقرَ ونتخوّفه، فقال: «.... وايمُ الله لقد تركتكم على مثلِ البيضاءِ، ليلُها ونهارُها سواء».قال أبو الدرداء: **"صدق، واللهِ رسولُ الله ﷺ، تَرَكَنَا، واللهِ، على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء"**. [**إسناده حسن**: رواه ابن ماجة (ح٥)]، فبيَّن أن السنة بيضاء واضحة وهي بمعنى النور الذي لا ظلمة فيه، ولذا فهي نهار دائم، وخلافها الظلام الدامس.

٩- أن الهدى والاستقامة في الاتباع وطاعة الله ورسوله:

وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف/١٥٨). فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «.... **فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**». [**صحيح**: رواه ابن أبي عاصم (٢٨/١) ، وأصله عند أحمد وغيره].

١٠- أن الاتباع ينجي من الضلال والانحراف والبدعة:

وثبت عن النَّبي ﷺ: «**تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِهِ**». [**صحيح لغيره**: (الموطأ ٨٩٩/٢) صححه العلامة الألباني في "الصحيحة" (٧٦١)]، وقال

أبوعثمان الحيري: "من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ (النور/٥٤)". [الاعتصام للشاطبي (١/٩٦)]. قال **ابن تيمية** رحمه الله: "وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان **الزهري** يقول: "كان من مضى من علمائنا يقولون: **الاعتصام بالسنة نجاة** والعلم يُقبض سريعاً ..."."[صحيح الإسناد: سنن الدارمي (١/ ٥٨- برقم٩٦)].

وقال **الإمام مالك**: **السنة سفينة نوح** من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق؛ وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله والرسول هو الدليل الهادي الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾(الأحزاب/٤٥، ٤٦)" (الفتاوى٤/٥٦). **وكيع بن الجراح** يقول: «لو أن الرجل، لم يصب في الحديث شيئاً إلا أنه **يمنعه من الهوى** كان قد أصاب فيه ». (صحيح: رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث/ رقم١١٨).

١١- كفاية الله تعالى ونصرته لأهل الاتّباع:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الأنفال/٦٤).

قال **ابن كثير** رحمه الله: "يخبرهم تعالى أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين" (تفسيره٤/ ٨٦)، فالله يكفي رسوله والمؤمنين المتبعين له وينصرهم على الكافرين والمنافقين والمبتدعين.

١٢- بركة الاتباع والطاعة والتسليم:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾(الطلاق/٢)، وعن أم سلمة أنها قالت: سمعت النَّبِيّ ﷺ يقول:

«**ما من مسلم تُصيبهُ مصيبةٌ فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أجُرني في مصيبتي وأَخْلِف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**». قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيُّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إني قلتُها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، **وفي رواية**: قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ. **[رواه مسلم** (ح٩١٨)].

فعن أبي هريرة قال: ذبحتُ لرسول الله ﷺ فقال: «**ناولْني الذِّراع**» فناولته ثم قال: «**ناولني الذراع**» فناولته ثم قال:« ناولني الذراع» قلت: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: «**أما إنك لو ابتغيته لوجدته**» [٥٩]. وفي رواية: «**والذي نفسي بيده لو سكتَّ لناولتني الذراع ما دعوتُ**». ولما استشارت فاطمة بنت قيس رسول الله ﷺ في خطبة أبي جهم، ومعاوية، وأسامة، فبين لها أنه يشير عليها بأسامة بن زيد، فقالت بيدها هكذا: أسامة! أسامة! فقال لها رسول الله ﷺ: «**طاعة الله وطاعة رسوله خير لك**». قالت: "فتزوجته فاغتبطت". **[رواه مسلم** (١٠/١٤٧- رقم١٤٨٠)].

١٣- الاتباع لرسول الله ﷺ ينجي العبد من عذاب القبر:

عن أسماء ابنة أبي بكر رضى الله عنهما أنها قالت: فَلَما انصرَفَ رسول الله ﷺ حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: «... **وأُوحِيَ إليَّ أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنةِ الدجالِ، فأما المؤمنُ - أو المسلم**، لا أدرى أيَّ ذلك قالت أسماءُ- فيقول: **محمدٌ جاءنا بالبيناتِ فأجبناه وآمنّا، فيقال: نَمْ صالحا، علمنا أنَّكَ موقِنٌ، وأما المنافقُ** - أو المرتابُ، لا أدرى أيَّ ذلك قالتْ أسماءُ -فيقول: لا أدرى، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُهُ». (متفق عليه).

---

(٥٩) **صحيح لغيره**: رواه ابن حبان (١٤/٤٠٣-ح٦٤٨٤)، والنسائي في "الكبرى" (ح٦٦٥٩)، وهو حسن الإسناد لأجل محمد بن عجلان. **وله شاهد آخر** من حديث عبد الرحمن بن أبي رافع عن عمته عن أبي رافع مرفوعاً به نحوه ، رواه أحمد (٦/٣٩٢، ٨)، بلفظ: "**لو سكت لناولتني منها ما دعوت**".

١٤- من أطاع الله ورسوله استحق الجنة والنعيم المقيم:

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(النساء/١٣).

وعَنْ أبي هُرَيْرةَ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمتي يَدْخُلون الجنة إِلاّ مَنْ أَبَى**». قالوا: يَا رَسُول الله ومَنْ يَأبَى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعني دَخَلَ الجنةَ، وَمَنْ عصاني فقدْ أَبَى**». (رواه البخاري/٧٢٨٠).

١٥- دخول المتَّبع في ولاية الأنبياء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(آل عمران/٦٨). فمن اتَّبعَ قوماً وأحبهم لحق بهم.

١٦- الاتباع يلحق العبد بالأنبياء والصالحين، ويدرك معيتهم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء/٦٩). قال **القرطبي**: "أي هم معهم في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم ، لا أنهم يساوونهم في الدرجة ؛ فإنهم يتفاوتون **لكنهم يتزاورون للاتباع في الدنيا والاقتداء**". (التفسير٥/ ٢٧٢).

وقال **ابن القيم** رحمه الله: « فأولياء الرَّحْمَن هم المخلصون لرَبهم المحكمون لرَسُوله فِي الْحرم والحل الَّذين يخالفون غَيره لسنته وَلَا يخالفون سنته لغَيْرهَا فَلَا يبتدعون وَلَا يدعونَ إِلَى بدعَة وَلَا يتحيزون إِلَى فِئَة غير الله وَرَسُوله وَأَصْحَابه وَلَا يتخذون دينهم لهوا وَلَعِبًا وَلَا

يستحبون سَماع الشَّيْطَان على سَماع الْقُرْآن وَلَا يؤثرون صُحْبَة الأفتان على مرضاة الرَّحْمَن وَلَا المعازف والمثاني على السَّبع المثاني». (الروح/ ص٢٦٥).

١٧- رسول الله ﷺ نعْمَ الأسوة والقدوة:

وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب/ ٢١)، قال **ابن جرير** رحمه الله: «ان تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه»، وقال **القرطبي** رحمه الله: «يُقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله»، وعن أبي هُريرةَ عن النبي ﷺ قال: «**دَعوني ماَ تَرَكْتكُم، فإنما أهْلك منْ كانَ قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهمْ، فإذا نهيتكم عَن شَئ فَاجْتَنِبوه، وإذا أمَرتكم بشئ فَأْتُوا منه ما اسْتَطعْتُم**». (متفق عليه)، وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(التوبة/ ١٢٠).

وعن **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ لِلرُّكْنِ (الحجر الأسود): "أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ قَالَ فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمْ اللهُ ثُمَّ قَالَ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ". رواه الجماعة، زاد أحمد (١/ ٢١) أن عمر تلا: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾(الأحزاب/ ٢١).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا أُمِرَ، وَسَكَتَ فِيمَا أُمِرَ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم/ ٦٤)، ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ . رواه البخاري (٧٧٤).

وقد سَافَرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: صَحِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ أَرَهُ يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ وَقَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ .[متفق عليه: رواه البخاري (١١٠١)، ومسلم (٦٨٩)].

وعن عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ثُمَّ تَلَا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ . [**متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٤٧)، ومسلم ()].

١٨- الاتباع ينجي من الاختلاف والفرقة، ويجمع الله به القلوب:

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال /٤٦)، عن العرباض بن سارية قال: وعَظَنا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ منها العُيونُ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسولَ الله، إن هذهِ لموعظةُ مُوَدِّعٍ، فماذا تعْهَدُ إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، مَن يعشْ منكم فسيرَى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرَفْتُم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعةِ، وإنْ عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجملِ الأَنِفِ، حيثما قِيدَ انقَادَ**»(٦٠).

١٩- أن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا باتباع السنة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك/٢)، قال **الفضيل بن عياض**: هو أخلص العمل وأصوبه، قالوا: يا أباعليٍّ، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاًلم يُقبل حتى يكونَ خالصاً صواباً، فالخالصُ أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

---

(٦٠) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (ح٤٣) واللفظ له، وأحمد (٤/١٢٧،١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٧/٣١٩-ح٢٦٧٨) وصححه، كما صححه جمع من أئمة هذا الشأن، ومن آخرهم الشيخ العلامة الألباني في "الصحيحة" (٩٣٧)، و "الإرواء" (٢٤٥٥)، وينظر تخريجي له في "الشريعة" (برقم٨٦).

وقال قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(الكهف/١١٠)، قال **ابن القيم** رحمه الله: "فهذا هو العمل المقبول الذي لا يَقبَلُ اللهُ من الأعمال سواه؛ وهو أن يكونَ موافقاً لسنة رسول الله ﷺ مراداً به وجهُ اللهِ". [مفتاح دار السعادة (٣٠٣/١)].

٢٠- عظم أجر المتبع والمتمسك وقت الفتن وغربة الدين:

لقوله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**».رواه مسلم (ح١٤٥) وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**إن من ورائكم زمان الصبر، للمتمسك فيه أجر خمسينَ شهيداً منكم**». [الطبراني (١٠٣٩٤) تراجع الصحيحة/٤٩٤].

٢١- أن في اتباع السنة والعمل بها إحياء لها وسعي في نشرها.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**» رواه مسلم(٢٦٧٤).

٢٢- أن في سنته ﷺ تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ:«**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحِ الأَخْلاقِ**» [(صحيح) رواه أحمد (٣١٨/٢)، وهو في"الصحيحة" (٤٥)].

المبحث الثاني

الآثار السيئة لترك الاتباع وأنه نذير شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة

إن المخالفة أو الاستنكاف عن أمر للنبي ﷺ قد يكون سبباً لهلاك صاحبها أو فتنته في الدنيا والآخرة عياذاً بالله، ومن ذلك:

أ- أن ترك الاتباع قد يزيغ القلب ويحرفه عن الهدى:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(الصف/٥). وقال **الصديق الأكبر** رضي الله عنه: "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ". متفق عليه.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾(النساء/٦١، ٦٢). قال **الشيخ خليل هراس**: "ولقد أُصيب هؤلاء الحمقى المتهوكون بعمى في قلوبهم وفساد في عقولهم جزاء إعراضهم عما جاءهم به نبيهم من الهدى، واستعاضتهم عنه بأقوال مزخرفة مموهة، كلها سفسطة وهذيان". [شرح القصيدة النونية (١٨٥/٢)].

ب- ترك اتباع السبيل هو سبب للتفرق والاختلاف:

لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

وقال **ابن عطية**: "وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل والبدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل الخوض في الكلام، هذه كلّها عرضة للزلل، ومظنّة لسوء المعتقد »، نقله عنه القرطبي في تفسيره، وقال: « قلت: وهو الصحيح". سبق معنا حديث العرباض بن سارية: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**».

ب- ترك الاتباع قد يؤدي إلى الشرك والكفر.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران/ ٣٢).

وعن الفضل بن زياد قال: سمعت **أبا عبد الله أحمد بن حنبل** يقول: "نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور/٦٣). وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟: الشرك، لعله أن يقع في قلبه شئ من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾(النساء/٦٥).

قال **ابن كثير** رحمه الله: « أي: عن أمر رسول الله ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، **وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائناً ما كان**، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عَمَلا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ**» .

أي: فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك.

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول، فهذا **له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لا** سيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باللِّسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، **فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه من عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، .... وإن قلَّد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيباً**، لم يكن عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً، كان آثماً، كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ". [مجموع الفتاوى (٧/٧٢،٧١)].

قال **الصنعاني** رحمه الله: "من اتبع الرسول ﷺ بعد إقامة البرهان زادهم هدى، وآتاهم تقواهم؛ ومن عانده وكابره، وجحد ما أتى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام/ ١١٠).

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الحجر/ ١١: ١٣). أي سلكنا الذكر، أدخلناه في قلوب المجرمين، الذين قد أجرموا بتكذيب ما عملوه حقاً من النبوة والكتاب أي أدخلناه مكذباً به، مستهزئاً به.

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بيان لذلك، أو حال، وهو إخبار أنه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين، لأنه قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغياً، وحسداً، وعدواناً،

فعاقبهم الله بأن لا يهتدوا للإيمان بعد ذلك، ولا تزيدهم آياته إلا طغياناً كبيراً، كما قال تعالى في القرآن: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (فصلت/ ٤٤).

ومراده بـ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هم من أنكروا وجحدوا وكابروا الرسول ﷺ فيما أتى به في أول دعواه من برهان. فالمعنى والذين لا يصدقون بما يجب عليهم تصديقه.

وإني لأخاف ممن حرف الآيات والأحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه، فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة، كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كما أسلفناه في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ (الأنعام: ١١٠)". (إرشاد النقاد/ ص١٥٣: ١٥٤، ١٦٨)

جـ- عدم الاتباع والتسليم يؤدي إلى العاهات في الجسد:

فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: «**كل بيمينك**» ، قال -أي الرجل-: لا أستطيع، فقال له ﷺ: «**لا استطعت**»، ما منعه إلا الكِبر، قال: فما رفعها إلى فيه، رواه مسلم (١٣/ ٢٧٨-٢٠٢١). وعن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، ...، فلما أتينا تبوك قال: «**أما إنها ستهبُّ ريحٌ شديدة، فلا يقومن أحدٌ، ومن كان معه بعير فليعقِلْهُ**»، فعقلناها، وهبَّت ريح شديدةٌ فقام رجل فألقته بجبل طيءٍ" [رواه البخاري (ح١٤٨١)].

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب يُوَدِّعُهُ بحجٍّ أو عُمرةٍ، فقال له: لا تبرح حتى تصلي، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال:«**لا يخرج بعدَ الأذان من المسجد إلا منافق، إلا رجلٌ أخرجتهُ حاجةٌ وهو يريد الرَّجعةَ إلى المسجد**».فقال: إن أصحابي بالحَرَّة قال: فخرج، قال: فلم يزل سعيد

يُولعُ بذكره حتى أُخْبِرَ أنه وقع من راحلتِهِ فانكسرت فَخِذُهُ. [**إسناده حسن**: أخرجه الدارمي (٤٦٠)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لددنا النبي ﷺ في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: **ألم أنهكم أن تلدوني؟**، قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: **لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ** -وأنا أنظر-، **إلا العباس فإنه لم يشهدكم**»[٦١].

فانظر رحمكم الله كيف يفعل التأويل بأهله، وعدم الأخذ بالنصوص على ما هي عليه.

قال الإمام الطبراني سمعت **أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي** قال: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه.

فقال: "ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط"[٦٢].

"عن أبي هريرة رضي الله عنه : «**أن رسول الله ﷺ نهى يشرب من فِيِّ السقاء**»[٦٣].

قال أيوب: فأنبئت أن رجلاً شرب من في السقاء فخرجت حية[٦٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يتبختر في بردين خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها على يوم القيامة**»[٦٥].

فقال له فتى -قد سماه، وهو في حلة-: يا أب هريرة، أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به؟ ثم ضرب بيده فعثر عثرة كاد يتكسر منها.

---

(٦١) **صحيح**: رواه البخاري (ح٥٧١٢).

(٦٢) الرحلة في طلب الحديث (٢/٨٥)، قال النووي: إسناد هذه الحكاية كرأي العين لأن رواتها أعلام أئمة.

(٦٣) أخرجه البخاري (ح٥٦٢٧، ٥٦٢٨).

(٦٤) أخرجه أحمد ١٢/٦٦ (ح٧١٥٣).

(٦٥) أخرجه الدارمي (ح٤٣٧). وأصل الحديث متفق عليه بدون ذكر قصة الفتى خ٥٧٨٩، م٢٠٨٨.

فقال أبو هريرة: للمنخرين وللفم: ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾ [الحجر: ٩٥].

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل التيمي –في شرحه لصحيح مسلم: قرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده**»[٦٦].

قال ذلك المبتدع –على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي في الفراش!! فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه.

قال التيمي: فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله[٦٧].

قال القاضي أبو الطيب: كنا في مجلس بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة، فطالب بالدليل، حتى استدل بحديث أبي هريرة الوارد فيها، فقال –وكان حنيفياً: أبو هريرة غير مقبول الحديث ..

فما استتم كلامه، حتى سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه، فقيل له: تب، تب.

فقال: تبت. فغابت الحية، فلم يُرَ لها أثر.

قال الذهبي: إسنادها أئمة[٦٨].

قال قطب الدين اليُونيني: بلغني أن رجلاً يدعى أبا سلامة من ناحية بصري –كان فيه مجون واستهتار– فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: والله لا أستاك إلى في المخرج –يعني دبره فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه. فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو من ألم في البطن والمخرج.

---

(٦٦) أخرجه البخاري (ح١٦٢)، ومسلم (ح٢٧٨).

(٦٧) بستان العارفين للنووي (٩٤).

(٦٨) سير وأعلام النبلاء (٦١٨/٢)، وانظر البداية والنهاية (١٩٩/١٦).

فوضع ولداً على صفة الجرذان له أربعة قوائم، ورأسه كرأس السمكة، وله دبر كدبر الأرنب. ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين، ومات في الثالث. وكان يقول: هذا الحيوان قتلني، وقطع أمعائي. وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية، وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً، ومنهم من رآه بعد موته[٦٩]"[٧٠].

د- ترك الاتباع يكون سبباً في قطع الخير عن العبد:

وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾(المائدة/٩٢)، وعن عمران بن حصين قال: نهى النبي ﷺ عن الكي، **فاكتوينا فما أفلحن ولا أنجحن**.قال أبو داود: "وكان يسمع تسليم الملائكة فلما اكتوى انقطع عنه، فلما ترك رجع إليه". [**صحيح على شرط مسلم**: رواه أبو داود (١٠/٣٤٤)، ينظر "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٥/٢٣)]

هـ- ترك الاتباع يلحق السوء بالعبد في أهله أو نفسه:

جاء في رواية ابن خزيمة عن ابن عمر قال: **نهى رسول الله ﷺ أن تطرق النساء ليلاً**، وأخرجه من حديث ابن عباس بنحوه وفيه: "فطرق رجلان كلاهما وجد مع امرأته رجلاً". (صحيح)، وهكذا تكون عاقبة من بلغه الحديث فخالفه عياذاً بالله.

وعن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «**ما اسمك؟**» قال: حزن، قال: «**أنت سهل**»، قال: لا أغيِّرُ اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: "**فما زالت الحزونة فينا بعد**". [رواه البخاري (ح٦١٩٠)].

---

(٦٩) البداية والنهاية، أحداث ٦٦٥هـ.

(٧٠) تعظيم السنة/ عبد القيوم السحيباني/ ص١٨-٢٢.

و- ترك الاتباع يؤدي إلى هلاك وموت العبد:

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ (الأنفال/٢٠، ٢١).

وعن ابن عباس قال: دخل النبي ﷺ على أعرابي يعوده، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**»، فقال: لا بأس طهور إن شاء الله، قال: قلت طَهور؟ **كلاّ بل هي حمَّى تفور أو تثور، على شيخ كبير تُزيرَه القبور**، فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذاً**». **[فما أمسى من الغد إلا ميتاً]**(٧١).

ز- أن ترك الاتباع ورفع كلام الناس فوق كلامه ﷺ مؤذن بإحباط العمل:

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ (الحجرات/٢).

قال **الشيخ العلامة الشنقيطي** رحمه الله: "فعلينا معاشر المسلمين أن نتأمل هذه الآيات القرآنية ونعتقد ما تضمنته ونعمل به لنكون بذلك مطيعين لله تعالى ولرسوله ﷺ معظمين لله ولرسوله، لأن أعظم أنواع تعظيم رسول الله ﷺ، هو اتباعه والاقتداء به".

قال القاضي **أبو بكر ابن العربي** رحمه الله: "حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ... وكلامه ﷺ من الوحي، وله من الحكمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة". (تفسير القرطبي١٦/٣٠٧).

وقال **ابن القيم**: "وكان أحمد إذا وجد نصا أفتى بموجبه ولا يلتفت على ما خالفه أو من خالفه كائنا من كان، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت وقال: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ، يرى أنه يجب الإنصات عند قراءة حديثه ﷺ كما يجب ذلك عند سماع قوله ﷺ".

---

(٧١) **رواه البخاري** (ح٣٦١٦)، ذكر الحافظ أن هذه الزيادة رواها الطبراني وغيره (فتح الباري٦/٧٢٣)، وهي عند من حديث شرحبيل الجعفي (٧/٣٠٦)، وقد رواها عبدالرزاق (٢٠٣٠٩) مرسلاً بمعناها.

ح- أن مخالفة الاتباع، والابتداع سبب لعدم ورود حوضه ﷺ:

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني ممسك بحجزكم: هلُمَّ عن النار، هلم عن النار، وتغلبوني وتقاحمون فيها تقَاحم الفراش والجنادب، فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فَرطكم على الحوض، فتردون علي معا وأشتاتا، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم، كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله، فيُذْهَب بكم ذات اليمين وذات الشمال، فأناشد فيكم رب العالمين: أي ربِّ، قومي، أي رب أمتي، فيقال: يا محمد، **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرَى على أعقابهم».

[**حسن صحيح**: رواه البزار في مسنده برقم (٩٠٠) وابن عبد البر في التمهيد (٣٠٠/٢)].

ط- أن مخالفته توجب النار والعذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(النساء/١١٥). وأهل البدع كلهم الذين يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ويتبعون غير سبيل الله المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فيصيبهم من الفتنة أو العذاب بقدر مشاقتهم للرسول واتباعهم غير سبيل المؤمنين ويصيبهم من الذل والهوان في الدنيا والعذاب في الآخرة بقدر ذلك.

الفصل الثالث

عوائق في وجه الاتباع

تقدم ما تيسر من الكلام المختصر على وجوب الاتباع وأهميته وثماره فيما مضى، ومما ينبغي أن يعلَم أن الصد عن السنة واتباعها هو من الصدّ عن سبيل الله تعالى الذي كان الكفار يقومون به، ويسعون فيه كما قال عز وجل: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ (النساء/٥٤: ٥٥).

وقد قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنفال/٤٦: ٤٧).

فإذا كان الراد للسنة وتارك اتباعها على شفا هلكة فكيف بالصاد عنها؟! قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(الأنعام/٢٥: ٢٦).

ولم يقف الأمر إلى حد صد الكفار والمشركين عن سبيل الله، واتباع السنة، بل تعدّى ذلك أيضاً غيرهم من المنافقين والمنافقات، والذين تشبهوا بهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(النساء/٦١)، فكل من أعرض عن السنة والحديث، وحاول إبعاد الناس عن الحديث، قراءة وحفظاً، ودراسة وفقهاً،

وصد عن ذلك بأي نوع من أنواع الصدود، أو وضع عوائق وحواجز دون ذلك، فله نصيب من ذلك، وله شبه بالمنافقين علم أو لم يعلم، قصد أو لم يقصد، وقد بقي الكلام عن بعض العوائق المشهورة، كي يحذر الناس هذه السبل الوخيمة، والطرق المعوجة، والتي تحول دون اتّباع النبي ﷺ، والأمور التي صدت الناس عن السنة والحديث والأثر كثيرة فمن ذلك:

١ – الرأي:

قد وردت نصوص كثيرة تدعو إلى التمسك بالسنة، وعدم معارضتها بشيء من الرأي والعقل والهوى، أو الذوق والوجد، أو العادات والتقاليد والأعراف، مع النهي عن الخوض في شئ من الدين بغير علم ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(الإسراء/٣٦)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام/٧١). قال **قتادة**: "خصومة علمها الله محمداً ﷺ، وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة". [(**إسناده صحيح**): رواه ابن جرير في "تفسيره" (١٥٤/٧)] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **إنّ الله لا ينزِع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهَّال يستفْتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**».(متفق عليه) وقال **سهل بن حنيف** رضي الله عنه: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته...". (متفق عليه)

وقال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: "لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه". [**صحيح**: رواه أبو داود (٢٧٨/١) وصححه شيخنا في (الإرواء ١٠٣)]

وقال **ابن مسعود**: "ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب العلماء، **ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام**"(٧٢). وقال

---

(٧٢) **صحيح لغيره**: رواه الدارمي (ح١٨٨)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ح٤٨٣)، والفتح (٢٩٦/١٣)، **وحسن إسناده الحافظ** في "الفتح" (٢٣/١٣)!!.**قلت**: مدار إسناده على مجالد وهو ابن سعيد وهو: "ضعيف"، قال عنه الحافظ

الشاطبي: "إن الرأي من حيث هو رأي لا ينضبط إلى قانون شرعي إذا لم يكن له أصل شرعي، فإن العقول تستحسن ما لا يستحسن شرعاً، وتستقبح ما لا يستقبح شرعاً، وإذا كان كذلك، صار القياس على غير أصل فتنة على الناس". [الاعتصام للشاطبي تحقيق الهلالي (٢/٧٩٥)]

وكان من نتيجة ذلك أن كان التكلف والتنطع والسؤال عما لم يقع والانشغال به، والخصام فيه، وترك التفقه في أصول العلم مما جاءت به النصوص، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾(ص/٨٦)، **فأخذ كثيرون في البحث عن المسائل وتشقيقها والتنقير عما لم يأت به نص صريح، وإعمال العقل، والحكم على المسائل بالرأي، وترك ما جاء بيانه واضحاً في الكتاب والسنة، واعلم أن تشقيق المسائل، وكثرة التفريع ليس من الفقه في شئ.**

سأل رجل **ابن عمر** رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: أرأيت إن زحمت، أرأيت إن غلبت؟ قال: "اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله"،(رواه البخاري/١٦١٢) وفي **رواية**: "اجعل أرأيت عند ذاك الكوكب". [رواه أبوداود الطيالسي،والطبراني (١٣٠٥٨)]، فرحم الله **ابن أبي داود** إذ قال في حائيته:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح.

وقَالَ **عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ**: اجْتَمَعَ سُفْيَانُ وَابْنُ جُرَيْجٍ فَتَذَاكَرَا مَسَّ الذَّكَرِ، فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : يَتَوَضَّأُ مِنْهُ، وَقَالَ سُفْيَانُ: لاَ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ. فَقَالَ سُفْيَانُ : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَمْسَكَ بِيَدِهِ مَنِيًّا مَا كَانَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : يَغْسِلُ يَدَهُ. قَالَ : فَأَيُّهُمَا أَكْبَرُ الْمَنِيُّ أَوْ مَسُّ الذَّكَرِ؟ فَقَالَ : مَا أَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِكَ إِلاَّ الشَّيْطَانُ.

قَالَ **البيهقي**: وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَنَّ السُّنَّةَ لاَ تُعَارَضُ بِالْقِيَاسِ. (سنن البيهقي الكبرى/٦٦٦).

وقال قوَّام السنة **أبو القاسم الأصبهاني**: "ما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، **ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب**، وينهونا عن لقائهم ومجالستهم ويحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور وزجر عن ذلك وحذره المسلمين في غير موطن، حتى كان من قوله ﷺ في كراهية ذلك أن قال:«**ذروني**

نفسه: "ليس بالقوي، وتغير في آخر عمره" (التقريب). **ورواه** البيهقي (٣/٣٦٣)، مقتصراً منه على شطره الأول، كما يشهد لأوله حديث أنس مرفوعاً عند الترمذي (ح٢٢٠٧)، وهو في "الصحيحة" (ح١٢١٨)، ورواه البخاري في "صحيحه" بمعناه (٧٠٦٨)، **وله طريق أخرى** عن ابن مسعود ذكرها الحافظ (١٣/٢٣).

ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم»، فأي أمر أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا. [**صحيح**: رواه الآجري في "الشريعة" (ح١٣٠)، وهو في الحجة في بيان المحجة (٢٨٥/١)].

وقال **ابن حزم** رحمه الله: « الصحابة ...كلهم يتبرأ من الرأي ويذمه، ، ويحذّر منه، وينهى عن التدين به ، ... ولا أن أحداً منهم صحح القول بالرأي وأثبته، بخلاف ما عليه هؤلاء الذين جعلوا رأي أبي حنيفة ومالك ديناً، يتركون له القرآن والسنة، ويضللون من خالفه واتبع القرآن والسنة، وما مضى عليه الصحابة والتابعون.... ولا نزاع عند كل مسلم أن الدين الذي هو الشرع اللازم لكل مسلم، لا تخيير في قبوله، ولا في لزومه، فلا خيار يومئذ في الدين، والدين كله واجب أخذه، وصح أن الرأي ليس من الدين، فإذ ليس هو من الدين، والدين من عند الله فليس الرأي من عند الله، وهذا واضح لمن نصح نفسه، ولعمري إن الرأي ليس من الدين في شئ وإنما هو: وهلة فاضل، وزلة عالم ممن سلف، وبدعة مقلّد من خلَف فقط، .... فهؤلاء التابعون، كلهم يذم الرأي ولا يوجب اتباعه، ولا سبيل إلى أن يؤجد أحَد من التابعين أنه جعل الرأي ديناً، فضلل من خالفه كما يفعل هؤلاء، وصح أنهم قد خرقوا الإجماع في ذلك بلا شك». (الصادع لابن حزم/ص٦٠٣: ٦١٣ مختصراً).

هل تهجر كتب الفقه المصنَّفة في المذاهب؟

ويقول العلامة الشيخ: **سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** –رحمهم الله تعالى– في هذا الشأن: "فإن قلت: فماذا يجوز للإنسان من قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟!.

قيل: **يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل، فتكون من نوع الكتب الآلية، أما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ فلا، على أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم قد نهوا عن تقليدهم مع ظهور السنة** . . ." . ثم نقل عن الأئمة الأربعة كلامهم المشهور عنهم في هذا الصدد، ثم قال –رحمه الله–: "وكلام الأئمة مثل هذا كثير، **فخالف المقلّدون**

ذلك، وجمدوا على ما وجدوه في الكتب المذهبية، سواء كان صواباً أم خطأً، مع أن كثيراً من هذه الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ليست أقوالاً لهم منصوصاً عليها، وإنما هي تفريعات ووجوه واحتمالات، وقياس على أقوالهم، ولسنا نقول: إن الأئمة على خطأ، بل هم إن شاء الله على هدى من ربهم، وقد قاموا بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته، ولكن العصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ، فهو الذي:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣، ٤) **فما العذر في اتباعهم، وترك اتباع الذي لا ينطق عن الهوى؟**". [تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص/٥٤٨)]. ومع ذلك يزعم المتعصبون للمذاهب أن أقوال متبوعيهم دين لازم اتباعه!! زاعمين أن: "اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية"، أو يقولون: "اللامذهبية قنطرة اللادينية".

٢- التقليد:

أ- تقليد السادة والرؤساء:

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ﴾(الأحزاب/٦٧).

ب- الآباء والأجداد والعادات:

قال تعالى حاكياً عن حال المشركين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(سورة الزخرف/٢٣).

جـ- تقليد المشايخ والعلماء:

قال أبو عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي: "التقليد معناه في الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، و **الإتباع: ما ثبت عليه حجة".وقال في موضع آخر: " كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قَبولُه بدليلٍ يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد**

في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه، **والإتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع**". قال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ (النور/٦٣)، ومن أوضحه قول الله تعالى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(التوبة/٣١).

[نقلاً من كتاب: صحيح جامع بيان العلم وفضله/ص٤١٨، ٤١٩].

وفي هذا يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمر به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال". [اقتضاء الصراط المستقيم (٧٦/١)].

وقد ثبت من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن أُفتي بفُتيا غير ثبت فإنما إثمها على من أفتاه**»، [**صحيح لغيره**: رواه الدارمي (١٥٩)، وغيره]، كما أن **القُضاة ثلاثة**: قاضيان في النار وواحد في الجنة(٧٣) **فالمُفتون ثلاثة**، ولا فرق بينهما إلا في كون القاضي يلزم بما أفتى به، والمفتي لا يلزم به. وعن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: "إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم شر الكلام؛ فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله، من كان منكم قائماً فليقم بكتاب الله، وإلاّ فليجلس". [**إسناده صحيح**: رواه ابن عبد البر في "الجامع"]، قال **ابن حزم**: " فهذا قول عمر لأفضل قرن على ظهر الأرض فكيف لو أدرك ما نحن فيه من ترك القرآن وكلام محمد ﷺ ، وكلام أصحابه، والإقبال على ما قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وحسبنا الله ونعم الوكيل وإنا لله وإنا إليه راجعون!"، وبنحوه قال ابن عبدالبر.

قال **ابن مسعود** : "ألا لا يقلدَنَّ أحدُكم دينَه رجلاً إن آمن، آمن وإن كفر، كفر، فإنه لا أسوة في الشر"، [**صحيح**: هو عند ابن عبد البر (ح١٨٨٢)، ورواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ح٧٥٧)] وفي رواية: " **لا تقلدوا دينكم الرجال**، فإن أبيتم فبالأموات لا بالأحياء".[حسن: رواه اللالكائي (ح١٣١، ١٣٠)] قال **معاذ**: " العالَم لا تقلدوه دينَكُم". [**حسن**: رواه ابن عبد البر (ح١٨٧٢)]

قال **معاوية لابن عباس**: "**أنت على ملة علي؟.قال: لا، ولا على ملة عثمان، ولكني على ملة النبي ﷺ**". وفي لفظ: عن **ابن عباس** قال: قال لي معاوية: أنت علوي؟ قلت: ما أنا بعلوي ولا عثماني، ولكني على ملة رسول الله ﷺ".

---

(٧٣) **صحيح**: ثبت ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ، من حديث ابن عمر ينظر تخريجه في "الإرواء" (٢٦١٤).

[**إسناده صحيح**: رواه ابن حزم في "الأحكام" (١/٥٧٤) (٢/٨٨٠)، واللالكائي (١/٩٤-ح١٣٣)]

قال ابن حزم: "فإذا كان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم لا يستجيزون نسبة ما يتعبدون به ربهم ولا مذاهبهم إلى أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا إلى علي، ولا ينتسبون إلى أحد دون رسول الله ﷺ فكيف بهم لو شاهدوا ما نشاهده من المصائب الهادمة للإسلام على من امتحنه الله به من الانتماء إلى مذهب فلان وفلان، والإقبال على أقوال مالك وأبي حنيفة والشافعي، وترك أحكام القرآن وكلام النبي ﷺ ظهرياً، والحمد لله على تثبيته إيانا على دينه، وسنته التي مضى عليها أهل الأعصار المحمودة قبل أن **تحدث بدعة التقليد** وتفشو وبالله نعتصم". [الأحكام لابن حزم (٢/٨٨١)]، وعن عبيد بن الحسن قال: قالت الخوارج **لعمر ابن عبد العزيز**: نريد أن تسير فينا بسيرة عمر بن الخطاب، قال: عمر بن عبد العزيز: "**قاتلهم الله!، والله ما أردت دون رسول الله إماماً**". [**صحيح**: رواه ابن حزم (ح١/٥٧٥)] وعن **ابن عيينة** قال: اضطجع ربيعة مُقَنّعاً رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم: ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروا به ائتمروا!" [**صحيح الإسناد**: رواه ابن عبد البر في "جامعه" (ح١٨٨٥)].

نهي الأئمة الأربعة عن تقليدهم:

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة؛

فقد قال الإمام أبوحنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"(٧٤).

وقال أيضاً: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه"(٧٥).

قال **شيخنا العلامة**: "فإذا كان هذا قولهم فيمن لم يعلم دليلهم، فليت شعري!، ماذا يقولون فيمن علم أن الدليل خلاف قولهم، ثم أفتى بخلاف الدليل؟

فتأمل في هذه الكلمة، فإنها وحدها كافية في تحطيم التقليد الأعمى، ولذلك أنكر بعض المقلدة من المشايخ نسبتها إلى أبي حنيفة حين أنكرت عليه إفتاءه بقول لأبي حنيفة لم يعرف دليله! (٧٦).

---

(٧٤) ينظر تخريجه في صفة الصلاة" (ص٤٦).

(٧٥) ينظر تخريجه في صفة الصلاة" (ص٤٦).

(٧٦) صفة الصلاة" (ص٤٧).

الإمام أبي حنيفة رحمه الله:

وقال **أبو حنيفة** أيضاً: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي"، -زاد في رواية:- "فإننا بشر، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً"(٧٧).

وفي رواية عنه: "ويحك يا يعقوب! (وهو أبو يوسف): لا تكتب كلَّ ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد"(٧٨).

وفي «روضة العلماء الزندويستية في فضل الصحابة»: " قيَل لأبي حنيفة: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه؟

قال: اتركوا قولي بكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه؟

قال: اتركوا قولي بخبر الرسول ﷺ، فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟

قال: اتركوا قولي بقول الصحابة"(٧٩).

الإمام مالك بن أنس رحمه الله:

وقال جعفر الفريابي: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني الهيثم بن جميل قال: قلت **لمالك بن أنس**: يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً وضعوا كتباً يقول أحدهم ثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا وفلان عن إبراهيم بكذا، ويأخذ بقول إبراهيم، قال مالك: وصحَّ عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم، فقال مالك: هؤلاء يستتابون(٨٠). وقال **أيضاً**: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"(٨١). وقال **أيضاً**: "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ"(٨٢).

---

(٧٧) ينظر تخريجه في صفة الصلاة" (ص٤٧).

(٧٨) ينظر تخريجه في صفة الصلاة" (ص٧٦).

(٧٩) إرشاد النقاد (ص١٤١، ١٤٢)، والقول المفيد للشوكاني (ص٢٢، ٢٣).

(٨٠) تقدم (ص٢٤٩).

(٨١) صفة الصلاة (ص٤٨).

(٨٢) ينظر تخريجه في "صفة صلاة النبي ﷺ" (ص٤٩).

وقال أيضاً: "". (ذم الكلام/٨٦١).

الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله:

وقال **الشافعي**: "مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليلٍ، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري"(٨٣).

وقال **أيضاً**: "ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول، أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي"(٨٤).

وقال **أيضاً**: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت"، وفي رواية: "فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد"(٨٥).

وقال أيضاً: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"(٨٦).

وقال **أيضاً**: "كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي"(٨٧).

وقال **أيضاً**: "كل ما قلت، فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي أولى؛ فلا تقلدوني"(٨٨).

الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله:

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك؟ قال: "لا تقلد دينَك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعي بعدَ الرجل فيه مخير"(٨٩).

قال **ابن القيم**: وقد فرق أحمد بين التقليد والإتباع.

---

(٨٣) رواه البيهقي ().

(٨٤) ينظر تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٠).

(٨٥) **صحيح الإسناد**: يراجع تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٠).

(٨٦) ينظر تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٠).

(٨٧) ينظر تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٢).

(٨٨) **إسناده صحيح**: يراجع تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٢).

(٨٩) مسائل الإمام أحمد (ص٢٧٦).

فقال أبو داود: سمعت **أحمد** يقول: "الإتباع أن يتبع الرجلِ ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير"(٩٠).

وقال **أيضاً**: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا"، وقال: "من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال"(٩١).

شبهة: يقول بعضهم هذا في حق المجتهدين، وتلاميذ الأئمة، لا في حق المقلدين:

الجواب عنها:

قال الإمام **أبو حنيفة**: "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ، فاتركوا قولي".

وقال **الشافعي**: "كل ما قلت، فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي أولى؛ فلا تقلدوني"(٩٢).

قال **الفلاّني** معلقاً عليه: "هذا ونحوه ليس في حق المجتهد، لعدم احتياجه في ذلك إلى قولهم، بل هو في حق المقلد"(٩٣).

وقال **الشعراني**: "فإن قلت: فما أصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ بها؟.

فالجواب: "الذي ينبغي لك أن تعمل بها، فإن إمامك لو ظفر بها، وصحت عنده، لربما كان أمرك بها؛ فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة، ومن فعل ذلك، فقد حاز الخير بكلتا يديه، ومن قال: لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي.

فاته خير كثير ، كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب، وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة، فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك

---

(٩٠) المصدر السابق.

(٩١) إعلام الموقعين (٣٠٢/٢)، وصفة الصلاة (ص٥٣).

(٩٢) **إسناده صحيح**: يراجع تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٢).

(٩٣) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص١٥٠).

الأحاديث التي صحت بعدهم، لأخذوا بها، وعملوا بما فيها، وتركوا كل قياس كانوا قاسوه، وكل قول كانوا قالوه"(٩٤).

أقوال علماء وأئمة كل مذهب ممن ذم التقليد أو نهى عنه:

ولما كان كل أصحاب مذهب لا يقبلون الحق إلا من أصحابهم فها أنا ذا أنقل من أقوال علماء كل مذهب من المذاهب الأربعة بعدما نقلت جملة من أقوال أئمة المذاهب، ليعلم القاصي والداني أن ذم التقليد والنهي عنه كان أمراً سائداً مشهوراً عند العلماء الأوائل، وأن القول بالتقليد وإلزام الناس به قول مبتدع بعد قرون الخيرية.

المذهب الحنفي:

وقال بشر بن الوليد: قال **أبو يوسف** : "لا يحل لأحد أن يقول مقالَتنا حتى يعلم من أين قلنا"(٩٥).

وقال الإمام **الطحاوي**: "لا يقلد إلا عصبي أو غبي"(٩٦).

المذهب المالكي:

قال **أبو عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي**: الإتباع: ما ثبت عليه حجة".

وقال في موضع آخر من كتابه: "كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قَبولُه بدليلٍ يوجب ذلك فأنت مقلده، **والتقليد في دين الله غير صحيح**، وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه، **والاتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع**". (جامع بيان العلم/).

قال أبو عمر ابن عبد البر: قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ (التوبة: ٣١).

وروي عن **حذيفة وغيره**(٩٧) قال: "لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحلُّوا لهم وحرَّموا عليهم فاتبعوهم". (جامع بيان العلم/).

---

(٩٤) صفة الصلاة (ص٤٨).

(٩٥) ينظر تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٥٠).

(٩٦) ينظر تخريجه في "صفة الصلاة" (ص٤٥).

(٩٧) يأتي تخريجه ضمن حديث عدي بن حاتم الآتي تحت أدلة تحريم التقليد.

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «وذلك هو معنى اتخاذهم إياهم أربابا، ويفهم من هذه الآيات بوضوح لا لبس فيه أن من اتبع تشريع الشيطان مؤثرا له على ما جاءت به الرسل، فهو كافر بالله، عابد للشيطان، متخذ الشيطان ربا، وإن سمي اتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء؛ لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظ عليها، كما هو معلوم»(أضواء البيان ١/٣٠٧).

المذهب الشافعي:

وقال **إسماعيل بن يحيى المزني** في مختصره: "اختصرت هذا من علم الشافعي، ومن معنى قوله، لأُقَرِّبَهُ على من أراده، مع إعلامية نَهْيِه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه". والله أعلم.

المذهب الحنبلي:

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "قد ذم الله تعالى في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله، وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول، وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان، في سره وعلانيته، وفي جميع أحواله.

وهذا من الإيمان قال الله تعالى-: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾(النساء/٦٥).

وقال: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا**﴾().

وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعاً من القرآن، وطاعته طاعة لله، وهي: عبادة الله وحده لا شريك له، وذلك دين الله وهو الإسلام، وكلمن أمر الله بطاعته من عالم وأمير ووالد وزوج، فلأن طاعته طاعة لله، وغلا فإذ أمر بخلاف طاعة الله فإنه لا طاعة له.

والعالم إذا أفتى المستفتي ما لم يعلم المستفتي أنه مخالف لأمر الله، فلا يكون المطيع لهؤلاء عاصياً.

وأما إذا علم أنه مخالف لأمر الله فطاعته في ذلك معصية لله.

ولهذا نقل غير واحد الإجماع على أنه لا يجوز للعالم أن يقلّد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذي جاء به الرسول.

فهنا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع.

والمقصود هنا أن التقليد المحرم بالنص والإجماع، أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك كائناً من كان المخالف لذلك.

قال الله تعالى: ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولاً، وقال الرسول: يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾(الفرقان/).

وقال تعالى: ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب**﴾()إلى قوله: ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾()، فذكر براءة المتبوعين من أتباعهم في خلاف طاعة الله، ذكر هذا بعد قوله: ﴿**وإلاهكم إله واحد**﴾ ()، فالإله الواحد هو: المعبود والمطاع، فمن أطاع متبوعاً في خلاف ذلك فله نصيب من هذا الذم.

ثم إنه سبحانه لما ذكر حال من يقول على الله بلا علم بل تقليداً لسلفه، (وهذا) حال من عدل عنها إلى خلافها والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلد أحداً من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول، سواء كان صاحباً او تابعاً أو أحد الفقهاء المشهورين الأربعة أو غيرهم.

وأما من ظن أن الذين قلدهم موافقون للرسول فيما قالوه، فإن كان قد سلك في ذلك طريقاً علمياً فهو مجتهد له حكم أمثاله، وإن كان متكلماً بلا علم فهو من المذمومين.

ومن ادعى إجماعاً يخالف نص الرسول من غير نص يكون موافقاً لما يدعيه، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم، وأن الإجماع ينسخ النص كما تقوله طائفة من أهل الكلام والرأي فهذا من جنس هؤلاء.

وأما من يعتقد أن الإجماع يدل على نص لم يبلغنا يكون ناسخاً للأول، فهذا وإن كان لم يقل قولاً سديداً فهو مجتهد في ذلك، يبين له فساد ما قاله.

كمن عارض حديثاً صحيحاً بحديث ضعيف اعتقد صحته، فإن قوله وإن لم يكن حقاً لكن يبين له ضعفه، وذلك بأن يبين له عدم الإجماع المخالف للنص، أو يبين له أنه لم تجتمع الأمة على مخالفة نص

إلا معها نص معلوم يعلمون أنه الناسخ للأول، فدعوى تعارض النص والإجماع باطلة، ويبين له أن مثل هذا لا يجوز، فإن النصوص معلومة محفوظة، والأمة مأمورة بتتبعها واتباعها"[٩٨].ا-هـ مختصراً.

المذهب الظاهري:

قال **ابن حزم**: «واعلموا رحمكم الله أني أقول إعلاناً لا أسره أن تقليد الآراء لم يكن قط في قرن الصحابة ولا في قرن التابعين ولا في قرن تابعي التابعين وهذه هي القرون التي أثنى النبي ﷺ عليها، **وإنما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسان النبي** ﷺ، وأنه لا سبيل إلى وجود رجل واحد في القرون الثلاثة المتقدمة قلّد صاحباً أو تابعاً أو إماماً أخذ عن في جميع قوله، فأخذه كما هو وتدين به وأفتى به الناس، فالله الله في أنفسكم! لا تفارقوا ما مضى عليه جميع الصحابة أولهم عن آخرهم وتابعهم عن متبوعهم، وتابعو التابعين أولهم عن آخرهم، دون خلاف من واحد منهم من ترك التقليد واتباع أحكام القرآن وحديث النبي ﷺ وروايته والعمل به.

فاجتنبوا هذه الحادثة في القرن المذموم المخالفة للإجماع المتقدم، وبعد أزيد من مائتين وخمسين عاماً من موت النبي ﷺ فكل بدعة ضلالة، فقد نصحت لكم وأديت ما لزمني في ذلك، وبقي ما عليكم فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «**الدين النصيحة**». إلى أن قال: «ولنعرف ما اختلف فيه العلماء فيعرض على كتاب الله عز وجل وعلى حديث النبي ﷺ فلأي تلك الأقوال شهد القرآن والسنة أخذنا به، ونترك سائر ذلك إن كنا نؤمن بالله واليوم الآخر...» [٩٩].

مذهب أهل الحديث

أعظم المذاهب على الإطلاق مذهب أهل الحديث، وقد هجره أكثر الناس، ظناً منهم أن المذاهب هي أربعة فقط، ولذلك أسباب ليس هذا موضع سردها، وقد ذكرتها في غير هذا الموطن بشيء من التفصيل، والخلاصة أن مذاهب العلماء كثيرة جداً، وأعظمها وأجلها، وأكثرها نفعاً وأصوبها طريقاً وأفضلها علماً هو مذهب أصحاب الحديث، وله أصوله وقواعده، وكل من تجرد للدليل، وطلب الحق من مظانه، واتبع النصوص، وتمسك بها ودعا إليها على منهج السلف الصالح، واقتدى بالسنة والآثار. قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله-: «مذهب أهل الحديث، وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف». مجموع الفتاوى (٦/٣٥٥). وقال **الحاكم أبوعبدالله** رحمه الله: «وهو يذكر

---

(٩٨) مجموع الفتاوي (١٩/٢٦٠-٢٦٧).

(٩٩) كتاب: "التلخيص لوجوه التخليص" لابن حزم (ص١٣٣: ١٣٨) بإختصار يسير.

فضل أصحاب الحديث وطلّابه: **هم قوم سلكوا محجة الصالحين واتّبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ** قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدّمن والأوكار، نبذوا الدّنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة واستراحهم المذاكرة، فعقولهم بلذاذة السنّة غامرة، وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، **تعلّم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنّة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم**» ا-هـ . الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (٢٠٠- ٢٢١) .

فنحن نعظمهم ونعرف لهم حرمتهم، ومكانتهم، لقربهم من النبي ﷺ وسنته، وآثاره، قال **صالح بن أحمد بن حنبل** يقول: سمعت أبي يقول: «**من عظّم أصحاب الحديث، تعظّم في عين رسول الله، ومن حقرهم، سقط من عين رسول الله، لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ**». مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٢٤٧).

أنشد **أبوالمعالي هبة الله بن علي بن إبراهيم الشيرازي:**

رواة أحاديث الرسول عصابة .. . بهم يثبت الإسلام والدين في الدنيا

فلولاهم لم يبد للدين منصب .. . ولم يك بين الناس حكم ولا فتيا

المنتخب من معجم الشيوخ السمعاني (ص٢٩١)

وقال **أحمد** -رحمه الله-: "أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم".وبنحو هذا قال الأوزاعي

وقال **ابن المبارك** -رحمه الله-: «أثبت الناس على الصراط: أصحاب الحديث»[١٠٠] .

وقال **الشافعي**: "من كتب الحديث قويت حجته"[١٠١].

وقال **هارون الرشيد**: "طلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث"[١٠٢].

وقال **ابن قتيبة** -رحمه الله-:«فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا من الله تعالى، بإتباعهم سنن رسول الله ﷺ».ا.هـ[١٠٣].

---

(١٠٠) شرف أصحاب الحديث (رقم١١٧).

(١٠١) المصدر السابق (رقم١٤٨).

(١٠٢) المصدر السابق (رقم١١٠).

(١٠٣) تأويل مختلف الحديث (ص٧٤،٧٣).

وقال **أبو الحسنات اللكنوي** -رحمه الله-[١٠٤]: «ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنباً الاعتساف، يعلم علماً يقينياً أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها، فمذهب المحدّثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدّثين فيه قريباً من الإنصاف، فلله درهم، وعليه شكرهم (كذا) كيف لا وهم ورثة النبي ﷺ حقاً، ونواب شَرعه صدقاً، حشرنا الله في زمرتهم، وأماتنا على حبهم وسيرتهم». آمين، وقال **أبو القاسم الأصبهاني**: «إنّ الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأنّ الحق ما نقلوه ورووه»[١٠٥].

نقل أقوال أئمة الدعوة في الاتّباع وعدم التقليد:

وقال **الإمام محمد بن عبد الوهاب** -رَحمه الله تعالى- في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي: ". . . أقول -ولله الحمد والمنة وبه القوة- : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/١٦١)، ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذي أعظمهم مثل: ابن القيم والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم". [انظر: "الدرر السنية": (١/٣٧)]، **وسئل** -رحمه الله-: "هل الواجب على كل مسلم أن يطلُب علم ما أنزل الله على رسوله ولا يعذر أحدٌ في تركه ألبتة؟ أم يجب عليه أن يتبع "التحفة"(١٠٦) -مثلاً-؟

فأعلم المتأخرين وساداتهم منهم كابن القيم قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله ﷺ البين لمن نور الله قلبه، والذين يجيزون ذلك -يعني: التقليد- أو يوجبونه يدلون بشبه واهية، ولكن أكبر شبههم على الإطلاق: إنا لسنا من أهل ذلك، ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف/٢٣).

---

(١٠٤) الصحيحة (١/ ٤٨٦).

(١٠٥) باختصار وتصرف يسير من "الحجة في بيان المحجة" لأبي القاسم الأصفهاني(٢/ ٢٢٣).

(١٠٦) يعني: "التحفة" لابن حجر الهيتمي المكي الشافعي؛ وهي من كتب فقه الشافعية.

و قال: "وهذه رسالة لا تحتمل إقامة الدليل، ولا جواباً عما يلقي به المخالف، لكن أعرض عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم الرد علي بعلم وعدل؛ فعندكم كتاب "إعلام الموقعين" لابن القيم عند ابن فيروز في مشرفة(١٠٧)، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها" انتهى. [انظر: "الدرر السنية": (١/٣٩-٤١)]، وقد وردت مسائل على **ولدي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، حسين وعبد الله** رحمهم الله جميعاً، فأجابا بما هو الصواب. الأولى: ما عقيدة الشيخ رحمه الله في العمل في العبادات والفروع؟.

"الجواب: الحمد لله رب العالمين: أن عقيدة الشيخ رحمه الله التي يدين الله بها هي عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به، وهي عقيدة سلف الأمة، وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهو اتباع ما دلّ عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله، وعرض أقوال العلماء على ذلك فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله... والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها.

وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل، وترك مذهبه كان هذا مستحباً، بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي اتبعه فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم أجمعين.

... وهذا عمل سلف الأمة، وأئمتها قديماً وحديثاً، والذي ننكره هو التعصب للمذاهب، وترك اتباع الدليل، إذا تبين هذا فهذا الذي أنكرناه، وأنكره العلماء في القديم والحديث، والله أعلم. [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٣٢)]

وقال **الشيخ حمد بن ناصر بن معمر** –رحمه الله تعالى–، بعد أن نقل عن **ابن عبد البر** –رحمه الله– كلامه في "التقليد" من كتاب "جامع بيان العلم وفضله"، ثم قال: "فتأمل ما في هذا الكلام من الرد على من يقول: **بلزوم التمذهب بمذهب من هذه المذاهب الأربعة**، لا يخرج عن ذلك المذهب، ولو وجد دليلاً يخالفه، لأن الإمام صاحب المذهب أعلم بمعناه. ويجعل هذا عذراً له في رد الحديث أو ترك العمل به إذا خالف المذهب.

وتأمل قول –**ابن عبد البر**–: (**لا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد**)، ومراده هنا: إذا كان المقلد قادراً على الاستدلال، وأما العاجز عنه فهو كالأعمى يقلد في جهة القبلة، فهو معذور إن كان عاجزاً.

---

(١٠٧) اسم مكان.

وقد حكى الإمام أبو محمد ابن حزم الإجماع على أنه: **لا يجوز التزام مذهبٍ بعينه لا يخرج عنه**، فقال: (أجمعوا على أنه لا يجوز لحاكم ولا لمفت تقليد رجل؛ فلا يحكم ولا يفتي إلا بقوله) انتهى.
فحكاية الإجماع من هذين الإمامين –أعني: أبا عمر ابن عبد البر، وأبا محمد بن حزم– كاف **في إبطال قول المتعصبين للمذهب**". [الدرر السنية": (٦٣/٤-٦٤) ط: الجديدة]

ويقول **الشيخ عبد الرحمن بن حسن**؛ فيمن أنكر الحكم برجحان العمل بالحديث الصحيح في مقابلة المذهب الملتزم:"هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف/٣)، وقال:﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية (سورة النساء/٥٩).وهذا أصل عظيم من أصول الدين، قال العلماء –رحمهم الله–: "كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ". وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يفضي إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل أحكام النصوص، كما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والكتاب والسنة شفاء وهدى لمن أصغى إليهما، ومن طلب الحق منهما ناله وفهمه، وقد قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص/٢٩)، والأمر بتدبره والتذكر ليس مخصوصاً بالعلماء المجتهدين بل عام لكل من ناله فهم يدرك به معنى الكلام، والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ﴾ (الشورى/٢١)". انتهى. [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣٤/٢/٢)]

وقال **سماحة شيخنا الإمام الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رحمه الله في رده على الصابوني؛ لما قال عن تقليد الأئمة الأربعة: (إنه من أوجب الواجبات)، قال الشيخ: "لا شك أن هذا الإطلاق خطأ؛ إذ لا يجب تقليد أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، مهما كان علمه؛ لأن الحق في اتباع الكتاب والسنة، لا في تقليد أحد من الناس.

وإنما قصارى الأمر أن يكون التقليد سائغاً عند الضرورة؛ لمن عرف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة، كما فصل ذلك العلامة ابن القيم –رحمه الله– في كتابه: "إعلام الموقعين".

ولذلك كان الأئمة –رحمهم الله– لا يرضون أن يؤخذ من كلامهم إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة".

وذكر –رحمه الله– مقالة مالك المشهورة في هذا الباب، ثم قال: (فالذي يتمكن من الأخذ بالكتاب والسنة يتعين عليه ألا يقلد أحداً من الناس، ويأخذ عند الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحق.

والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له: أن يسأل أهل العلم، كما قال الله –عز وجل–: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل/٤٣، والأنبياء/٧)" انتهى كلامه". ["مجموع فتاوى ومقالات الشيخ": (٥٢/٣)]

وسئل **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: كثر عند بعض الشباب الصالح القول بعدم التقليد مستندين إلى بعض أقوال ابن القيم عليه رحمة الله، فما قولكم؟

فأجاب بقوله: "الحقيقة إنني أؤيد هذا، أن الإنسان لا يركن إلى التقليد لأن المقلَّد قد يخطئ، ولكني مع ذلك لا أرى أن نبتعد عن أقوال أهل العلم السابقين حتى لا نتشتت، ولكن إذا دعت الضرورة إلى التقليد فإنه لابد منه لقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(الأنبياء/٧)، فأوجب سبحانه سؤال أهل الذكر إذا كنا لا نعلم، وسؤالهم يتضمن اعتماد قولهم، وإلا لم يكن لسؤالهم فائدة.

فالتقليد كما قال شيخ الإسلام بمنْزلة الميتة إن اضطررت إليها فكلها، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك، فمتى نزل بالإنسان نازلة ولا يتمكن من مطالعتها في الكتب التي تسوق الأدلة فلا حرج عليه حينئذ أن يقلّد". ["كتاب العلم": (ص١٢٦)].

وأما مساوئ المذهبية المتعصبة فهي كثيرة جداً، أذكرأهمها هنا والله الموفق.

مجمل مساوئ التقليد والتعصب المذهبي:

١- مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب، وتقديم الرأي المحض أحياناً عليها.

مثال: قال صاحب "الهداية" عند الحديث عن موقف الإمام في الصلاة على الجنازة: "ويقوم الذي يصلي على الرجل والمرأة بحذاء الصدر، قال: لأنه موضع القلب، وفيه نور الإيمان، فيكون القيام عنده إشارة إلى الشفاعة لإيمانه"،

قال هذا مع ذكره لحديث أبي غالب الخيَّاط قال: "شهدت أنس بن مالك صلّى على جنازة رجل، فقام عند رأسه فلما رفع، أُتي بجنازة امرأة من قريش أو من الأمصار، فقيل له: يا أبا حمزة هذه جنازة فلانة ابنة فلان فصل عليها، فصلّى عليها، فقام وسطها، -وفي رواية: عند عَجيزتها، وعليها نعش أخضر- وفينا العلاء بن زياد العدوي، فلما رأى اختلاف قيامه على الرجل والمرأة قالَ: يَا أبا حمزة هكذا كان رسول الله ﷺ يقوم حيث قمت، ومن المرأة حيث قمت؟.

قال: نعم، قال: فالتفت إلينا العلاء فقال: احفظوا"[١٠٨].

ينظر ما قاله العلامة أحمد الدهلوي في (تاريخ أهل الحديث) (ص٨٩).

وقد جمع **تقي الدين ابن دقيق العيد**، المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة، الحديث الصحيح انفراداً واجتماعاً، في مجلد ضخم، وذكر في أوله أن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام، وأنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها، لئلا يعزوها إليهم فيكذبوا عليهم.

٢- حط بعضهم من الصحابة والسلف، انتصاراً وتعصباً لمذهبهم:

وفي حديث المصراة، **قال الحافظ ابن حجر**: "واعتذر الحنفية عن الأخذ بحديث المصراة بأعذار شتى: فمنهم من طعن في الحديث لكونه من رواية أبي هريرة، قال: وهو كلام آذى قائلُه به نفسه، وفي حكايته غنى عن تكلف الرد عليه، -**ثم قال-: قال:** ابن السمعاني في "الاصطلام": التعرض لجانب الصحابة علامةٌ على خذلان فاعله، بل هو بدعة ضلالة"[١٠٩].

ومن ذلك ما قاله الكوثري: من الطعن في أنس[١١٠]، وابن عباس وأبي هريرة[١١١] وغيرهم من الصحابة، بل قال برد مرسل الصحابة[١١٢]، حتى قال في "النكت" (ص٥٧)،في إبطال أحاديث

---

(١٠٨) **صحيح**: ينظر تخريجه في (أحكام الجنائز/ص١٣٩).

(١٠٩) فتح الباري (٤/٤٢٧).

(١١٠) التنكيل (٢/١٥).

الصحيحين المتفق عليها عن جماعة من الصحابة قال كل منهم: "أتى النبي ﷺ رجل فقال: حلقت قبل أن أذبح، فقال: اذبح ولا حرج، قال ذبحت قبل أن أرمي قال: ارم ولا حرج"

قال ما نصه: "أقول: إن هؤلاء السائلين مجاهيل في هذه الروايات، وفي الروايات المدونة في الصحاح، والسنن، وليس بينهم أحد من مشاهير الصحابة -رضي الله عنهم-".

قال الغماري معلقاً عليه: "فهذا أقسى ما يكون من الوقاحة، والإجرام، وقلة الحياء، وقلة الدين، وصفاقة الوجه، وانخرام المروءة، وهذا أكبر دليل على أنه شيطانٌ بعث ليتلاعب بدين الإسلام، وهو أوضح برهان على صدق ما قلناه مرارا من أنه على استعداد للكفر بالنبي ﷺ ولرد قوله لو شافهه بخطأ أبي حنيفة"(١١٣).

٣- امتلآء كتبهم بالأحاديث الضعيفة بله الموضوعة، والاحتجاج بها، واستنباط الأحكام منها، مع إجماعهم على عدم جواز الأخذ بالضعيف في الأحكام.

قد يقول قائل: قد وجد في كل مذهب محدثون، حققوا أحاديث مذهبهم، كما فعل الزيلعي، وابن حجر وغيرهما.

والجواب: هذا صحيح، ولكن يؤخذ على عملهم أمران:

الأول: أن الفقهاء المتأخرين لم يعملوا بما بينه لهم المحدثون، ولم يستفيدوا من دراستهم الحديثية واستمروا في الاعتماد على تلك الأحاديث الساقطة.

الثاني: أن بعض هؤلاء المحدثين كانت العصبية للمذهب تتدخل في تحقيقاته، فلا يحكم على الحديث الحكم الذي تستحقه، فقد يصحح الضعيف، ويضعف الصحيح(١١٤).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: عن حديث أنس: «**إنا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ كنا نسافر: فمنا الصائم، ومنا المفطر، ومنا المتم، ومنا المقصر**» "فهذا الحديث من الكذب، وإن كان البيهقي روى هذا، فهذا مما أنكر عليه، ورآه أهل العلم لا يستوفي الآثار التي لمخالفيه، كما يستوفي الآثار التي له، وأنه يحتج بآثار لو احتج بها مخالفوه لأظهر ضعفها وقدح فيها، وإنما أوقعه في هذا -مع علمه ودينه- ما أوقع أمثاله ممن يريد أن يجعل آثار النبي ﷺ موافقة لقول واحد من العلماء دون الآخر، فمن سلك هذه

---

(١١١) بيان تلبيس المفتري (ص٦٢).

(١١٢) المصدر السابق (ص٩٦).

(١١٣) بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري أو رد الكوثري على الكوثري (ص١٢٤).

(١١٤) بدعة التعصب المذهبي (ص١٥٠) لأستاذنا عيد عباسي حفظه الله.

السبيل دُحضَتْ حججه، وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق، كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير مِن المواضع بتأويلات يبين فسادها لتوافق القول الذي ينصره، كما يفعله صاحب شرح الآثار أبو جعفر -أي: الطحاوي-، مع أنه يروي من الآثار أكثر مما يروي البيهقي، لكن البيهقي ينقي الآثار، ويميز بين صحيحها وسقيمها أكثر من الطحاوي"(2).

ويكفي في بيان العصبية، أن الزيلعي يطلق: "**أحاديث الخصوم**"، على أحاديث المخالفين له في المذهب.

أمثلة: حديث: "النبيذ وضوء من لم يجد الماء" رويت موقوفة ومرفوعة **قال النووي**: "**وكلها ضعيفة واهية**".

حديث: "لا بأس بجلد الميتة إذ دبغ، ولا بشعرها إذا غسل"، قال **النووي**: "**ضعيف باتفاق الحفاظ**".

حديث: "يجزئ من السواك الأصابع"، قال **النووي**: "**ضعيف، ضعفه البيهقي وغيره**".

حديث: "بدأ بمسبحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى، وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام، يعني: في تقليم الأظفار"، قال **النووي**: "**باطل لا أصل له**".

حديث: "إنا لا نستعين على الوضوء"، قال **النووي**: "**باطل لا أصل له**".

٤- تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة والمتقدمين.

مثال: مسألة الصلاة المخالف في المذهب، فقد صار الرأي المفتى به في المذهبين الحنفي والشافعي، في القرون المتأخرة، هو بطلان صلاة المأموم إذا علم أن إمامه أتى بما ينقض الوضوء، أو الصلاة برأي المأموم، وكراهتها إذا أتى الإمام بمكروه، مع أننا نعلم أن الأئمة وأتباعهم المتقدمين كان يصلي بعضهم وراء بعض دون أي تحرج، ولم يثيروا أي غلط حول صحة صلاتهم وسلامتها من الكراهة.

كما أن الصحابة رضي الله عنهم، لم ينقل عن واحد منهم مثل هذا القول، مع وجود الاختلاف فيما بينهم في كثير من الأمور، بل ورد عنهم خلافه، وما قول **عثمان** رضي الله عنه: "إن أحسن ما يفعل الناس الصلاة"، وأمره بالصلاة خلف الخوارج الذين خرجوا عليه، ليس ذلك عنا ببعيد.وهم في ذلك متبعين لقوله ﷺ: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**».

وقد قال **ابن مسعود**: "الخلاف شر".

---

(2) مجموع الفتاوى (٢٤/١٥٤).

ومن الأمثلة: الماء المشمس، ونهي المتأخرين من أصحاب المذهب الشافعي عنه، مع قول الإمام نفسه في كتابه: "لا أكره الماء المشمس إلا أن يكون من جهة الطب"[2].

ومن الأمثلة كذلك: قول المأخرين من الشافعية بسنية الصلاة على النبي ﷺ، رغم أن الشافعي نفسه يقول بوجوبها، فقد قال: "فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في لصلاة"(١١٥).

ومن أمثلته: أن المالكية يرون القنوت في صلاة الفجر، وأما الإمام مالك رحمه الله فلا يراه، سواء في صلاة الفجر وغيرها، فقد ترجم بباب: "القنوب في الصبح"، ثم ذكر تحته أثر ابن عمر: "كان لا يقنت في شئ من الصلاة"(١١٦).

ولابد من أن نشير إلى أن من المؤسف والغريب معاً، أن الكتب الفقهية التي كتبها الأئمة وتلامذتهم وأتباعهم في دور الرفعة والمجد الإسلامي، وقد اختفت من أيدي طلاب العلم، فلا يأبهون بها، ولا يطالعون فيها، ولا يأخذون منها، بل يكاد بعضهم لا يسمع بمثل كتاب: الأوسط لابن المنذر، بل وكتب الأئمة أنفسهم، وأئمة المذهب، ككتاب اختلاف الفقهاء للطحاوي، ونحوها من الكتب الفقهية السلفية التي تعنى بالدليل، وأقوال السلف.

ولم يبق في أيديهم إلا ما كتب في زمن التقهقر وضعف اللسان العربي، من المتون والشروح والحواشي والتقريرات، مما لا يكاد يفهم إلا بشق الأنفس(١١٧).

فعلينا إن أردنا صلاحاً أن نعود بالأمة إلى منبعها الصافي النقي وهو الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأئمة الذين هو رأيهم خير لنا من رأينا لأنفسنا.

٥- الصد عن سبيل الله عز وجل، والحيلولة دون دخول الكفار في دين الله أفواجاً، وصدُّهم عن الدين، برؤيتهم لمهازل الكتب والأضحوكات التي شوهت جمال الإسلام.

وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرره فيما بينهم، ولم يتعده إلى غيرهم من أمة الدعوة، إذن لهان الخطب بعض الشئ، ولكنه -ويالالأسف- تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار، فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجاً!! (١١٨).

---

(2) الأم للشافعي (١٦/١).

(١١٥) الأم للشافعي (١٠٢/١).

(١١٦) موطأ مالك (١٥٩/١).

(١١٧) ينظر بدعة التعصب المذهبي (ص١٥٦).

(١١٨) صفة الصلاة (ص٦٦،٦٥).

وقال **العلامة محمد سلطان المعصومي** رحمه الله تعالى: "إنه ورد علي سؤال من مسلمي بلاد جابان: (يعني: اليابان) من بلدة (طوكيو) و (أوصاكا) في الشرق الأقصى، حاصله:

ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة أو لا يلزم؟.

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم، ونزاع وخيم، حينما أرادة عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال: (يابونيا) أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتشرفوا بشرف الإيمان، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة في (طوكيو)، فقال جمع من أفاضل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة، لأنه سراج الأمة.

وقال جمع من أهل أندونيسيا (جاوا): يلزم أن يكون شافعياً!، فلما سمع الجابانيون كلامهم تعجبوا جداً، وتحيروا فيما قصدوا، **وصارت مسألة المذاهب سداً في سبيل إسلامهم!!**".

٦- خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.

مثال: معظم المتون الفقهية، ومن الكتب العارية عن الدليل: كتاب "أخصر المختصرات"، ولقد أصبح كتاب: "غاية التقريب، والمنهاج عند الشافعية، وكتاب: مراقي الفلاح، والكنز عند الحنفية، وكتاب: "المختصر لخليل"، و"الرسالة" للقيرواني عند المالكية، وكتاب: "زاد المستقنع"، عند الحنابلة، أصبحت هذه الكتب هي المرجع الأول والأخير، الذي يرجع إليه كل قوم منهم فيما اختصموا، فيقبلون حكمه ويرتضون تقريره، وحلّت هذه المختصرات لديهم بمنزلة القرآن والسنة.

يقول **الإمام ابن القيم**: "ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن مسألة يقولون: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل رسول الله كذا، ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلاً قط، فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور، فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيباً عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه قال الله، وقال رسول الله.

أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن قول الله ورسوله لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين، وإنما يحتج بكلام الله ورسوله فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة.

وأما **فروعهم فقنعوا بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسول الله ﷺ، ولا عن الإمام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم، بل عمدتهم فيما يفتون**

ويقضون به وينقلون به الحقوق، ويبيحون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف، وأجلهم عند نفسه وزعيمهم عند بني جنسه: من يستحضر لفظ الكتاب، ويقول: هكذا قال، وهذا لفظه؛ فالحلال ما أحله ذلك الكتاب، والحرام ما حرمه، والواجب ما أوجبه، والباطل ما أبطله، والصحيح ما صححه هذا.

وأنّى لنا بهؤلاء في مثل هذه الأزمان، فقد دفعنا إلى أمر تضج منه الحقوق إلى الله ضجيجاً، وتعج منه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجاً، تبدل في الأحكام، ويقلب فيه الحلال بالحرام، ويجعل المعروف فيه أعلى مراتب المنكرات، والذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات"(١١٩).

ويقول **الشيخ عبد الرحمن بن حسن**؛ فيمن ترك العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب:

"هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، قال –تعالى–: ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون**﴾(سورة الأعراف، /٣)، وقال: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** . . .﴾ الآية (سورة النساء/٥٩).

وهذا أصل عظيم من أصول الدين، قال العلماء –رحمهم الله–: (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ).

وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يفضي إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل النصوص، والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾(سورة التوبة/٣١)، وقوله: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾(سورة الشورى/٢١). انتهى المقصود من كلامه(١٢٠).

وصدق مالك حين قال: "ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء"(١٢١).

وقد يقول قائل: "إن هذه المتون المختصرة إنما ألفت لطلبة العلم المبتدئين".

---

(١١٩) إعلام الموقعين (٤/٢١٨،٢١٧).

(١٢٠) انظر: "الدرر": (٤/٦٤-٦٥) ط: الجديدة.

(١٢١) **حسن الإسناد**: رواه الهروي في "ذم الكلام" (ح٨٦٩) والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/١٤٧).

والجواب:

ا- أن الملاحظ والمشاهد أن هذه المتون هي مرجع الكبار والصغار وعمدة جميعهم.

ب- أن تعليمها بغير دليل مخالف لهدي السلف، بل مخالف للأئمة.

جـ- أن تعليم الصغار بهذه الطريقة، لا تكسبهم علماً، بل لا يزدادون إلا جهلاً.

٧- الانحباس في مذهب واحد، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى، وجهود رجالها و كتبهم تعصباً للمذهب.

صار كثير من أصحاب المذاهب لا يأخذون إلا من مذهبهم، وقد حبسوا أنفسهم، وأوقفوها على مذهب واحد، ولم يجيزوا الخروج عنها، وأصبحوا ينظرون إلى المذاهب الأخرى على أنها أديان أخرى مستقلة.

فقد قال محمد علاء الدين الحصفكي، وهو من أشهر المؤلفين في الفقه الحنفي:

"إذا سئلنا عن مذهبنا، ومذهب مخالفينا؟ قلنا وجوباً: مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصواب"(١٢٢).

وقال أيضاً: "والحاصل أن أبا حنيفة من أعظم معجزات المصطفى بعد القرآن، وحسبك من مناقبه اشتهار مذهبه، ما قال قولاً إلا أخذ به إمام من الأئمة الأعلام، قد جعل الله الحكم لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام، إلى أن يحكم بمذهبه عيسى عليه السلام!!"(١٢٣).

وقال محمد علاء الدين الحصفكي أيضاً:

"فلعنة ربنا أعداد رملٍ على من ردَّ قولَ أبي حنيفة"(١٢٤).

وقال **إمام الحرمين الجويني الشافعي:** "نحن ندّعي أن يجب على كافة العاقلين وعامة الناس شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً انتحال مذهب الشافعي، ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضاً انتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولاً، ولا يريدون به بدلاً"!(١٢٥).

قلت: والوجوب حكم شرعي، فأين الدليل من الكتاب أو السنة على مثل هذا الادعاء، الذي لا يعجز عنه العجائز، فإن الله تعالى لم يوجب علينا اتباع أحد من البشر سوى النبي ﷺ، أو إجماع أهل العلم لأنه معصوم.

وكتب **أحد الحنابلة:**

---

(١٢٢) الدر المختار (١/٤٩،٤٨).

(١٢٣) المصدر السابق (١/٥٥).

(١٢٤) المصدر السابق (١/١٦٣).

(١٢٥) مغيث الخلق (ص١٦).

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

وقال أيضاً:

لئن قلّد الناس الأئمةَ إنني لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أُقَلِّدُ فتواه وأعشق قولَه وللنَّاس فيما يعشقونَ مذاهب(١٢٦)

وقد سبق كلام **ابن القيم**: "وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة"(2).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ولنعم ما قال: "وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد، ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح في دينه، ولا عدالته بلا نزاع، بل هذا أولى بالحق، وأحب إلى الله ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة، ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه، **فمن فعل هذا كان جاهلاً ضالاً، بل قد يكون كافراً**،فإنه **متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر**، فإنه **يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل**، بل غاية ما يقال: أنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحداً **لا بعينه، من غير تعيين زيد ولا عمرو**.

وأما يقول قائل: إنه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان، **فهذا لا يقوله مسلم**.

ومن كان موالياً للأئمة محباً لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك، بل هذا أحسن حالاً من غيره، ولا يقال لمثل هذا مذبذب على وجه الذم، وإنما المذبذب الذي لا يكون مع المؤمنين، ولا مع الكفار، ...فهؤلاء المنافقون المذبذبون هم الذين ذمهم الله ورسوله.

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين كالرافضي الذي يتعصب لعليٍّ دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة.

وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت ذمهم بالكتاب والسنة والإجماع، أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله رسوله ﷺ.

---

(١٢٦) إرواء الغليل (٢٢/١).

(2) أعلام الموقعين (٣٢٥/٤).

فمن تعصب لواحد من هؤلاء الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة، أو أحمد أو غيرهم.

فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين، وعلماء المؤمنين، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر لاجتهاده، وخطؤه مغفور له.

وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا.

وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه.

وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظن، وما تهوى الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، مستحقون للذم والعقاب، وهذا باب واسع."[١٢٧]ا-هـ باختصار.

٨- نشر الخلاف والانقسام بين المسلمين، والتسبب في وقوع الفتن والكوارث بينهم.

ولأن الناس لم يتمسكوا بالكتاب والسنة، ولم يعضوا عليهما بالنواخذ كما أُمروا، ولم يلتزموا سبيل الصحابة في فهم الكتاب والسنة، فقد وقع الخلاف الكثير، والفرقة، كما قال تعالى ﴿**ولَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ (النساء: ٨٢).

لذلك لما سئل **هشيم** عن تفسير القرآن، كيف صار فيه اختلاف؟ قال:

"قالوا برأيهم فاختلفوا"[١٢٨].

من آثار هذا التفرق:

١- عدم صلاة أصحاب المذاهب خلف بعضهم.

قال شيخنا العلامة الألباني: "فقد كان من آثاره -التقليد- أن تفرق المسلون في أعظم ركن بعد الشهادتين، ألا وهو: الصلاة، فهم يأبون أن يصلوا جميعاً وراء إمام واحد، بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو

---

(١٢٧) مجموع الفتاوى (٢٢/٢٤٨-٢٥٥).

(١٢٨) **إسناده صحيح**: رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٤٤٠).

مكروهة على الأقل بالنسبة إلى المخالف له في مذهبه، وقد سمعنا ذلك، ورأيناه كما رآه غيرنا، كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم على الكراهة أو البطلان؟!.

وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبين، وتجد أناساً ينتظرون إمامهم بينما الإمام الآخر قائم يصلي![2].

قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله–: "وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، **وإمام الصلاة**، والحاكم، يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية... وحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**»[١٢٩].

فهذا نص صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم، والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محذوراً اعتقد أنه ليس محذوراً، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه"[١٣٠].ا.هـ مختصراً.

ب– عدم التزاوج والتناكح بينهم:

بل قد وصل الخلاف إلى ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين، مثاله منع التزاوج بين الحنفي والشافعية، ثم صدرت فتوى من بعض المشهورين عند الحنفية، وهو الملقب بـ"مفتي الثقلين" – فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: "تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب"[2]!.

ومفهوم ذلك، أنه لا يجوز العكس، وهو تزوج الشافعي بالحنفية، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة؟!.

جـ– سب بعضهم بعضاً:

قال صاحب "مراقي الفلاح" وهو من كتب الحنفية المعتمدة، قال عن ماء البئر النجس، الذي وقع فيه حيوان فمات وانتفخ قال: "فإن عجن بمائها يلقى للكلاب، أو يعلف به المواشي، وقال بعضهم: يباع لشافعي"، فقد سوى هذا الفقيه بين الكلاب والشافعية والعياذ بالله فتأمل[2].

---

(2) صفة الصلاة (ص٦٥،٦٦)، ونظر ما كتبه الشيخ شاكر في تعليقه على "سنن الترمذي" (٤٣٢/١)، ما ذكره ابن كثير في "تاريخه" (٩١/١٣).

(١٢٩) رواه البخاري (٦٩٤).

(١٣٠) شرح الطحاوية (٣٧٦).

(2) صفة الصلاة نقلاً البحر الرائق (ص٦٥).

وقال **محمد بن موسى بن عبد الله التركي البلاساغوني** الحنفي قاضي دمشق: "لو كان لي أمر، لأخذت الجزية من الشافعية"(2)، وكان مبغضاً للمالكية كذلك(2).

وانظر ما كتبه الجويني الشافعي ليتبين لك إلى أي حد استحكم العداء بين المذهبين، قال: "من انغمس في مستنقع نبيذ، ولبس جلد كلب غير مدبوغ، وأحرم بالصلاة صيغة التكبير ترجمته تركياً أو هندياً، ويقتصر في القرآن على ترجمة قوله: ﴿**مدهامتان**﴾، ثم يترك الركوع، وينقر نقرتين، لا قعود بينهما، ولا يقرأ التشهد، ثم يُحْدِثُ عمداً أي (يضرط) في آخر صلاته بدل التسليم، ولو انفلت منه بأن سبقه الحدث، يعيد الوضوء في أثناءَ صلاته، ويحدث بعده، فإن لم يكن قاصداً في حدثه الأول تحلل من صلاته على الصحة"(2).

د- سجن ونفي وقتل بعضهم بعضاً:

من ذلك ما ذكره **ابن كثير** -رحمه الله- في "تاريخه": من أنه العزيز صاحب مصر، ابن صلاح الدين، " أنه **عزم في هذه السنة على إخراج الحنابلة من بلده**، ويكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد، وشاع ذلك عنه وذاع، وسمع ذلك منه وصرح به، وكل ذلك من معلميه وخلطائه وعشرائه من الجهمية، وقلة علمه بالحديث، فلما وقع منه هذا، ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله، ودمره سريعاً، وعظم قدر الحنابلة بين الخلق بمصر والشام، عند الخاص والعام"(2).

وقال أيضاً: "وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فذكر يوماً شيئاً من العقائد، فاجتمع القاضي ابن الزكي، وضياء الدين الخطيب الدولعي بالسلطان المعظم، والأمير صارم الدين برغش، فعقد له مجلساً فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنُّزول والحرف والصوت، فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه، واجتمع بقية الفقهاء عليه، وألزموه بإلزامات لم يلتزمها، حتى قال له الأمير برغش: كل هؤلاء على الضلالة، وأنت وحدك على الحق؟!.

---

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص٢٠٦).

(2) لسان الميزان (٤٠٢/٥).

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات٥٠٦/ص١٤٨).

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص٢٠٧) نقلاً عن رسالة مغيث الخلق للجويني (ص٥٦).

(2) البداية والنهاية (١٨/١٣).

قال: نعم، فغضب الأمير، وأمر بنفيه من البلد، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره، وأرسل برغش الأسارى من القلعة فكسروا منبر الحنابلة وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن"[2].

وقال **ابن الأثير**: "وفي سنة ٣٢٣، عظم أمر الحنابلة (ببغداد)، وقويت شوكتهم، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها، وكسروا آلة الغناء...فأرهجوا بغداد ، وركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد: لا يجتمع من الحنابلة اثنان...، ولا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، في صلاة الصبح والعشاءين"[2].

وقال **ابن الأثير**: "كان أهل المدينة ثلاث طوائف: طوائف شافعية، وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعة وهم السواد الأعظم، فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، فتظافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت بينهم حروب، حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف.

فلما أفنوهم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت بينهم حروب، كان الظفر في جميعها للشافعية، هذا مع قلة عدد الشافعية، وكانت الحنفية يجيؤون إلى البلد بالسلاح الشاك، ويساعدون أهل نحلتهم، فلم يعنهم ذلك شيئاً حتى أفنوهم... ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبه، ووجدت دورهم كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة، وصعوبة المسلك، ولولا ذلك لما بقي فيها أحد"[2].

وذكر **ياقوت الحموي** عن مدينة أصفهان، بعد أن ذكر مجدها قال: "وقد فشا الخراب في نواحيها، لكثرة الفتن، والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في إل ولا ذمة...وكذلك الأمر في قراها"[2].

٩- شيوع التقليد والجمود، وإقفال باب الاجتهاد.

القول بإغلاق باب الاجتهاد بعد أن كان مفتوحاً قول مبتدع، لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ويهدم كيان الأمة، فما عساها أن تفعل في مستجدات العصر، وسبب للقضاء على العقول المستنيرة بنور العلم، والقلوب الواعية لكل خير، ووأد الطاقات الفذة في مهدها، وضياع لخير ثروة في الأمة، وهي ثروة العلم، واتهام للشرع بأنه غير صالح لكل زمان ومكان.

---

(2) البداية والنهاية (١٣/٢١، ٢٠).

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص٢١٣).

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص٢١٤)، نقلاً عن معجم البلدان (٤/٣٥٥).

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص٢١٤)، نقلاً عن معجم البلدان (١/٢٧٣).

ومع ذلك فنحن نحذر من الضياع، والميوعة والتعالم، وفتح باب التلفيق، والتخبط، والخروج عن منهج الكتاب والسنة، وما رسمه لنا علماؤنا، وأصَّلوه لنا، وقعدوه من قواعد قائمة على أصول ثابتة، قد سبروا فيها النصوص.

١٠- الخوض في المسائل الخيالية، والانشغال بالافتراضات السخيفة.

قال ابن رجب: "أماّ ما يولّده الفقهاء من المسائل التي لا تقع أو لا تكاد تقع إلا نادراً، فكان (أي الإمام أحمد) ينهى كثيراً عن الكلام فيها، لأنه قليل الفائدة، ويشغل عما هو أهم منه مما يحتاج إلى معرفته"[2].

مثال ذلك: قال **الشيخ الجباوي** وهو من فقهاء الأحناف في معرض حديثه عن أحق الناس بالإمامة في الصلاة: "والأحق بالإمامة السلطان أو نائبه...، فالأحسن خلقاً، فالأحسن وجهاً، فأكثرهم بشاشة، فالأحسن صوتاً، فالأحسن زوجة، فالأكثر مالاً، فالأكثر جاهاً، فالأنظف ثوباً، فالأكبر رأساً، فالأصغر عضواً (أي ذكراً)"، وهذا هو عين ما قاله الشيخ حسن الشرنبلالي، صاحب "مراقي الفلاح"[2].

وقال الشيخ ابن قاسم الغزي على متن أبي شجاع، وهو من كتب الفقه الشافعي، في معرض موجبات الغسل: "ومن المشترك إنزال المني...من طريقه المعتاد أو غيره، كأن انكسر صلبه فخرج منيه"(١٣١).

وقال الشيخ الباجوري الشافعي المذهب في حاشيته على شرح ابن القاسم في الحديث عن الغسل الواجب: "ولو شق ذكره نصفين فأدخل أحدهما في زوجة، والآخر في زوجة أخرى، وجب الغسل عليه دونهما"(١٣٢).

وانتقل معي إلى طامة أخرى يقول هذا الفقيه، مستأنفاً الحديث عن هذا الذكر المشطور: "ولو أولج أحدهما في قُبلها، والآخر في دُبرها، وجب الغسل عليهما"(١٣٣).

ثم قالَ مستكملاً فرضياته: "ولو كان له ذكران أصليان أجنب بكل منهما، أو أحدهما أصلي، والآخر زائد، فإن لم يتميز فالعبرة بهما معاً، وإن يتميز فالعبرة بالأصلي، ولا عبرة بالزائد ما لم يسامت"(١٣٤).

---

(2) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (ص٤٨).

(2) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٣).

(١٣١) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٥).

(١٣٢) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٦)، نقلاً عن حاشية الباجوري على ابن قاسم (١/٧٢-٧٤).

(١٣٣) المصدر السابق.

(١٣٤) المصدر السابق.

وهاك طامة أخرى هي أعظم مما سبق، فإن شئت فاضحك أو ابك على ما آل إليه حال الأمة بعد نبيها ﷺ، قال وما أقبح ما قال: "ولو دخل شخص فرج امرأة وجب عليهما الغسل، لأنه صدق عليه دخول حشفة فرجاً، ولا اعتبار بكونه تبعاً"(١٣٥).

ويقول هذا الفقيه المعتمد، في مبتكراته وهو يفسر الفرج **فقال**: "الفرج أي قبل أو دبر ولو من نفسه، كأن أدخل ذكره في دبره، فيجب عليه الغسل"(١٣٦).

ومن عجائبه قوله: "ولو أدخل ذكره في ذكر آخر، وجب على كل منهما الغسل، كما أفتى به الرملي"(١٣٧).

نهيك عما ذكر من صلاة من صلى وهو يحمل قربة ملأها فساء هل صلاته صحيحة، أم لا؟، وعن حكم التضحية بإنسان ، ولد من أب آدمي، وأم شاة، وغير ذلك من العجائب.

وقال **الشيخ ابن عابدين** في حاشيته على "رد المحتار على الدر المختار": "وفي البحر عن عدة الفتاوى: الكعبة إذا رفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها"(١٣٨).

وهاك طامة أخرى هي أعظم مما سبق، فإن شئت فاضحك أو ابك على ما آل إليه حال الأمة بعد نبيها ﷺ، قال وما أقبح ما قال: "ولو دخل شخص فرج امرأة وجب عليهما الغسل، لأنه صدق عليه دخول حشفة فرجاً، ولا اعتبار بكونه تبعاً"(١٣٩).

١١- فتح باب الحيل المحرمة للتخلص من التكاليف الشرعية.

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: "وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها**» متفق عليه.

قال الخطابي: جملوها معناه: أذابوها حتى تصير ودكاً فيزول عنه اسم الشحم.

وفي الحديث: بيان ابطال كل حيلة يحتال بها للتوصل بها إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته وتبديل اسمه"(١٤٠).

---

(١٣٥) المصدر السابق (ص١٩٧).

(١٣٦) المصدر السابق.

(١٣٧) المصدر السابق.

(١٣٨) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٨) نقلاً عن "حاشية ابن عابدين" (٣٠٢/١).

(١٣٩) المصدر السابق (ص١٩٧).

(١٤٠) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢١٣/١)، وينظر (ص١٤٢،١٤).

من أمثلته: "إذا كان الحول يحول فهب مالك لابنك أو زوجك لحظة، ثم استوهبه إياه فإن الحول ينتقض، ولا تجب الزكاة".

ومنها: قول الباجوري بنكاح التحليل إن قصد ذلك ولم يتفق مع الولي أو المرأة في العقد.

ومنها: قول الشيخ عبد الغني الشافعي في التحايل على الربا: "إذا نذر المديون الدائن منفعة الدار أو الأرض المرهونة، وهي ما يحصل من إيجارتها، أو من ثمارها مدة بقاء الدين في ذمته صح"

ومنها: قوله: "يجوز النظر إلى المرآة ولو بشهوة، حيث لم يخش فتنة، بخلاف رؤيتها وراء البلور، لأنه يرى في المرآة صورتها، لا حقيقتها"(١٤١).

١٢- تدخل الظروف والمصالح السياسية، في انتشار بعض المذاهب وانحسار أخرى.

يقول ابن حزم: "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان، الحنفي بالمشرق، والمالكي بالمغرب"(١٤٢).

ويقول ابن خلدون: "وأما أبوحنيفة فقلده أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها، لما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام، وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس"(١٤٣).

"ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر أخذت في بناء المدارس والشرعية، وجعلت للمذهب الشافعي الحظ الأكبر من عنايتها، فخصت به القضاء، وجعلته مذهب الدولة، وكان بنو أيوب كلهم شافعية إلا المعظم عيسى بن العادل، فإنه كان حنفياً"(١٤٤).

١٣- الأخذ بجزء من النص دون الجزء الآخر.

أمثلة على ذلك:

احتجاجهم على جواز الكلام والإمام على المنبر يوم الجمعة، بقوله ﷺ: «**أصليت يا فلان، قبل أن تجلس؟**»، قال: لا، فقال: «**قم فاركع ركعتين**».وخالفوه فيما دل عليه فقالوا: من دخل والإمام يخطب فليجلس ولا يصلي.

ومنها: واحتجوا على اسقاط جلسة الاستراحة بحديث أبي حميد الساعدي، حيث لم يذكرها، وخالفوه في ما دل عليه نفسه من رفع اليدين عند الركوع والرفع منه.

---

(١٤١) بدعة التعصب المذهبي (ص١٨٢).

(١٤٢) بدعة التعصب المذهبي (ص٢١٧).

(١٤٣) مقدمة ابن خلدون (ص٤٤٨).

(١٤٤) بدعة التعصب المذهبي (ص٢٢١).

ومن ذلك احتجاجهم على نجاسة الماء بالملاقاة وإن لم يتغير **بنهيه ﷺ أن يبال في الماء الدائم**، ثم قالوا: لو بال في الماء الدائم لم ينجسه حتى ينقص عن قلتين.

واحتجوا على نجاسته أيضاً بقوله ﷺ: «**إذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يغمس يدَه في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً**»، ثم قالوا: لو غمسها قبل غسلها لم ينجس الماء، ولا يجب عليه غسلها، وإن شاء أن يغمسها قبل الغسل فعل.

واحتجوا في هذه المسألة بأن **النبي ﷺ أمر بحفر الأرض التي بال فيها البائل وإخراج ترابها**، ثم قالوا: لا يجب حفرها، بل لو تركت حتى يبست بالشمس والريح طهرت.

واحتجوا على منع الوضوء بالماء المستعمل بقوله ﷺ: «**يا بني عبد المطلب إن الله كره لكم غُسالة أيدي الناس**» يعني الزكاة. ثم قالوا: لا تحرم الزكاة على بني عبد المطلب.

واحتج أهل الرأي على نجاسة الكلب وولوغه بقول النبي ﷺ: «**إذا ولَغَ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات**» ثم قالوا: لا يجب غَسله سبعاً، بل يغسل مرة، ومنهم من قال ثلاثاً.

واحتجوا على أن الخيار لا يكون أكثر من ثلاثة أيام **بحديث المُصراة**، وهذا من إحدى العجائب؛ فإنهم من أشد الناس إنكاراً له، ولا يقولون به، فإن كان حقاً وجب إتباعه، وإن لم يكن صحيحاً لم يجز الاحتجاج به في تقدير الثلاث، مع أنه ليس في الحديث تعرض لخيار الشرط؛ فالذي أريد بالحديث ودل عليه خالفوه؛ والذي احتجوا عليه به لم يدل عليه.

واحتجوا لهذه المسألة أيضاً بخبر حبان بن منقذ الذي كان يغْبن (يُخْدَع) في البيع، **فجعل له النبي ﷺ الخيار ثلاثة أيام**.

وخالفوا الخبر كله، فلم يثبتوا الخيار بالغبن ولو كان يساوي عشر معشار ما بذله فيه، وسواء قال المشتري: «**لا خلابَة**» أو لم يقل، وسواء غُبن قليلاً أو كثيراً، لا خيار له في ذلك كله.

واحتجوا على وجوب القضاء على من تعمد القيء بحديث أبي هريرة، ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا: إن تقيء أقل من ملء فيه فلا قضاء عليه.

واحتجوا على تحديد مسافة الفطر والقصر بقوله ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا مع زوج أو ذي محرم**» وهذا مع أنه لا دليل فيه ألبتة.

على ما ادعوه فقد خالفوه نفسه فقالوا: يجوز للمملوكة والمكاتبة وأم الولد السفر مع غير زوج ومحرم.

واحتجوا على منع المحرم من تغطية وجهه بحديث ابن عباس في الذي وقَصته ناقته وهو محرم، فقال النبي ﷺ: «**لا تخمروا رأسه ولا وجهه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**» وهذا من العجب فإنهم يقولون: إذا مات المحرم جاز تغطية رأسه ووجه وقد بطل إحرامه.

و**منها ما احتجوا به** على وجوب مسح ربع الرأس بحديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ: «**مسح بناصيته وعمامته**» .

ثم **خالفوه** فيما دل عليه فقالوا: لا يجوز المسح على العمامة، ولا أثر للمسح عليها ألبتة؛ فإن الفرض سقط بالناصية، والمسح على العمامة غير واجب ولا مستحب عندهم.

و**منها ما احتجوا به** على أن الفاتحة لا تتعين في الصلاة بحديث المسيء في صلاته حيث قال له: «**اقرأ ما تيسر معك من القرآن**» وخالفوه فيما دل عليه صريحاً في قوله: «**ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً**» وقوله: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**».

فخالفوه وقالوا: من ترك الطمأنينة فقد صلى، وليس الأمر بها فرضاً لازماً، مع أن الأمر بها وبالقراءة سواء في الحديث.

و**منها ما احتجوا به** على جواز الكلام والإمام يخطب على المنبر يوم الجمعة بقوله ﷺ للداخل: «**أصليت يا فلان قبل أن تجلس؟**» قال: لا، قال: «**قم فاركع ركعتين**» .

وخالفوه في نفس ما دل عليه، فقالوا: من دخل والإمام يخطب جلس ولم يصل.

و**منها ما احتجوا به** على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالغائط بقول النبي ﷺ: «**لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها**» .

وخالفوا الحديث نفسه وجوَّزوا استقبالها واستدبارها بالبول.

و**منها ما احتجوا به** في منع القاتل ميراث المقتول بخبر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «**لا يَرِثُ القاتل، ولا يقتل مؤمن بكافر**» فقالوا بأول الحديث (يعني: لا يرث القاتل) دون آخره (يعني: قالوا: يقتل المسلم بالكافر).

و**منها ما احتجوا به** على أن مسَّ المرأة لا ينقض الوضوء بصلاة النبي ﷺ حاملاً أمامة بنت أبي العاص بن الربيع إذا قام حَملها وإذا ركَع أو سجد وضعها.

ثم خالفوه فقالوا: من صلى كذلك بطلت صلاته وصلاة من ائتم به، قال بعض أهل العلم: ومن العجب إبطالُهم هذه الصلاة وتصحيحهم الصلاة بقراءة ﴿**مُدْهَامَّتَانِ**﴾ (الرحمن: ٦٤) بالفارسية ثم يركع قدر نَفَس، ثم يرفع قدر حد السيف، أو لا يرفع بل يخر كما هو ساجداً، ولا يضع على الأرض يديه ولا رجليه،

وإن أمكن أن لا يضع ركبتيه صح ذلك، ولا جبهته، بل يكفيه وضع رأس أنفه كقدر نفس واحد، ثم يجلس مقدار التشهد، ثم يفعل فعلاً ينافي الصلاة من فَساء أو ضراط أو ضَحك أو نحو ذلك.

ومنها ما **احتجوا** به على جواز تفضيل بعض الأولاد على بَعض بحديث النعمان بن بشير وفيه: «**أشْهِدْ على هذا غيري**» .

ثم خالفوه صريحاً فإن في الحديث نفسه: «**إن هذا لا يصلح**»، وفي لفظ: «**إني لا أشهد على جور**»؛ فقالوا: بل هذا يصلح وليس بجور، ولكل أحد أن يشْهدَ عليه.

ومنها ما احتجوا به على أن النجاسة تزول بغير الماء من المائعات بحديث: «**إذا وَطِىء أحدكُم الأذى بنعليه فإن التراب لهما طهور**».

ثم خالفوه فقالوا: لو وطىء العَذرة بخفيه لم يطهرهما التراب.

ومنها ما احتجوا به في سقوط القطع بسرقة الفواكه وما يسرع إليه الفساد بخبر: «**لا قَطْع في ثمر ولا كَثَر**» .

ثم **خالفوا** الحديثَ نفسه في عدة مواضع: **أحدها** أن فيه: «**فإذا آواه إلى الجرين ففيه القطع**» وعندهم لا قطع فيه آواه إلى الجرين أو لم يؤوه.

الثاني: أنه قال: «**إذا بلغ ثمن المجَنِّ**» وفي الصحيح أن ثمن المجن كان ثلاثة دراهم، وعندهم لا يقطع في هذا القدر.

الثالث: أنهم قالوا: ليس الجرين حِرْزاً؛ فلو سرق منه ثمراً يابساً ولم يكن هناك حافظ لم يقطع.

إلى أشياء أخرى يطول ذكرها، ويشق استقصائها، فهذا من بلايا ومصائب بدعة التعصب المذهبي.

١٤- مخالفتهم في الفروع لما قرروه بأنفسهم في الأصول.

من ذلك: أنهم قرروا أن الأمر يفيد الوجوب، وأن النهي يفيد التحريم.

فخالفوا ذلك: في مسائل عدة منها: الإسبال، والمصافحة للنساء، وحلق اللحية،فقالوا باستحباب الإعفاء عنها، بل قال بعضهم إنها من سنن العادات، وصلاة الجماعة، مستحبة فقط، وإكرام الضيف من مكارم الأخلاق.

١٥- الوقوع في أخطاء اجتهادية فاحشة.

كما تقدم من الأمثلة، ومن ذلك أيضاً: إباحة النظر إلى خيال المرأة، قلت: ويمكن أن يفرع عليه جواز النظر إلى الأفلام الخليعة.

ومنها: جواز سماع صدى صوت المرأة، وعليه فيجوز السماع لمغنية عبر الإذاعة.

وفي هذا يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "وكل من كان عن السنة أبعد كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر" (منهاج السنة٥/١٧٣).

١٦-التشدد في بعض المسائل، مما فيه عنت كبير على الناس.

منها أن لمس الرجل لزوجته ناقض للوضوء، **ومنها** أنها إذا خلت بالماء أنه لا يصح التطهر به، **ومنها** القول بعدم طهورية الماء المستعمل، **ومنها** الأمر بعصر الذكر بعد الاستنجاء، **ومنها** أنه لابد من التأكد من مصاحبة النية لزمن التكبير، وأن النية لو تغير منها شئ في أثناء الصلاة فسدت، **ومنها** أن صوت المرأة عورة، وألزمها بعضهم بأنها إذا أرادت أن تكلم رجلاً أن تضع خرقة في فمها، منها: الشروط التي وضعت للمسح على الخفين.

وقد قال عمير بن إسحاق: "لمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم، فما رأيت قوماً أيسر سيرةً، ولا أقل تشديداً منهم"(١٤٥).

١٧- فساد طريقة التأليف، والتعقيد في الأسلوب، وكان من أسباب ذلك الصد عن العلم والتعلم.

يعرف هذا بالنظر لأول وهلة في كتاب مختصر من كتب الفقه المذهبية، فقد كانوا يتبارون في إغلاق العبارة، والإكثار من الضمائر، وتكلُّف السجع، إلى غير ذلك مما هو مخالف لهدي سلف الأمة، من تبسيط للدين، ليفهمه الصغير والكبير والذكر والأنثى، والحر والعبد، وهذا خلاف البلاغة، لقد بغَّض هؤلاء العلم إلى الناس، وبغَّضوا النَّاس في الشرع الحنيف، حتى إن بعض الطلاب كانوا يقولون: زاد المستنقع، بدلاً من "زاد المستقنع"، هذا بسبب ما يجدونه من تعقيد في عبارته، وصعوبة الفهم، وقد كره كثير من الطلاب تعلم الشريعة وأحكامها بسبب ما يجدونه من تعقيد، وطلاسم يشق على الواحد منهم جداً أن يفهمها.

ومن نتائجه قلة المتفقهين في الدين، وقلة المجتهدين في الأمة، وتطلع الطلاب إلى العلوم الدنيوية، وتركهم للعلوم الدينية.

وهذه نتيجة طبيعية لفقه هذا شأنه، ولدين هذا رسمه، ولعلم هكذا يكون تعلمه.

وقد امتنَّ الله علينا بأنه أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وأرسل رسوله ليبين للناس ما أنزل إليهم.

ولهذا كانت نصوص الكتاب والسنة سهلة ميسرة، قال **ابن القيم** رحمه الله:

---

(١٤٥) إسناده صحيح إليه: رواه الدارمي (١٢٨)، وابن أبي شيبة (١٤/١٧)، وابن سعد (٧/).

(أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها، كما وصف سبحانه به كتابه في قوله ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ﴾(الفرقان/٣٣).

فالحقُّ هو المعنى والمدلول الذي تضمَّنه الكتاب، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق، فهي تفسيره وبيانه، وكلما كان فهم المعنى منه أوضح وأبين كان التفسير أكمل وأحسن، ولهذا لا تجدَ كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتمَّ بياناً من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه سبحانه بياناً، وأخبر أنه يسره للذّكر، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير ؛ **إحداها** تيسير ألفاظه للحفظ، **الثاني** تيسير معانيه للفهَم، **الثالث** تيسير أوامره ونواهيه للإمتثال)[١٤٦].

١٨- صد عن التعلم والتعليم.

١٩- مخالفة المقلدين للمذاهب لما هو مذكور في كتبهم نفسها.

منها: ما أخذوه من مذهب ابن تيمية في الطلاق الثلاث بلفظ واحد، أنه يقع واحدة، وأن الطلاق البدعي لا يقع طلاقاً رغم إن المقرر في كتب المذاهب عكس هذا.

٢٠- تحريفهم للنصوص تعصباً لمذاهبهم.

مثال: قد طبع "مصنف ابن أبي شيبة" في "طبعة كراتشي، بتحقيق وتصحيح: عبد الخالق الأفغاني، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية (١/٣٩٠) حديث: «رأيت النبي ﷺ وضع يمينه على شماله في الصلاة ، **تحت السرة**». وهو في طبعة "المكتبة الإمدادية"، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، وقد حرَّف ذلك في "مسند أبي عوانة" (٢/٢٧٧)، فزادوا لفظة: "تحت السرة".

مثال آخر: عن الحسن البصري أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أُبي، فكان يصلي لهم عشرين ليلة.." .كذا في جمع طبعات سنن أبي داود.

فقد حرفت في طبعة محمود حسن الحنفي، "ركعة"، بدلاً من "ليلة".

وقد قال **الصنعاني** رحمه الله: " ولقد عظمت جنايات المقلدين على أحاديث رسول ﷺ، وعلى أئمة مذاهبهم الذين تبرءوا عن إثبات مقال لهم يخالف نصاً نبوياً، فإنها إذا وردت بخلاف ما قرره من قلدوه، حرفوها عن مواضعها، وحملوها على غير ما أراده ﷺ.

---

١٤٦ «الصواعق المرسلة» (٣٣٠-٣٣٥)، باختصار.

كما قال بعض المعتزلة في حديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». وقد اعتقد ذلك المعتزلي أنه لا شفاعة للعصاة، فقال: مراده ﷺ بـ«**أهل الكبائر**» «المؤمنون أهل الصلاة»، لأن الصلاة كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿**وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ [البقرة: ٤٥].

فانظر أي تحريف أعجب من هذا الذي قاده إليه مذهبه، واعتقاده، أن لا شفاعة لأهل الكبائر، وكونه تحريفاً لا يحتاج إلى دليل.

ومثل قول بعض من اعتقد ندب صوم يوم الشك، لأنه مذهب إمامه، في حديث "عمار بن ياسر" —رضي الله عنه—:—

«من صام يوم الشك فقد عصى "أبا القاسم" —ﷺ—». أنه مراده بأبي القاسم "عمار" نفسه. قال: فقد عصاني. وإنما وضع الظاهر موضع المضمر. ولا يخفى ما في هذا الحمل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية "عمار" "أبو اليقطان".

قلت: هذا من التحريف رعاية للمذهب لأن أحمد بن حنبل قائل بصوم يوم الشك، فحمله رعاية المذهب على حمل حديث عمار على "آخر يوم من شعبان تطوعاً وهذا اليوم لا شك فيه قطعاً بل هو يوم يقين من شعبان.

وكقدح بعض "الحنفية" في "أبي هريرة" —رضي الله عنه— كما ذكره "الحافظ" في "فتح الباري" لما روى حديث "المصراة" على خلاف يعتقدونه مذهباً.

والحاصل أن من اعتقد مذهباً من المذاهب، فإنه يؤدي ذلك إلى المحاماة عليه، وإلى إخراج الآيات والأحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله ﷺ.

فإن من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة، وتحريم ذبائحهم حمل قوله تعالى: ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم**﴾ (المائدة/ ٥)، على حل أخذ الحبوب منهم كالحنطة والشعير.

فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق من هذه الاعتقادات، ورد الأحاديث والآيات إلى مثل تأويل الفرقة الباطنية. وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية.... ولو تتبعت ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع، ولكن مرادنا النصيحة لا التشنيع، وهي تحصل بأقل مما سقناه". (إرشاد النقاد/ص١٦٣: ١٦٨)

يراجع الكتاب النافع في ذلك: "تحريف النصوص"للشيخ بكر عبد الله أبو زيد.

٢١- إشاعة أكذوبة: أن الشريعة لا تفي بمتطلبات العصر، وأنها غير كافية ولا نافعة لهذا الزمان، بسبب إغلاق باب الاجتهاد.

قد استطاع المنافقون في هذه الأمة أن يجدوا ذريعة لهم، لعدم تطبيق أحكام الشريعة، بحجة أن الشريعة لا تفي بمتطلبات العصر الحديث، وكانت حجتهم في ذلك، هؤلاء المقلدة، وأهل الإفتاء الذين تدينوا بالتقليد، والجمود، بل والتعصب، فأبوا أن ينظروا في الكتاب والسنة الخالدين، ومنعوا كل علم وخير، بل وحرجُّوا على أنفسهم، وعلى الناس أن ينظروا في أقوال المخالفين، حتى لو لم يكنَ في مذهبهم جواباً عن المسألة الحادثة.

٢٢- إقصاء تحكيم الشريعة الإسلامية من معظم الدول الإسلامية.

قال **الشيخ العلامة ذهبي عصره المعلمي اليماني**، رداً على الكوثري، في اتهامه السلفيين، بأن مذهبهم هو قنطرة اللادينية فقال رحمه الله: "فهل لنا أن نسأل الكوثري عن البلاد[١٤٧]، التي نبذته مع أضرابه الذين لبسوا الدين مقلوباً، وجعلوا منه حجباً وتمائم، ومحللات نكاح بتيس مستعار، نسأله: كم كان فيها مهتدون بالكتاب والسنة ممن يسميهم: لا مذهبية سببوا لها استبدال قوانين أوربا، ومدنيتها وكفرها بدين الله حقه وباطله؟

فليسم لنا واحداً ممن سألناه عنه، فإذا لم يقدر أن يسمي واحداً في تلك البلاد.

فليقل رضي أو سخط، إن سبب خروج حكومة هذا الشعب الإسلامي على تعاليم الإسلام الصحيحة والخرافية، هو وأمثاله الذين شوهوا دين الله وجعلوه لغباً ولهواً، وعصبية وباطلاً، وحجباً وتمائم، وتحليل أنكحة.

وأنا أعفي الكوثري من السؤال عن سبب ايتبدال مصر بفقه الفقهاء، قوانين وضعية أساسها قانون "نابليون"، لعله لا يعرف ذلك، أو يعرفه ولا يعترف به: إن أمير البلاد (الخديوي إسماعيل) طلب إلى شيوخها على لسان أحد المثقفين: أن يخرجوا خلاصة مذهبية مهذبة الأطراف والحواشي، مبوبة منظمة تعتمد قولاً واحداً من أقاويل متعددة لا يعرف الحق في أيها ليقدمه للمحاكم لتقضي به على المتحاكمين إليها من وطنيين وأجانب، فاستعفى الأمير ذلك المثقف بأنه كبرت سنه، ولا يحب أن يطعن الشيوخ في دينه بهذا الطلب منهم، لما يعلمه من جمودهم على ما هم فيه، وطعنَهم فيمن يحاول تحويلهم عنه.

فلجأ الأمير إلى أرمني (رئيس وزراء مصر الأرمني) لخص له خلاصة قانون نابليون وأعلنه حكماً يتحاكم إليه في المحاكم، فنسخت بذلك شريعة الإسلام في المحاكم المدنية والجنائية وسائر المعاملات، فمن المسؤول عن تأخير فقه المذاهب، ونسخ الشريعة الإسلامية فيها حتى لم تبق للمحاكم الشرعية إلا حثالة من الأحكام الشخصية، مثل الطوائف الأخرى من يهود، وقبط، ومارون، في النكاح والطلاق، والعدد،

---

(١٤٧) المقصود بها (تركيا)، وحكوماتها، والتي كان على رأسها (أتاتورك) الخبيث.

والنفقات: هل المسؤول هم المهتدون بالكتاب والسنة الذين يسميهم الكوثري لا مذهبية، أم شيوخ التقليد وعمائم المذاهب، وأعداء المهتدين بكتاب الله وسنة نبيه، أمثال الكوثري ممن اتخذوا دين الله هزواً ولعباً، ثم يذهب في غير حياء فيرمي هؤلاء الهداة المهتدين بأنهم قنطرة اللادينية بهتاً وبغياً وعدوانا، فالله حسيبه يوم القيامة"(١٤٨).

٢٣- أنه سبب من أسباب تسلط الكفار على المسلمين.

قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾(الأنفال/).

ويأتي كلام **شيخ الإسلام ابن تيمية:** "**وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها** حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا".

٢٤- بغض الدليل والحجة والشغف بأقوال الرجال:

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** في تفسير: ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾: فإنه سبحانه بتر شانئ رسوله من كل خير، ...هذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ ورده لأجل هواه، أو متبوعه، أو شيخه، أو أميره أو كبيره.

من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانئ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لنسى القرآن بعد أن حفظه، ويشتغل بقول فلان وفلان"(١٤٩).

وقال **ابن القيم** رحمه الله: "إن المقلد لا يترك من قَلّدَه ولو جاءته كل آية، وأن طالب الدليل لا يأتم بسواه، ولا يحكّم إلا إياه، ولكل من الناس مورد لا يتعداه وسبيل لا يتخطاه، ولقد عذر من حمل ما انتهت إليه قواه، وسعى إلى حيث انتهت إليه خطاه"(١٥٠).

---

(١٤٨) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل (١/١٢٠).

(١٤٩) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٦).

(١٥٠) زاد المعاد (٥/٢٢١).

٣- الكلام والفلسفة والمنطق:

فهذه كلمات قليلة لأهل العلم من السلف حول المنطق والكلام والفلسفة، أحببت أن أنقلها لإخواني في الله عز وجل نصيحة لوجه الله الكريم، لأنه قد زعم بعض الناس أهمية دراسة المنطق وعلم الكلام.

من أول من أنشأ المنطق؟

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "كان العقلاء العارفون يصفون منطقهم بأنه أمر اصطلاحي وضعه رجل من اليونان لا يحتاج إليه العقلاء ولا طلب العقلاء للعلم موقوفاً عليه كما ليس موقوفاً على التعبير بلغاتهم مثل فيلاسوفياً وسوفسطيقاً وأنولوطيقاً وإثولوجياً ...." . (الرد على المنطقيين/ص١٧٧).

الرد على شبهة لأهل الكلام:

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: وهؤلاء (أي أهل الكلام) يقولون إن المنطق ميزان العلوم العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط في فكر كما أن العروض ميزان الشعر والنحو والتصريف ميزان الألفاظ العربية المركّبة والمفردة وآلات المواقيت موازين لها.

ولكن **ليس الأمر كذلك** فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بني آدم من أسباب الإدراك لا تقف على ميزان وضعي لشخص معين، ولا يقلد في العقليات أحد بخلاف العربية فانها عادة لقوم لا تعرف الا بالسماع وقوانينها لا تعرف إلا بالاستقراء بخلاف ما به يعرف مقادير المكيلات والموزونات والمزروعات والمعدودات فإنها تفتقر إلى ذلك غالباً لكن تعيين ما به يكال ويوزن بقدر مخصوص أمر عادي كعادة الناس في اللغات....

وجماهير العقلاء من جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهم بوضع أرسطو وهم إذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الصناعة الوضعية....

ثم إن هذه الصناعة زعموا أنها تفيد تعريف حقائق الأشياء ولا تعرف إلا بها **وكلا هذين غلط**...

وهنا مقام شريف ينبغي أن يعرف فإنه بسبب إهماله دخل الفساد في العقول والأديان على كثير من الناس إذ خلطوا ما ذكره اهل المنطق في الحدود بالعلوم النبوية التي جاءت به الرسل التي عند المسلمين واليهود والنصارى بل وسائر العلوم كالطب والنحو وغير ذلك

وصاروا يعظّمون أمر الحدود ويدَّعون أنهم هم المحقّقون لذلك، وأن ما يذكره غيرهم من الحدود إنما هي لفظية لا تفيد تعريف الماهية والحقيقة بخلاف حدودهم ويسلكون الطرق الصعبة الطويلة، والعبارات المتكلّفة الهائلة، وليس لذلك فائدة إلا تضييع الزمان، وإتعاب الأذهان، وكثرة الهذيان، ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان، وشغل النفوس بما لا ينفعها، بل قد يضلها عما لابد لها منه، وإثبات الجهل الذي هو أصل النفاق في القلوب، وإن ادَّعوا أنه أصل المعرفة والتحقيق.

وهذا من توابع الكلام الذي كان السلف ينهون عنه، وإن كان الذي نهوا عنه خيراً من هذا وأحسن إذ هو كلام في أدلة وأحكام، ولم يكن قدماء المتكلمين يرضون أن يخوضوا في الحدود على طريقة المنطقيين كما دخل في ذلك متأخروهم الذين يظنون ذلك من التحقيق وإنما هو زيغ عن سواء الطريق.

ولهذا لما كانت هذه الحدود ونحوها لا تفيد الإنسان علماً لم يكن عنده وإنما تفيده كثرة كلام سموهم أهل الكلام". (الرد على المنطقيين/ص٢٧: ٣١).

هل الناس بحاجة إلى تعلم المنطق؟!

فلا يقول أحد إن سائر العقلاء يحتاجون إلى هذه اللغة لا سيما من كرَّمه الله بأشرف اللُّغات الجامعة لأكمل مراتب البيان، المبينة لما تتصوره الأذهان بأوجز لفظ وأكمل تعريف.

وهذا ما احتج به أبو سعيد السيرافي في مناظرته المشهورة لمتَّى الفيلسوف لما أخذ متَّى يمدح المنطق، ويزعم احتياج العقلاء إليه، وردَّ عليه أبو سعيد بعدم الحاجة إليه، وأن الحاجة إنما تدعو إلى تعلُّم العربية، لأن المعاني فطرية عقلية لا تحتاج إلى اصطلاح خاص بخلاف اللُّغة المتقدمة التي يحتاج إليها في معرفة ما يجب معرفته من المعاني فإنه لابد فيها من التعلم ولهذا كان تعلم العربية التي يتوقف فهم القرآن والحديث عليها فرضاً على الكفاية بخلاف المنطق.

ومن قال من المتأخرين: إن تعلُّم المنطق فرض على الكفاية فإنه يدلُّ على جهله بالشرع، وجهله بفائدة المنطق **وفساد هذا القول معلوم بالاضطرار من دين الاسلام**، وأجهل منه من قال

إنه فرض على الأعيان، مع أن كثيراً من هؤلاء ليسوا مقرين بإيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرَّمه الله ورسوله.

ومعلوم إن أفضل هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين عرفوا ما يجب عليهم وكمل علمهم وإيمانهم قبل أن يعرف منطق اليونان" (الرد على المنطقيين/ص١٧٨).

ورحم الله **أبا قلابة عبد الله بن زيد الجرمي** إذ قال: "إذا رأيت المتكلّم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث والآحاد، وهات، (العقل) ، **فاعلم أنه أبو جهل**، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات: الذوق والوجد، **فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه**". [سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٢)] .

وعن **مالك** أنه قال: "من طلب العلم بالكلام تزندق، ...". [أخرجه الهروي في "ذم الكلام" (٨٥٩)] وقال **الإمام أحمد** رحمه الله: "لا يفلح من تعاطى الكلام، ولا يخلو من أن يتجهم".

وقال الإمام أحمد: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة"(١٥١).

وقال **الإمام الشافعي**: "لئن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظُر في الكلام"

وقال **الإمام الشافعي** رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام". [الطحاوية (ج١/ ص٦٧-ط مكتبة المعارف)]

قال **ابن عبد البر** رحمه الله: "**أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ**، ولا يعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، **وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز**" [في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٥)].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "والعجب: أن من هؤلاء (يعني: أهل الكلام) من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث، حمل الحديث على عقله وصرح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزاناً للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحاً بتقديمه في الشريعة المحمدية، فيكون هو السبيل المأمور

---

(١٥١) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٧٩).

باتباعه، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله"ا-هـ مختصراً. [الفتاوى (٤/٥٥-٥٨)].

قال الذهبي رحمه الله: "**والمحرم منه** -أي من العلم-: النظر في المنطق والنفس والعقل والكِلِ، والكُلّي والعَرَض والجسم، وهذه الأدواء المهلكة"(١٥٢).

فتوى في تعلم المنطق والفلسفة:

وقال **الإمام الذهبي** ومن فتاويه: -يعني: أبا ذر الهروي-: أنه سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب:

"الفلسفة أس السفه، والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف، عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبس بها، قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد ﷺ إلى أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، **وليس بالأحكام الشرعية، ولله الحمد، افتقار إلى المنطق أصلاً، فهو فقاقيع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن**، فالواجب على السلطان أعزه الله أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم". [سير النبلاء (٢٣/١٤٣)].

من مفاسد الكلام ومنطق اليونان:

قال **العلامة أبو شامة المقدسي** (توفي سنة٦٦٥): "وعلم الأصول منقسم إلى ما يسمى أصولَ الدّين، وإلى ما يُسمَّى أصولَ الفقه، وقد أُلْحق بكل واحد من العِلْمين أشياءُ كثيرة، وأبحاث عسيرة من علَم الكلام، وشُبه أهل الجدال والخصام، والأَولى بمن صحَّ إيمانُه، ووَضحَ برهانه، أن لا يضيع فيها زمَانَه، وقد دس فيهما بعضُ من انتهض، أو كان في قلبه مرض، من علوم الأوائل المنكرة، أموراً ضارةً مستنكرة، حتى صار المشتغل بتلك العلوم، يتستر باسم الأصول وهو ملوم"(١٥٣).

ولقد كان لهذا الحدث، جناية عظيمة على دين الإسلام وأهله، وكان من أهم آثاره ما يلي:

١- تشويه العقيدة الصافية النقية، وإفساد منهجي التلقي والاستدلال على حد سواء.

٢- ضعف التوقير والاحترام لأدلة الكتاب والسنة.

٣- ومن نتيجة ذلك رد نصوص الوحيين، بدعوى أنها تعارض القطعيات من العقليات في زعمهم.

---

(١٥٢) مجلة المجاهد (عدد:٤١-٤٢/ص٤٨).

(١٥٣) خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول (ص٣٤-ط أضواء السلف).

٤- عدم تقدير واحترام علماء الكتاب والسنة، بل ذمهم والطعن فيهم.

٥- تفريق كلمة المسلمين، وشق صفوفهم، بظهور فرق الضلال، وتحزبهم.

٦- إدخال الفساد على أصول الدين يعني: العقائد، وأصول الفقه.

وقال ابن القيم : "وأما المنطق فباطله أضعافُ حقّه، وفساده وتناقضُ أصوله، واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره، ولا يؤمن بهذا إلا مَن قد عرفه وعرف فسادَهَ وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح.

وهذا الشافعي وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وسائر أئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم لَمن نظر فيها هل راعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا؟ بل هم كانوا أجل قدراً وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين.

وما دخل المنطق على علم إلا أفسده وغيَّر أوضاعه وشوش قواعدَه"(١٥٤).

٧- يصيب متعلمه بالغرور، وتعظيمه لعقله، واحتقاره للآخرين، لا سيما من لم يدرسه، ولم يكن على دراية به.

٨- إفساد اللغة والبيان.

٩- إفشاء العي، واللكنة، وإفساد العقول.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** : "وما زال نظّار المسلمين يعيبون طرق أهل المنطق ويبينون ما فيها من العي واللكنة، وقصور العقل، وعجز المنطق، ويبينون أنها إلى إفساد المنطق العقلي واللساني أقرب منها إلى تقويم ذلك"(١٥٥)ا-هـ.

١٠- تحجيم وتجميد روح الابتكار، والاجتهاد.

تنكيل السلف بمن أقبل على الكلام:

ومن تدبر ما كتبه **شيخ الإسلام ابن تيمية** عما يسمى بعلم الكلام يرى منزلة هذا المنطق عند أئمة الدين قال رحمه الله : "ما زال علماء المسلمين، وأئمة الدين يذمُّون أهله، وينهون عنه وعن أهله، حتى رأيت للمتأخرين فتيا فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم، فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة أهله، حتى إن من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي، وقال: أخذُها منه أفضل من أخذ عكا (يعني: من

---

(١٥٤) الإفادة من مفتاح دار السعادة (٢٦٣/١).

(١٥٥) الرد على المنطقيين (ص١٩٤).

أيدي الصليبيين)، مع أن الآمدي لم يكن أحد في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية والفلسفة منه، وكان من أحسنهم إسلاماً، وأمثلهم اعتقاداً"(١٥٦)ا-هـ.

٤- اتباع الكتب والعكوف عليها:

ولقد حرص السلف على الاشتغال بالكتاب والسنة قبل كل شئ، والنهي عن كل ما يشغل عن ذلك من كتب ولو كان فيها من الخير ما فيها لأن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أعظم وأجل، وأكثر بركة وهدى وتقى. فعن الأسود قال جاء رجل من أهل الشام إلى عبدالله بن مسعود ومعه صحيفة فيها كلام من كلام أبي الدرداء، وقصص من قصصه، فقال: "يا أبا عبد الرحمن! ألا تنظر ما في هذه الصحيفة من كلام أخيك أبي الدرداء؟.فأخذ الصحيفة، فجعل يقرأ فيها وينظر، حتى أتى منزِله، فقال: "يا جارية ائتيني بالإجانة مملوءة ماء".فجاءت به، فجعل يدلكها، ويقول:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾(يوسف/١: ٣).

أقصصاً أحسن من قصص الله تريدون، أو حديثاً أحسن من حديث الله تريدون؟!!". **(حسن لغيره)**

أ- كتب الرأي، أو (ما يسمى بكتب الفقه):

انظر أخي القارئ إلى ما قاله **ابن الجوزي** وهو ينقل عن الإمام أحمد أنه: "كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي ويحب التمسك بالآثار". [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٩٢)]

وفي رواية: أن رجلاً سأل **أحمد بن حنبل** أكتب كتب الرأي(١٥٧)؟.قال: لا ، قال فابن المبارك قد كتبها؟

---

(١٥٦) نقض المنطق (ص١٥٦).

(١٥٧) قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "إن المتقدمين كانوا يجمعون في الباب بين المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، **ولم تكن وضعت كتب الرأي التي تسمى (كتب الفقه)**".(الفتاوى١٨/٧٤، ٧٥)، قلت: يعني التي تعنى بتشقيق المسائل، ويقل فيها الدليل أو ينعدم أحياناً، ولا يبالي أصحابها إلا بحكاية المذهب، والاستدلال له بأي دليل ولو كان ضعيفاً.

قال: "ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق". [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٩٤)]

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "ولما كان القرآن أحسن الكلام نهوا عن إتباع ما سواه قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت/٥١).

و قال **ابن رجب** رحمه الله: "كان الإمام أحمد ينهى عن آراء الفقهاء والاشتغال بها حفظاً وكتابة، ويأمر بالاشتغال بالكتاب والسنة حفظاً وفهماً وكتابة ودراسة، **وبكتابة آثار الصحابة والتابعين دون كلام من بعدهم**، ومعرفة صحة ذلك من سقمه والمأخوذ منه، والقول الشاذ المطَّرح منه. **ولا ريب أن هذا مما يتعيَّن الاهتمام به والاشتغال بتعلُّمه أولاً قبل غيره**". [الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (ص٣٨)]

وهذا قول **أبي حنيفة** في رواية عنه: "ويحك يا يعقوب! (وهو أبو يوسف): لا تكتب كلَّ ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد". [ينظر تخريجه في صفة الصلاة" (ص٧٦)]

وقال **ابن حزم**: وروي أن **مالكاً** أفتى في مسألة في طلاق البتة: أنها ثلاث، فنظر إلى أشهب قد كتبها، فقال: أمحها، أنا كلما قلت قولاً جعلتموه قرآناً؟!، وما يدريك لعلي سأرجع عنها غداً، فأقول: هي واحدة. وقال **الفضل بن زياد**: سألت: **أحمد بن حنبل** عن الكرابيسي[١٥٨] وما أظهر؟ فكلح وجهه، ثم قال: **إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، وتركوا آثار رسول الله ﷺ، وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب**". [صحيح: رواه يعقوب الفسوي في"المعرفة والتاريخ" (٤٩٤/٣)].

يقول **الإمام ابن القيم**: "ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن مسألة يقولون: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل رسول الله كذا، ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلاً قط، فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور، فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيباً عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه قال الله، وقال رسول الله.

---

(١٥٨) حسين الكرابيسي كان من بحور العلم فقيه بغداد، تفقه بالشافعي مات (٢٤٨هـ) كما قال الذهبي رحمه الله (السير١٢/٧٩)، وإنما تكلم فيه لأجل الرأي وقلة العناية بالأثر.

أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن قول الله ورسوله لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين، وإنما يحتج بكلام الله ورسوله فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة.

وأما **فروعهم فقنعوا بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسول الله ﷺ، ولا عن الإمام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم، بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق، ويبيحون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف، وأجلُّهم عند نفسه وزعيمهم عند بني جنسه: من يستحضر لفظ الكتاب، ويقول: هكذا قال، وهذا لفظه؛ فالحلال ما أحلَّه ذلك الكتاب، والحرام ما حرَّمه، والواجب ما أوجبه، والباطل ما أبطله، والصحيح ما صححه** هذا.

وأنّى لنا بهؤلاء في مثل هذه الأزمان، فقد دفعنا إلى أمر تضج منه الحقوق إلى الله ضجيجاً، وتعج منه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجاً، تبدُّل في الأحكام، ويقلب فيه الحلال بالحرام، ويجعل المعروف فيه أعلى مراتب المنكرات، والذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات"(١٥٩).

فهذا سبيل أهل الكتاب من قبلنا كما قال **أبو موسى**: «إن بني إسرائيل كتبوا كتابا فتبعوه وتركوا التوراة». **(إسناده صحيح)**

وقال إسماعيل ابن علية، قال **ابن عون**: "أحسب أو أرى يكون لهذه الكتب غب سوء.قال إسماعيل: "إنما كرهوا الكتاب، لأن من كان قبلكم اتخذوا الكتب، فأُعجبوا بها، فكانوا يكرهون أن يشتغلوا بها عن القرآن". [تقييد العلم للخطيب (ص٥٧)]

وصدق والله فقد كان أن انشغل كثير من طلاب العلم، بحفظ المتون بلا أدلة، وعكفوا على كتب المذاهب والحواشي والتقريرات والشروح، وتركوا كتاب الله عز وجل، وسنة النبي ﷺ، فلا تكاد تجد من يتفقه فيهما، ويقرأ تفسير القرآن بالمأثور، والحديث وشروحه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال **ابن حزم** رحمه الله: أما **كتب الرأي فاعلموا أنها: لا تحل قراءتها على معنى تقليد ما فيها، والتدين به،** ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾(النساء/٥٩)، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فحرام عليه أن يرد شيئاً مما اختلف فيه إلى قول .... أبي حنيفة وإلى سفيان، ومالك والشافعي، وأحمد وداود وأبي يوسف ومحمد وابن القاسم.

---

(١٥٩) إعلام الموقعين (٤/٢١٨،٢١٧).

لأن من رد ذلك إلى غير القرآن وحديث النبي ﷺ فقد خالف ما أمره به تعالى في الآية المذكورة، ومن لم يفعل ما أمر الله تعالى به فقد عصى الله عز وجل ورسولَه واستحق أقبح الصفات، ولم يحكم بما أنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(المائدة/٤٧)...»، إلى أن قال: «وإنما يجوز قراءة كتب الرأي **على وجه طلب ما أجمع عليه أئمة العلماء فيتبع ويوقف عنده**» . إلى أن قال: « فعلى هذا الوجه يجب قراءة كتب الرأي، فمن قرأها على هذا أُجرَ وانتفع بها جداً، وأما من قرأها متدينا بها غير عارض لها على القرآن وحديث النبي ﷺ فهو فاسق لعصيانهَ ما أمر الله تعالى به، ولأنه لم يحكم بما أنزل الله؛ فمن جمع إلى هذا استحلال مخالفة ما روي عن النبي ﷺ، فيما يعتقد صحته عنه ﷺ، لقول أحد دونه واعتقد أن هذا جائز فهو كافر مشرك مرتد عن الديانة منسلخ عن الإسلام حلال الدم والمال، ولا تحسب أني سبقت إلى هذا القول فمعاذ الله أن أقول ما لم يقله الله تعالى ورسوله، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(النساء/٦٥).، وأنا أقول: والله ما آمن من حكم غير رسوله، ..... وذكر محمد بن نصر عن إسحاق ابن راهويه أنه قال: "من سب رسولَ الله ﷺ أو ترك صلاة فرض متعمداً حتى خرج وقتها، بلا عذر، أو ردَّ حديثاً مسنداً صحيحاً بلغه عن رسول الله ﷺ فهو: كافر مشرك"»(١٦٠).

وقراءتها على وجه آخر وهو شرح النصوص ومعرفة طرق الاستنباط، وتصور المسائل، ذكر **ابن القيم** من الرأي المحمود: "الرأي الذي يفسر النصوص، ويبين وجه الدلالة منها، ويقررها، ويوضح محاسنها، ويسهل طريق الاستنباط منها، كما قال عبدان: سمعت **عبدالله بن المبارك** يقول: "ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، و**خذ من الرأي ما يفسر لك الحديث**"(١٦١). وهذا هو الفهم الذي يختص الله سبحانه به من يشاء من عباده".

وهناك وجه ثالث تَقرأ لأجله كتب الرأي وهو: معرفة القياس، وإرجاع الفروع إلى أصولها، قال **ابن القيم**: (وهو) أن يكون بعد طلب علم الواقعة من القرآن فإن لم يجدها في القرآن ففي السنة، فإن لم يجدها في السنة فبما قضى به الخلفاء الراشدون أو اثنان منهم أو واحد، فإن لم يجده فبما قاله واحد من

---

(١٦٠) كتاب: "التلخيص لوجوه التخليص" لابن حزم (ص١٣٣: ١٣٨) بإختصار يسير.

(١٦١) **صحيح**: ذم الكلام للهروي (رقم٣٣٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (١٦٥/٨)، والبيهقي في "المدخل" (٢٤٠)، وابن عبد البر في "جامع العلم" (١٠٧٠/٢، ١٠٥٠، ١٠٣١)، ، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١٦٤/٢).

الصحابة رضي الله عنهم فإن لم يجده اجتهد رأيه، ونظر إلى الرأى الذي سوغه الصحابة، واستعملوه وأقر بعضهم بعضا عليه(١٦٢).

ينظر ما قاله الفلاني في "إيقاظ همم أولي الأبصار" (ص٨٢)، حول كتب الفروع. وعليه فإن قراءتها مفيدة ونافعة لأجل **معرفة الإجماع والخلاف، والقياس، وتصور المسائل، وشرح النصوص ومعرفة طرق الاستنباط منها.**

وقد يظن ظان أنا نأمر بعدم القراءة في كتب المذاهب، أو أننا نأمر بحرقها، وعدم الإفادة منها، فنقول: هذا وهم من قائله، فنحن نفرق بين أن يكون اعتماد التفقه عليها، وبين أن يكون الاعتماد في التفقه على الكتاب والسنة، مع فهمهما بفهم أهل العلم دون أن يكون التأويل لهما حسب المذهب، ودون أن يكون المذهب هو المهيمن والحاكم عليهما، مع الاستنارة بهذه الكتب في فهم الوحيين، فهي بمثابة الكتب الآلية كما قال صاحب (تيسير العزيز الحميد/ص٥٤٨) فيما تقدم قال: «**يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل، فتكون من نوع الكتب الآلية، أما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ فلا**».

ومن أحب أن يتسلى فليتسل بما قاله الإمام الحافظ شيخ الإسلام الجماعة **محمد بن أسلم الطوسي** رحمه الله: "إن هؤلاء قد كتبوا رأي فلان، وكتبت أنا الأثر، فأنا عندهم على غير الطريق، وهم عندي على غير الطريق"(١٦٣).

ما الفرق بين كتب الحديث وكتب الفقه؟!

قد يفرق بعضهم بين كتب السنة والحديث وبين كتب الفقه بأن يقول: كتب الحديث تعنى بجمع الأحاديث فحسب، ولا فقه فيها، ولكن كتب الفقه هي التي تعنى بمسائل الأحكام، وفروع العلم، والفقه كله فيها، حتى غلا بعضهم وجعلها كافية للأمة في جميع شئونها، وأنها تغني عن الكتاب والسنة، وأن

(١٦٢) بتصرف يسير إعلام الموقعين (١/١١٨:١٢٥).

(١٦٣) سير أعلام النبلاء (١٢/٢٠٠)، وكان محمد بن أسلم يشبه بأصحاب النبي ﷺ، قال ابن خزيمة: "لم تر عيناي مثله"، وقال ابن راهويه: "لم أسمع عالماً منذ خمسين سنة كان أشد تمسكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم".

القرآن والحديث -إن قدر- إبأن رفعا من الأمة فإن المسلمين يجدون كفايتهم وحاجتهم في كتب المذاهب الفقهية(١٦٤)!!

ونحن نقول: هذا من الغلو، والجهل بمعرفة قيمة الكتاب والسنة، من جهة، ولأنهم أغلقوا باب الاجتهاد على أنفسهم وغيرهم؛ فلم يعودوا ينظرون فيهما نظر فهم واستنباط، ومن جهة أخرى فإنهم يعظمون كتب الرأي التي يسمونها (كتب الفقه)، ويتدينون بها، ويكْبرونها، فلا يكادون يلتفتون إلى كتاب ربهم، ولا سنة نبيهم، والله يقول: **(أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكَتاب يتلى عليهم)**، ففي كتاب الله الكفاية والغنية، وليس في شيء من الكتب غنية عن كتاب الله، وكذا في السنة الكفاية والنور والهدى والغنية والبركة، والعصمة، وليس في شيء من غيرها غنى عنها.

ثم إن في كتب السنة من السنن، والأحاديث الكثيرة التي ليست في كتب الرأي التي تدعى (كتب الفقه).

وسيأتي الكلام علي كتب الحديث والسنة قريباً وبيان فضلها إن شاء الله.

والعجيب أنهم يقللون من كتب الحديث، ويرهبون منها، وجل ما عندهم من أدلة قد أخذوها منها، وهم عيال عليها، فأهل الحديث لهم الفضل والمنة على عموم الأمة.

هذا ويظن هؤلاء وكثير من الناس أن كتب الحديث بعيدة كل البعد عن الفقه، وأن الفقه هو هذه الآراء!!

---

(١٦٤) قال **شيخنا الألباني** رحمه الله معلقاً على حديث: «**وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ...**».

قال: وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه.

فما أبعد ضلال بعض المقلدة **الذين يذهبون إلى أن الدين محفوظ بالمذاهب الأربعة، وأنه لا ضير على المسلمين من ضياع قرآنهم لو فرض وقوع ذلك!!** هذا ما كان صرَّح لي به أحد كبار المفتين من الأعاجم وهو يتكلم العربية الفصحى بطلاقة وذلك لما جرى الحديث بيني وبينه حول الاجتهاد والتقليد.

والحقيقة أن هذا الجواب الذي حصلنا عليه من المفتي بطريق المحاورة، هو جواب كل مقلّد على وجه الأرض، وإنما الفرق أن بعضهم لا يجرؤ على التصريح به، وإن كان قلبه قد انطوى عليه. نعوذ بالله من الخذلان.

فتأمل أيها القارىء اللبيب مبلغ ضرر ما نشكو منه، لقد جعلوا القرآن في حكم المرفوع، وهو لا يزال بين ظهرانينا والحمد لله، فكيف يكون حالهم حين يسرى عليه في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية؟! فاللهم هداك. (الصحيحة ١/١٧٣).

وهذا وهم من قائله، أو جهل بكتب الحديث، فإن الحديث بذاته فقه، فالنبي ﷺ أطلق على حديثه لفظ: الفقه فقال: «**رب حامل فقه ليس بفقيه أو إلى من هو أفقه منه**».

وأيضا: فإن كتب الحديث قد صنفت على أبواب الفقه وكثير من مؤلفيها فقهاء علماء من أهل الاجتهاد كالبخاري وأبي داود كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أن هؤلاء أئمة من أهل الاجتهاد.

وتراجم هذه الكتب قد اشتملت على أبواب كلها فقه، وأحكام، ولذا قد يكررون الحديث فيها مرات بل وعشرات، لأنهم يستنبطون منه أحكاماً كثيرة.

هذا غير أنها شاملة ولذا تجد في هذه الكتب من السنن والفرائض والأحكام والفضائل ومكارم أخلاق، والحلال والحرام ما لم يذكر في كتب الرأي، مع ما في ذلك من السلاسة والسهولة، والنور والهدى، بل والسنن المهجورة، وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكثرة الأدلة والنصوص في المسألة الواحدة.

وأيضاً طريقة العرض فيها للدين طريقة فريدة جداً تفتتح كل حكم فيها بالصلاة على النبي ﷺ، فقول الصحابي قبل ذكر الحديث: قال رسول الله ﷺ، فيه من الرقة والأجر، وقوة الحجة، وسلاسة العبارة، والتلطف في الأمر كطريقة القرآن، يفتتح الأمر أو النهي بيا أيها الذين آمنوا، كما يفتتح النبي ﷺ قوله مثلاً: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...

ونحو ذلك من التلطف في الأمر أو النهي، وتختتم الآية بترغيب أو ترهيب أو بهما معاً.

وكذلك الحديث إما أن يكون فيه ترغيب أو ترهيب أو بيان فضل، أو عمل من الصحابي، أو فعل من النبي ﷺ الذي فيه التأسي والاقتداء، أو وعد أو وعيد، أو إنكار وزجر، أو استحسان وثناء على من فعل ذلك أو غير ذلك مما يطول ذكره.

وهذا بخلاف الكتب المذهبية، وما يسمى بالمتون الفقهية التي اشتملت على الأحكام مجردة، افعل ولا تفعل، يحرم، ويجب، لا سيما المتون المجردة عن الأدلة، أو قليلة الأدلة، والمهم فيها ذكر المذهب، أو الرواية أو الوجه، أو هذا قول أصحابنا، أو قول فلان من أصحابنا أو ...إلخ

هل يستفاد من كتب الفروع، وما يسمى بـ(كتب الفقه)؟

الجواب: نعم يستفاد منها، وإن كان بعضهم غلا وتنطع، وذمها ذما مطلقاً، وبعضهم أمر بإحراقها(١٦٥)، فنحن نعوذ بالله من ذلك، بل هي جهود مشكورة لا سيما كتب وعلم المتقدمين من الأئمة المجتهدين، من أصحاب المذاهب المشهورة وغير المشهورة، والمتقدمين من أصحابهم، ويستفاد أكثر ما يستفاد من الكتب الكبيرة منها الذي يعنى بالدليل، والترجيح كالمجموع للنووي، والمغني لابن قدامة المقدسي رحمهم الله.

فمن الغلو الذي لا نرضاه ما ذكر عن **العلامة فقيه المغرب، أبوعثمان بن الحداد الافريقي المالكي، سعيد بن محمد بن صبيح**، أخذ عن سحنون وغيره، وبرع في العربية والنظر، ومال إلى مذهب الشافعي، وأخذ يسمى المدونة المدودة(١٦٦)، فهجره المالكية، ثم أحبوه لما قام على أبي عبد الله الشيعي وناظره ونصر السنة. "العبر في خبر من غبر" (١/ ٤٤٣).

ولا شك أننا ننكر هذه الطريقة، بل يستفاد من هذه الكتب، ولكن لا تقدم لا في الدراسة، ولا التدريس، ولا العمل على الكتاب والسنة، ولا تدرس على أنها أصل يتعبد بما فيها، وسيأتي بيان لهذا إن شاء الله.

---

(١٦٥) في ولاية أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وهو يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، يكنى أبا يوسف، بويع له في حياة أبيه بأمره بذلك. وكانت سنه يوم صار إليه الأمر اثنتين وثلاثين سنة؛ فكانت مدة ولايته منذ وفاة أبيه إلى أن توفي في شهر صفر الكائن في سنة ٥٩٥، ست عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وتوفي وله من العمر ثمان وأربعون سنة

قال في المعجب في "تلخيص أخبار المغرب" (ص: ٢٠٢) : «وانتشر في أيامه أهل علم الحديث صيت، وقامت لهم سوق، وعظمت مكانتهم منه ومن الناس. ولم يزل يستدعي الصالحين من البلاد، ويكتب إليهم يسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة.

وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدوَّنة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها.

لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار. **وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة**"..

(١٦٦) «المدوَّنة»: قال **الذهبي** رحمه الله: «وأصل الْمُدَوَّنَة أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم، فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم، فأصلح فيها كثيرا، وأسقط، ثم رتَّبها سحنون وبَوَّبها، واحتجَّ لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته، مع أن فيها أشياء لا ينهض دليلها بل رأي محض، وحكوا أن سحنون في أواخر الأمر عظَّم عليها وهمَّ بإسقاطها وتهذيب المدونة، فأدركته المنية رحمه الله؛ فكبراء المالكية يعرفون تلك المسائل ويقررون منها ما قدروا عليه، ويوهنون ما ضعف دليلُه». سؤالات السلمي للدارقطني (ص٤٢).

فنعوذ بالله من الفتن، والانحراف عن الكتاب والسنة، والغلو هو الذي أوجد مثل هذا، والغلو في الطرف الآخر، فلا تفريط، ولا إفراط، قال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وهذا الغلو أوجد هذه الحروب بين المدرستين، ولو أن كل واحد توسط فاعتمد على السنة والحديث، وانتفع بما كتبه الفقهاء لكان في هذا خير كثير، وسعة وألفة ومحبة ومودة بين المسلمين.

متى يصح قراءة كتب الرأي والتي تدعى (كتب الفقه) والانتفاع بها، والإفادة منها؟

ويعتقد البعض أن الاعتناء بكتب الحديث يعني بالضرورة إهمال كتب الفقه وتحريم النظر فيها؟!!

الجواب: ليس الأمر كما ظن السائل أو صاحب الشبهة، بل الأمر كما ذكرنا أنه يستفاد منها، وقد ذكرنا باباً في هذا فيما سبق، في الواقع إن قائل ذلك: ينظر إلى حاله مع كتب السنة والحديث، فلما لم ير نفسه نظر فيها وليس له اعتناء بها بل يهجرها، وأدام النظر فيما يسمى بكتب الفقه، فظن أن طالب الحديث كذلك، وليس الأمر كما ظن وتوهم.

وبعضهم يظن أن دراسة كتب الحديث يعني: أن الطالب يهجم على النصوص يفهمها بفهمه دون الرجوع لكلام أئمة الشأن في معناها!

ب- الكتب الفكرية والحركية والثقافية:

وإذا كان هذا في كتب فيها بعض الأدلة، فكيف بمن اتبع الظن وما تهوى الأنفس، واعتمد في جلِ ما يقول على الصحف والمجلات، **فكتب ما يسمى بالكتب الفكرية، أو الكتب الحركية وعكف عليها** وأعرض عن التفقه في نصوص الكتاب والسنة.

وقد سئل سماحة **شيخنا ابن باز** رحمه الله: "بعض الناس يعتمد على **الكتب الفكرية والثقافية**، ويقرأ منها ثم بعد ذلك يظن أنه عالم وداعية مع أنه ضعيف في الفقه في الدين ...

ج: العلم قال الله وقال رسوله وليس قال فلان وفلان، بعد ذلك قول أهل العلم بما يفسرونه ويوضحونه للناس وأهل العلم هم خلفاء الله في عباده بعد الرسل، قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ**

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ (آل عمران/١٨)، والعلم هو: العلم بالله وبدينه، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر/٢٨) وهم الرسل وأتباعهم أهل البصائر، أهل القرآن والسنة. ولا يكون طالب العلم من أهل العلم إلا بتدبر وتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والأخذ من علماء السنة، هذا هو طريق العلم.

أن يقبل على الطاعات والتدبر والاستفادة، ويطالع ما أشكل عليه في كتب التفسير المعتمدة، "كـ(تفسير ابن كثير)، و(البغوي) ونحوهما، ويعتني بكتب الحديث الشريف، ويأخذ العلم عن علماء أهل السنة والجماعة من أهل البصيرة، لا من علماء الكلام، ولا من علماء البدع، ولا من الجهلة فالعلم الذي ليس من كتاب الله وسنة رسوله لا يسمى علماً، بل يسمى جهلاً.

وإن كان علماً نافعاً في الدنيا لكن المقصود الذي ينفع في الآخرة، وينقذ من الجهالة، ويتبصر به الإنسان في الدين ويعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم عليه هذا هو العلم الشرعي". [مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/٢٣٥: ٢٣٦)].

جـ- كتب الرقائق والسلوك:

ونحو هذا العكوف على كتب أهل السلوك من أهل الأذواق والأحوال، والحقائق والتصوف، وزعم أنها كتب رقائق وزهد.

فمن أراد الزهد فعليه باختيار الكتب النافعة في ذلك على طريقة السلف، كالزهد لأحمد، والزهد والرقائق لابن المبارك، والزهد لهناد بن السري، ونحوها.

أما كتب الصوفية كإحياء الغزالي، وشروحه، ومختصراته فالأولى تركها، أو هجرها، بل والتحذير منها. قال **ابن الجوزي** رحمه الله: "وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لا تستند إلى أصل، وإنما واقعات تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن.

قال إسحاق بن حية: سمعت **أحمد بن حنبل** وقد سئل عن الوساوس والخطرات؟ فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون. وقال ابن الجوزي رحمه الله: وروينا عن **أحمد بن حنبل** أنه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البرذعي قال: شهدت **أبا زرعة** وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؟

فقال للسائل: **إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر**؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيل له: في هذه الكتب عبرة! قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل

عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة صنَّفوا هذه الكتب على الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع". [المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٢١٦)].

وقال **ابن القيم** رحمه الله: "ومن أحالك على غير «حدثنا»، و «أخبرنا»، فقد أحالك على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي، فليس بعد «القرآن»، و «أخبرنا»، و «حدثنا»، إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات التصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم" (مدارج السالكين٢/٤٦٨).

هناك كتب أخرى ليست صوفية، ولكنها أُلّفت لهداية جماعة من المتصوفة إلى طريق السنة وخاطَبوهم بأسلوبهم حتى ينفذوا إليهم بها، كـ"مدارج السالكين" لابن القيم.وله اجتهاده وهو مأجور إن شاء الله، وهو كتاب نافع، وقد بيَّن ذلك في مقدمته.

ومما يدخل في هذا المعنى أيضاً ما ورد في الحديث: «**إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا**» " (الصحيحة/١٦٨١)، وعلق عليه **شيخنا الألباني** رحمه الله بقوله: "من الممكن أن يقال: إن سبب هلاكهم اهتمام وعاظهم بالقصص و الحكايات دون الفقه و العلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم، فيحملهم ذلك على العمل الصالح ، لما فعلوا ذلك هلكوا . و هذا هو شأن كثير من قصاص زماننا الذين جل كلامهم في وعظهم حول الإسرائيليات و الرقائق و الصوفيات نسأل الله العافية".

٥- البدع والشبهات:

والبدعة: "هي طريقة في الدينِ مخترعةٌ، تضاهي الشرعية، يُقصَدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى" [الاعتصام (١/٥١)]، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف/٣).وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى/٢١)، وقوله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**» [(صحيح، رواه أبوداود (٤٦٠٩) وهو في "الصحيحة" (٢٧٣٥)].

وقوله عليه السلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**». متفق عليه، وقال **ابن مسعود** رضي الله عنه: "إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق" [إسناده صحيح: رواه الدارمي(٥٤/١)]، وقال أيضاً: "ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم". [رواه مسلم: (١٥٦/٥)] وعن **ابن المسيب** أنه رأى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع، فنهاه، فقال ياأبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟! قال: "لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة". [صحيح: رواه عبد الرزاق (٥٢/٣-٤٧٥٥) الإرواء (٢٣٦/٢)]، حدثنا موسى بن خالد ثنا معتمر بن سليمان عن عبيد الله بن عمر ان عمر بن عبد العزيز خطب فقال: «يا أيها الناس .... إني لست بقاض **ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع** ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملاً ألا وإنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله ألا هل أسمعت؟» [**إسناده صحيح**: رواه الدارمي/٤٤٧]. وهذا **إمام دار الهجرة الإمام مالك** يقول: "من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣)، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها"[١٦٧] أ.هـ. [صحيح: ينظر الاعتصام (٦٢/١)، (٣٦٨/٢)]

ويوضح ذلك قول **ابن عباس**: "ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن". [**إسناده لا بأس**: رواه الطبراني (٣١٩/١٠-ح١٠٦١٠)، واللالكائي (٩٢/١- رقم١٢٥)، ومحمد بن نصر المروزي في "السنة" (٩٨)].

عن **حسان بن عطية** قال : « ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة »، [**إسناده صحيح**: رواه الدارمي (٩٨)، واللالكائي (رقم١٢٩) من طريق أخرى، وابن بطة (٣٥١/١- رقم٢٢٨)، وابن وضاح في (البدع/٨٨) وفيه انقطاع، وروي من قول أبي هريرة كما في (المشكاة١/٦٦)].

وقد سئل **الإمام مالك** رحمه الله فقال له رجل: يا أبا عبد الله: من أين أحرم؟ قال: "من ذي الحلَيفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ" فقال: أنا أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: "لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة" فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: "وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﴾(النور:٦٣).

---

(١٦٧)، وقد روي **عن عمر بن عبد العزيز**: "لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها، يحسب أنها هدى" في "السنة" لمحمد ابن نصر المروزي (٩٥).

[**إسناد لا بأس به:** والهروي في "ذم الكلام " (ح٤٦٣)، واللالكائي (ح٢٩٤)، وابن حزم في "الاحكام" (٥٦/٦)].

وقال **ابن القيم** رحمه الله: « لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول ﷺ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله» (إغاثة اللهفان ٦٢/١).

٦- الهوى والشهوات:

وإن مما يعوق ويمنع من الاتباع: هوى النفس، وعدم إرادة طلب الحق، والبحث عنه ، والأخذ بما يشتهي، من الأقوال ولو كانت على خلاف السنة والنصوص.قال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾(ص/ ٢٦)، وقال جل وعلا: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(القصص/٥٠)، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ (النجم/٢٣) قال **الإمام ابن القيم**: "كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة، وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية يسمونهم: أهل الشبهات والأهواء، لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة". [إغاثة اللهفان (١٣٨/٢)]، وفي الحديث: «**إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله فاحذروهم**»، متفق عليه، وفي الحديث أيضاً: «**وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرءبنفسه**». [(حسن) أخرجه البزار (٦٤٩١) وغيره (الصحيحة/١٨٠٢)].

وعن عاصم الأحول؛ قال: قال **أبو العالية**: "تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرَّفوا الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليها أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه بخمس عشرة سنة، وإياكم وهذه والأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء".

قال فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح. وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت يا بني؛ أحدثت بهذا محمداً؟ قلت: لا. قالت: فحدثه إذن(١٦٨).

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** في تفسير: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر/٣): "فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو الدنيا، فإنَّ الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبدُ جميع الخلق، واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد ... فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدع تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله والله أعلم". [مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)].

٧- إيثار الدنيا وحبها، والسعي لأجل حطامها:

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾(إبراهيم/١: ٣).

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾(الأعلى/١٦، ١٧)، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾(ص/٤٦)، قال **مجاهد**: أي: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها. وكذا قال السدي: ذكرهم للآخرة وعملهم لها، وقال مالك بن دينار: نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ

---

(١٦٨) **أثر أبي العالية: إسناده صحيح.**

وقد أخرجه أيضاً ابن نصر في "السنة" (٢٦)، وعبدالرزاق (٢٠٧٥٨)، واللالكائي (٥٦/١-ح١٧)، ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٢٩٩/١- ح١٣٦، ٣٣٨/١- ح٢٠٢).

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ (التغابن/١٥)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان ضاريان في حظيرة يأكلان ويفسدان بأضر فيها من حب الشرف وحب المال في دين المرء المسلم**». [(**صحيح**) رواه البزار (٦١٢٩) بإسناد حسن، وهو في صحيح الترغيب (٣٢٥٢)].

وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلَّغه غيره، فربَّ حاملِ فقه إلى من هو أفقهُ منه، وربَّ حاملِ فقه ليس بفقيه، ثلاثٌ لا يغلُّ عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العملِ لله، ومناصحةُ ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتَهم تُحيطُ من ورائهم، **ومن كانت الدنيا نيته فرَّقَ الله عليه أمره، وجعل فَقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتُه جمع الله أمرَه، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[١٦٩].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« **من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرضاً من الدنيا لم يجدْ عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[١٧٠] **يعني**: ريحها.

ومَعلوم حديث أبي هريرة في الرياء، وأن أول من تسعر به النار رجل تعلم علماً وعلمه، وقرأ القرآن...إلخ.

وعن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرفَ به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**»[١٧١].

وقال **النخعي**: "من طلب شيئاً من العلم يبتغي به الله عز وجل، آتاه الله به ما يكفيه"[١٧٢].

قال رجل خراساني **للإمام أحمد**: الحمد لله الذي رأيتك، فقال له: "اقعد، أي شئ ذا؟ ومن أنا؟"[١٧٣].

وقال **الشافعي**: "وددت أن الخلق تعلموا هذا –يعني: علمه– ، على أن لا ينسب إليَّ حرفٌ منه".

---

(١٦٩) **صحيح**: رواه ابن حبان ()، وهو في "صحيح الترغيب" (ح٨٤).

(١٧٠) **صحيح**: رواه أبو داود ()، وابن ماجة () وغيرهما، وهو في "صحيح الترغيب" (ح٩٩).

(١٧١) **صحيح**: رواه الترمذي () وغيره وهو في "صحيح الترغيب" (ح١٠٠).

(١٧٢) رواه أبو خيثمة في العلم (ح١١١).

(١٧٣) إصلاح الأمة (١/١١٦).

وقال **هشام الدستوائي** : "والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أريدَ به وجه الله عز وجل".

قال **الذهبي**: **والله** ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيت عالماً"(١٧٤).

وقال **الفضيل بن عياض** : "أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون، فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون"(١٧٥).

وكان رحمه الله يقول: إذا كان يسأل الصادقين عن صدقهم، مثل إسماعيل وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فكيف بالكذابين من أمثالنا؟!.

وكان إذا قرأ: ﴿**ونبلوا أخباركم**﴾ يقول: اللهم إنك إن بلَوت أخبارنا، فضحتنا وهتكت أستارنا، وأنت أرحم الراحمين"(١٧٦).

وكان **الثوري** يقول: "البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في السَّنة مرَّة فهو كثير"(١٧٧).

٨- الصحبة السيئة:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان/٢٧: ٣٠). قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾

---

(١٧٤) سير أعلام النبلاء (١٥٢/٧).

(١٧٥) إصلاح الأمة (١٠٥/١).

(١٧٦) إصلاح الأمة (١٠٦/١).

(١٧٧) الحلية (١١/٧).

(الأحزاب/٦٦: ٦٧). وفي الحديث: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**». [(**حسن**) رواه أبو داود (٤٨٣٥)، والترمذي (٢٣٧٨) وهو مخرج في "الصحيحة" (٩٢٧)].

قال **الإمام ابن بطة** رحمه الله: "اعلموا إخواني: أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما لا يغني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه. والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب بصحبته" (الإبانة ١/٣٩٠).

٩- شياطين الإنس والجن:

وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾(الكهف: ٥٠). وقال تعالى حاكياً عن موسى قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص/١٥).

عياض بن حمار عن رسول الله ﷺأنه قال: «**يقول الله تعالى: وإني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم**». رواه مسلم (٢٨٦٥).

وقد قال **ابن الجوزي**: "اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدُّهم عن العلم، لأن العلم (مصباح)، فإذا أطفأ مصابيحهم، خبَّطهم في الظُّلَم كيف شاء"(١٧٨).

١٠- الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

وفي الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنوكم**» (رواه مسلم/٧).

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "والواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً". [مجموع الفتاوى (٣/٣٨٠)]

---

(١٧٨) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٤٢٤).

١١- الجهل وأخذ العلم عن الجهلة:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.(يونس/٣٩)، وفي الحديث: وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، **فيبقى ناس جهَّال يستفْتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**". (متفق عليه)

وقد قال **علي** رضي الله عنه: "حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذّب الله والرسول ﷺ" (رواه البخاري/١٢٧).

وقد أقبل الكثير من الناس الذين يريدون العلم على الجهلة وأخذوا العلم عن غير أهله، **من أنصاف العلماء، والصغار أصحاب الرعونات سفهاء الأحلام صغار الأسنان، وأهل البدع، والقصاصين، ومن يسمى بالمفكرين والمثقفين والمتلقفين**، فهؤلاء يتعلق بهم العوام، والنساء، ويأنسون بهم. وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل/٤٣)، وقوله: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾(البقرة/١٨٩). وقد قال النبي ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**». [صحيح: رواه ابن المبارك (ح٦١) وهو في "الصحيحة"(٦٩٥)] وقال **اللالكائي**: "معناه: أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ، وأصحابه والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول (أهل الرأي) وترك السنن فهو صغير"(١٧٩). وقول **ابن مسعود**: "لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، وعن أمنائهم وعلمائهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا". [**صحيح الإسناد**: رواه عبد الرزاق (٢٥٧/١١)]، وقال **ابن سيرين**: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم". [**رواه مسلم** في "مقدمة صحيحه" (١٢٦/١)]، وقد قال **مجاهد**: "ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم". [رواه أبو خيثمة (ص٦٩)]. وصدق والله لقد كثر الكلام، والسفسطة وقل العلم والفقه والعمل في الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١٧٩) اللالكائي في "شرح أصول السنة" (٨٥/١)، وقال ابن المبارك: "هم أصحاب البدع" فمما لا شك فيه أنهم داخلون فيه دخولاً أولوياً.

١٢- صد بعض المنسبين للعلم وطلبه عن علم الكتاب والسنة:

وإن تعجب فاعجب من زمان وُجدَ فيه من يرهب فيه من علم الكتاب والسنة حتى قال بعض الجهلة: إن العلم يورث الجنون والشقاق والاختلاف، ونراهم يستشهدون بقوله تعالى:

﴿ **وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾().!!

ويقول آخر: إن الأمة لا ينقصها علم ولكن ينقصها عمل، بدليل أن الكل يعلم أن الخمر حرام ومع ذلك نجد كثيراً من المسلمين يشربونها!!.

ويقول آخر: اتقوا الله ويعلمكم الله، فالعلم لا يحتاج إلى كبير جهد، بل يكفي أن تحسن العلاقة بينك وبين الله تعالى.

فنقول جواباً عن هذه الشبهات: قال تعالى: ﴿ **بل كذّبوا بما لم يحيطوا به علماً**﴾().

قال **الإمام الشافعي**: "العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم" وأنشد يقول:

ومنْزلةُ السفيه من الفقيه كمَنْزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه(١٨٠)

وقد صدق من قال:

أتانا أن سهلاً ذم جهلاً علوماً ليس يدرهن سهل
علوماً لو دراها ما قلاها ولكن الرضى بالجهل سهل

ومثل هؤلاء مثل الصوفية الذين ورد عن أحدهم لما قيل له: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: "ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق"(١٨١).

ويقول آخر: "العلم حجاب بين القلب وبين الله عز وجل"(١٨٢).

ويقول آخر: "إذا رأيت الصوفي يشتغل بأخبرنا وحدثنا فاغسل يدك منه"(١٨٣).

---

(١٨٠) الفقيه والمتفقه (٢/١٥٠).

(١٨١) تشحيذ الهمم (ص١٥)، فهذه أقوال الصوفية قديماً، ولقد سمعته من الصوفية المعاصرة وهم "جماعة التبليغ" هداهم الله.

(١٨٢) المصدر السابق.

(١٨٣) المصدر السابق.

ينظر ما قال ابن الجوزي رحمه الله في المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٤٢٤)

وقد قال **العلامة أبو شامة** رحمه الله: "إنا مأمورون بالعلمِ والعمل، فلا ينبغي أن يحملنا تقصيرنا في العمل على أن نقصر في تحصيلِ العلم، فنكون قد خالفنا الأمر فيهما.

مع أنه يرجى مَن بركة العلم النافع أنه يفضي بصاحبه إلى العمل، فقد جاء عن جماعة من أكابر التابعين وأتباعهم في العلم والدين أنهم قالوا: تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"(١٨٤).

أما قولهم: **إن العلم يأتي بملازمة العبادة**، فهذا خلط غريب، لأن النبي ﷺ قال:

«**العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطَه، ومن يتوقَ الشر يوقه**»(١٨٥).

وقال **ابن مسعود**: "إن أحداً لا يولد عالماً، والعلم بالتعلم"(١٨٦).

وهذا لا يتعارض مع الاهتمام بالتقوى.

ويشبه قولهم هذا قول الصوفية: "حدثني قلبي عن ربي"، وأن معظمهم يعتمدون في تلقي دينهم من المنامات، والإلهامات.

وعن **أبي حفص ابن شاهين** قال: "ومن الصوفية من ذم العلماء، ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة، وقالوا: إن علومنا بلا واسطة، وإنما رأوا بعد الطريق في طلب العلم، فقصروا الثياب، ورقّعوا الجباب، وحملوا الركاء، وأظهروا الزهد"(١٨٧).

فإن المقصود ألا ينشغل الناس بالعلم الكفائي، لأن الناس متفاوتون في رغباتهم، وقدراتهم، فهذا لا بأس به **فكل ميسر لما خلق له**، وكما قال تعالى: ﴿**ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات**﴾.

وأرى من المناسب هنا ذكر ما نقله الحافظ ابن عبد البر في كتابه "التمهيد" ()، قال: "كتب العمري العابد إلى الإمام مالك -رحمه الله- يحضه على الانفراد والعمل ويرغبه عن الاجتماع إليه في العلم، فكتب إليه مالك: إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله -عز وجل- فيه من

---

(١٨٤) خطبة كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول (ص٥٨).

(١٨٥) **صحيح**: رواه أبو خيثمة في "العلم" (١١٤).

(١٨٦) **إسناده صحيح**: رواه أبو خيثمة (ح١١٥).

(١٨٧) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٤٢٥).

ذلك، وما أظن الذي أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر، ويجب على كل منا أن يرضى بما قسم له والسلام"ا-هـ (نقلاً من مختصر منهاج القاصدين ص٤٨).

١٣- الجدل وحب الظهور وقلة الإخلاص:

فأهل الكلام أهل جدال وخصام في الدين، وقد نهينا عن ذلك أشد النهي، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ (غافر:٤).

وفي الحديث: «**أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم**». (متفق عليه)، وقال تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ** ﴾(الزخرف:٥٨)، والجدل يشغل كثيراً عن اتّباع النَّبي ﷺ، بل يمنع الناس من الانتفاع بالكتاب والسنة ولهذا جاء عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل**»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا** ﴾ [حسن:أحمد "صحيح الترغيب" (١٣٧)].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ: خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر، هذا ينزِع بآية، وهذا ينزِع بآية، فغضب ﷺ غضباً شديداً وقال: «**أبهذا أمرتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه**» (متفق عليه) بل إنه مهلكة للعبد كما ورد عن النبي ﷺ قوله:«وأما **المهلكات**... **وإعجاب المرء بنفسه**». (تقدم). وقال **مالك** رحمه الله: "أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ". [الحلية (٣/٣٢٤)، والحجة (٢/٤٥٥)].

قال **شيخ الإسلام الهروي الأنصاري**: "إن هذه الأمة **لم يؤتوا في دينها من شئ ما أُتوا فيه من قبل التكلف والجدل، وهما داء الأمم السالفة**، ولم يأتيا امرأ بخير قط، وإن الله عزَّ وجلَّ لم يقبض إليه رسوله ﷺ إلا خار له، وأغنى به، وأتم به النعمة، فترك الأمة على واضحة ليلها كنهارها، وما من طائر يطير بجناحيه إلا وعندها فيه من نبيها علم"(١٨٨).ا.هـ.مختصراً.

---

(١٨٨) ذم الكلام (١/٧).

١٤- الغلو والتعمق والتكلف:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ...﴾(النساء/١٧١)، وفي الحديث: «**ولن يشاد هذا الدين أحدٌ إلا غلبه**».(رواه البخاري/٣٩) وحديث: فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لكل عمل شرَّة، ولكل شرَّة فترةٌ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**». [صحيح: رواه ابن أبي عاصم (٢٨/١) ، وأصله عند أحمد] وفي **الأثر**: إياكم والتنطع والتعمق.

وفي الأثر: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة".

وقال **الحافظ الذهبي** رحمه الله: "شرع لنا نبيُّنا كل عبادة تُقربنا إلى الله، وعلّمنا ما الإيمانُ وما التوحيد، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها؛ فأي حاجة بنا إلى البدَع في الأقوال والأعمال والأحوال المحدثات، في السنة كفاية وبركة، فياليتنا ننهض ببعضها علماً وعملاً وديانة ومعتقداً". (جزء في التمسك بالسنن/ص٤٦).

يقول **شيخ الإسلام** : "إن أكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلُّف المذموم من المتكلمين والمتعبدين: وهو القول والعمل بلا علم، وطلب ما لا يدرك، وأصحاب محمد كانوا مع أنهم أكمل الناس علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، أقلُّ الناس تكلفاً، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو المعارف، ما يهدي الله بها الأمة، وهذا من منن الله على هذه الأمة، **وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات، ما هو من أعظم الفضول المبتدعة، والآراء المخترعة، لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين**". [مجموع الفتاوى (١٣٨/٤)].

١٥- الانشغال بالمسائل قبل وقوعها، وتشقيق المسائل:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ (المائدة/١٠١).

وحديث: «**ذروني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، وإختلافهم على أنبيائهم**». متفق عليه.

وحديث: «**وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».رواه مسلم.

ونقل **العلامة محمد ببداه** عن ابن عبد البر، وقوله: واحتجوا بحديث سهل بن سعد وغيره أن رسول الله ﷺ : كره المسائل وعابها.

وعن **ابن أبي لبابة** أنه قال: "وددت أن أحظى من أهل هذا الزمان أن لا أسألهم عن شئ ولا يسألوني عن شئ يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم".

وعن **الحجاج بن عامر الثمالي**: أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم وكثرة المسائل**».

وفي سماع أشهب **سئل مالك** عن قول النبي ﷺ: «**أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال**».

فقال: "أما كثرة السؤال فلا أدري أهو ما أنتم فيه مما أنهاكم عنه من كثرة المسائل: فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، وقال الله تعالى: ﴿**لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ فلا أدري أهو هذا، أم السؤال في مسألة الناس في الاستعطاء؟".

وقال **مالك** : أدركت أهل هذا البلد وما عندهم علم غير الكتاب والسنة ، فإذا نزلت نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه أنفذه ، وأنتم تكثرون المسائل وقد كرهها رسول الله ﷺ". (تفسير القرطبي٦/٣٣٢)

وقال أيضاً الشيخ ببداه: "وفي "فتح الباري" (١١/٢٤٢) نقلاً عن **الإمام مالك** رضي الله عنه أنه قال في تفسير كثرة السؤال ما نصه: "والله إني لأخشى أن يكون هذا الذي أنتم فيه من تفريع المسائل"(١٨٩).

وقال ابن رجب رحمه الله: "إن العلم النافع: إنما هو ما ضُبط في الصدور، وهو عن الرسول، أو عن السلف الصالح مأثور، **وليس العلم النافع**: أرأيت وأرأيت، فقد نهى عن ذلك الصحابة ومن بعدهم ممن إذا اقتديت بهم فقد اهتديت"(١٩٠).

فيه مفاسد عظيمة:

أ- الوقوع في النهي عن كثرة السؤال، والقيل والقال.

ب- أن هذا منهج مبتدع لم يعرفه السلف.

جـ - انشغال الناس بها عن العلم الصحيح.

---

(١) أسنى المسالك (ص١٢).

(١٩٠) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (ص٥١).

د- أنه يشغل عن الاتباع والعمل بالسنة.

هـ- أن ذلك من التكلف المذموم.

و- أنه من التشبه بأهل الكتاب.

ز- أنه فتح باب للبدعة في الدين والقول على الله بلا علم.

ح- أنه سبيل قلة التوفيق والسداد، لقوله ﷺ: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له من دواء علمه من علمه وجهله من جهله**»، فإن الواقعة إذا وقعت هيئ لها الجواب المناسب، والدواء الناجع.

ط- أنه سبب لنزول البلاء والمصائب بالعباد. كحديث الملاعن لما سأل عن الرجل يجد رجلاً مع زوجته ...

ي- أنه سبب للتشديد على الناس، وتحريم ما لم يحرم.

ك- أن صاحبه متشبع بما لم يعط، فيظنه الناس على علم وشئ وهو في الحقيقة مخالف لهدي السلف وعلى بدعة.

نهي السلف عن السؤال عما لم يقع، وتشقيق المسائل:

قال **ابن رجب** : "أماّ ما يولّده الفقهاء من المسائل التي لا تقع أو لا تكاد تقع إلا نادراً، فكان (أي الإمام أحمد) ينهى كثيراً عن الكلام فيها، لأنه قليل الفائدة، ويشغل عما هو أهم منه مما يحتاج إلى معرفته"(١٩١).

وقال أيضاً **العلامة ببداه الموريتاني**: "فعلم مما تقدم من نقل عن الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام من ذم الرأي، إن صادم السنة، أو فرع، **وولد أو تكلم فيه قبل أن ينزل أن من يقتصر على الرأي ليس من أهل التحقيق في شئ ومن ليس من أهل التحقيق في شئ تحرم عليه الفتوى، ومن تحرم عليه الفتوى لجهله الكتاب والسنة**، وما تفرع عنهما من الإجماع والقياس الجلي إنكاره لا عبرة به، ومن الله التوفيق والحرمان فمن المعلوم أن العالم والفقيه والمجتهد ألفاظ مترادفة، كما أن المقلد والعامي والجاهل ألفاظ مترادفة" (١٩٢).

---

(١٩١) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (ص٤٨).

(١٩٢) أسنى المسالك (ص٢٤).

مثال للتفريعات القبيحة وتشقيق المسائل وتوليدها:

قال الشيخ الجباوي وهو من فقهاء الأحناف في معرض حديثه عن أحق الناس بالإمامة في الصلاة: "والأحق بالإمامة السلطان أو نائبه...، فالأحسن خلقاً، فالأحسن وجهاً، فأكثرهم بشاشة، فالأحسن صوتاً، فالأحسن زوجة، فالأكثر مالاً، فالأكثر جاهاً، فالأنظف ثوباً، فالأكبر رأساً، فالأصغر عضواً (أي ذكراً)"، وهذا هو عين ما قاله الشيخ حسن الشرنبلالي، صاحب "مراقي الفلاح"(١٩٣).

وقال الشيخ **ابن قاسم الغزي** على متن أبي شجاع، وهو من كتب الفقه الشافعي، في معرض موجبات الغسل: "ومن المشترك إنزال المني...من طريقه المعتاد أو غيره، كأن انكسر صلبه فخرج منيه"(١٩٤).

وقال **الشيخ الباجوري** الشافعي المذهب في حاشيته على شرح ابن القاسم في الحديث عن الغسل الواجب: "ولو شق ذكره نصفين فأدخل أحدهما في زوجة، والآخر في زوجة أخرى، وجب الغسل عليه دونهما"(١٩٥).

وانتقل معي إلى طامة أخرى يقول هذا الفقيه، مستأنفاً الحديث عن هذا الذكر المشطور: "ولو أولج أحدهما في قُبلها، والآخر في دُبرها، وجب الغسل عليهما"(١٩٦).

ثم قال مستكملاً فرضياته: "ولو كان له ذكران أصليان أجنب بكل منهما، أو أحدهما أصلي، والآخر زائد، فإن لم يتميز فالعبرة بهما معاً، وإن يتميز فالعبرة بالأصلي، ولا عبرة بالزائد ما لم يسامت"(١٩٧).

وهاك طامة أخرى هي أعظم مما سبق، فإن شئت فاضحك أو ابك على ما آل إليه حال الأمة بعد نبيها ﷺ، قال وما أقبح ما قال: "ولو دخل شخص فرج امرأة وجب عليهما الغسل، لأنه صدق عليه دخول حشفة فرجاً، ولا اعتبار بكونه تبعاً"(١٩٨).

---

(١٩٣) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٣).

(١٩٤) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٥).

(١٩٥) بدعة التعصب المذهبي (ص١٩٦)، نقلاً عن حاشية الباجوري على ابن قاسم (١/٧٢-٧٤).

(١٩٦) المصدر السابق.

(١٩٧) المصدر السابق.

(١٩٨) المصدر السابق (ص١٩٧).

ويقول هذا الفقيه المعتمد، في مبتكراته وهو يفسر الفرج فقال: "الفرج أي قبل أو دبر ولو من نفسه، كأن أدخل ذكره في دبره، فيجب عليه الغسل"(١٩٩).

ومن عجائبه قوله: "ولو أدخل ذكره في ذكر آخر، وجب على كل منهما الغسل، كما أفتى به الرملي"(٢٠٠).

تشقيق المسائل ليس من الفقه والعلم في شئ:

قال **أبو حامد الغزالي**: "اعلم أن منشأ إلتباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية، تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة.

فهذه أسماء محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسامي عليهم.

اللفظ الأول، الفقه: فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها، وأكثر اشتغالاً بها يقال: هو الأفقه.

إلى أن قال: إن التجرد لذلك يقسي القلب وينزِع الخشية منه.

اللفظ الثاني، العلم: وتصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال: هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم، ومن لا يمارس ذلك، ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه من زمرة أهل العلم.

إلى أن قال: إن العلم قد صار الآن يعني زمنه أي القرن الخامس مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره، وصار ذلك سبباً مهلكاً لخلق كثير من أهل الطلب للعلم.

إلى أن قال: فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف، أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما

---

(١٩٩) المصدر السابق.

(٢٠٠) المصدر السابق.

أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**»، فقيل: ومن الغرباء، قال: «**الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي**». وفي حديث آخر: «**الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس كثير**»، إلى أن قال: وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها"(٢٠١)ا-هـ.

وعندنا أن الفقه هو الفهم في الدين، يعني: فهم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**ليتفقهوا في الدين، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**﴾()، والدين هو كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ.

وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**». وقوله ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم فقهه في الدين**»، وقوله ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**».

فهذا يدل على أن حافظ الكتاب والسنة، حافظ لفقه، وأنه لعله يؤديه إلى من هو أفقه منه، فيتفقه فيه، وهذا يعني أن التفقه يكون في تفهم ما أنزل من الوحي، وقول **علي** رضي الله عنه: "أو فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه".

يوضح ذلك قول **وكيع بن الجراح** رحمه الله: "لقيني أبو حنيفة، فقال لي: لو تركت كتابة الحديث وتفقهت، أليس كان خيراً؟.

قلت: أفليس الحديث يجمع الفقه كله؟. قال ما تقول في امرأة ادعت الحمل، وأنكر الزوج؟. فقلت له:

حدثني عباد بن منصور، عكرمة عن **ابن عباس** أن النبي ﷺ لاعن بالحمل، فتركني، فكان بعد ذلك إذا رآني في طريق يأخذ في آخر"(٢٠٢).

(ذم الكلام) (٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩).

وقال **ابن الجوزي**: "وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم، لقلة إلتفاته إلى معرفة النقل، **وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة، فكيف يستخْرِج من شيءٍ لا يعرفه؟!؟**".

---

(٢٠١) إحياء علوم الدين (١/٢٨-٣٤).

(٢٠٢) **صحيح**: الفقيه والمتفقه (٢/١٦١-ح٧٨٧).

قال **أبو القاسم الأصبهاني**: "فتدبّر رحمك الله، أيُجعل حكم من أفنى عمره في طلب آثار رسول الله ﷺ شرقاً وغرباً، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ، واتهم أباه، وأدناه في خبر يرويه عنه غضباً لله، .... وفصل بين الصحيح والسقيم، حنقاً لله ورسوله، وغيرة على الإسلام والسنّة، ثمّ استعمل آثاره كلّها ... ثمّ دعا الناس إلى ذلك، وحثّهم عليه وندبهم إلى استعماله، وحبَّب إليهم ذلك بكل ما يمكنه ... كمن أفنى عمره في إتباع أهوائه، وآرائه وخواطره، وهواجسه، ثم تراه يردّ ما هو أوضح من الصبح من سنن رسول الله ﷺ، وأشهر من الشمس برأي دخيل، واستحسان ذميم، وظنّ فاسد، ونظر مشوب بالهوى؟!.ا.هـ[٢٠٣].

تنبيه:

لقد ورد السؤال من بعضهم عن بعض المسائل قبل وقوعها، لما غلب على الظن أنها تقع، وخاضوا فيما غلب على ظنهم وقوعه.

مثل: السؤال عن ماء البحر: وإجابته ﷺ عنه، وزاد حكماً يحتاجه كل من ركب البحر غالباً وهو: "الحل ميتته"، بل عُدّ ذلك من محاسن الفتوى.

أما عامة الأسئلة، فلم يكونوا يسألون إلا عما احتاجوا إليه من أمر دينهم، أو وقائع تقع لهم في زمان النبي ﷺ.

أو أحاديث الفتن ونحوها، وإنما هي وقائع حاصلة وستكون لا محالة فيسأل عن المخرج منها، أو يحذر النبي ﷺ من الوقوع فيها، أو يأمر فيها بأمر هو وحي من السماء.

---

(٢٠٣)

مثل: حديث حذيفة، كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. متفق عليه.

١٦- التأويل وهو التحريف للنصوص لموافقة الأهواء.

١٧- القواعد التي وضعها بعضهم وهي تخدش في توحيد الاتباع:

أ- لا يقال هذا الحديث العمل على خلافه:

ذكر أبو العباس أحمد بن يحيى، بإسناده: قال: كان **عبد الله بن الحسن** يكثر الجلوس إلى ربيعة، قال: فتذاكروا يوماً السُّنن، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا؟، فقال **عبدالله**: أرأيت إن كثر الجهَّال، حتى يكونوا هم الحكّام، فهم الحجة على السنة؟!.فقال **ربيعة**: "هذا كلام أبناء الأنبياء". [إغاثة اللهفان (٣٢٣/١)].

وقال **العلامة ابن القيم**: " **الفرق بين تجريد متابعة المعصوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها**: أن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائناً من كان، بل تنظر في صحة الحديث أولاً فإذا صح لك نظرت في معناه ثانياً فإذا تبيَّن لك لم تعدل عنه **ولو خالفك من بين المشرق والمغرب**، ومعاذ الله أن تتفق الأُمةَ على مخالفة ما جاء به نبيُّها، بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله، بل اذهب إلى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعاً ولكن لم يصل إليك.

هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة، **ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها** ... قال **الشافعي** رحمه الله: أجمع الناس على أن **من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد**". ["الروح" (ص٢٦٤)].

وقال **أيضاً**: "يقبل الخبر في الوقت الذي يثبت فيه، وإن لم يمض عمل من الأئمة بمثل الخبر الذي قبلوا، وأنه لو مضى عمل من أحد من الأئمة ثم وجد خبراً عن النبي ﷺ يخالف عمله لترك عمله لخبر

رسول الله ﷺ، وأن حديث رسول الله ﷺ يثبت بنفسه لا بعمل غيره".ا-هـ باختصار يسير (الرسالة/ص٤٢٣: ٤٢٤).

ب- قول بعضهم: إنه لا يجب العمل بخبر الواحد لا سيما في الاعتقاد:

والرد عليه بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة/١٢٢).

وموضع الحجة من الآية **أولاً**: أن اسم الطائفة عند العرب يقع على العدد القليل والكثير، **ثانياً**: أنَّ أمر الله إياهم بالإنذار، دليل على أنّ على المنذَرين قبوله، **ثالثاً**: قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فلولا قيام الحجة عليهم ما استوجبوا الحذر.

والحجج في ذلك كثيرة جداً في السنة فمنها على سبيل المثال: تحول الناس في صلاتهم من استقبال بيت المقدس إلى استقبال المسجد الحرام، وبعث رسول الله ﷺ عماله واحداً بعد واحد، بتبليغ الشرع، وإقامة الحدود،ونحوه، قال ابن القاص: "لا خلاف بين أهل الفقه في قبول خبر الآحاد، إذا عُدِّلَت نقلته، وسلم من النسخ حكمه، وإن كانوا متنازعين في شرط ذلك، وإنما دفع خبر الآحاد بعض أَهلِ الكلام لعجزه -والله أعلم- عن علم السنن، زعم أنه لا يقبل منها إلا ما تواترت به أخبار من لا يجوز عليه الغلط والنسيان، **وهذا عندنا ذريعةٌ إلى إبطال سنن المصطفى** ﷺ .... ويلزم منه ألا يقبل من الأخبار إلا ما روت الأنبياء عن الأنبياء". [صحيح الفقيه والمتفقه (ص٨٦)]، وللبخاري في "صحيحه"، كتاب: "خبر الآحاد"، يرد به على هؤلاء القوم الذين منعوا من قبوله، والله المستعان. ومن علَّم الأنصار القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ إليهم؟! إنما علمهم الكتاب والسنةَ مصعب بن عمير وحده ولم يكن معه أحد غيره، وكذا في كل ناحية يعلمهم معلم واحد، وكذا الكتاتيب التي يتعلم فيها الصبيان القرآن أليس يعلمهم واحد تقوم به عليهم الحجة بقراءته حتى يتبيَّن أنه قد أخطأ؟!.

جـ- القياس إذا خالف النص:

أهل السنة والحديث يقدّمون الرواية والنص على النظر والعقل ومن قواعدهم: "إذا جاء الأثر بطل النظر" ، و"لا اجتهاد مع نَص"، "وأنه لا يتعارض عقل سليم مع نص صحيح صريح".

وأما منشأ مدرسة الرأي فقد كان سبباً في ترك النصوص، والانشغال بالقياس على غير أصل، بل أقيسة على فروع، وأنشأوا القول بالاستحسان ونحو ذلك، مما جعلوه دليلاً حاكماً بين العباد،

فيوجبون، ويحرمون، ويستحبون، ويبيحون به دون الرجوع عند التنازع إلى الكتاب والسنة اللذَين فيهما الكفاية للعباد.

وعن **عمر بن الخطاب** أنه خرج من الخلاء فقرأ القرآن، فقال له أبو مريم الحنفي: أتقرأ القرآن يا أمير المؤمنين وأنت غير طاهر؟! فقال: أمسيلمة أفتاك بهذا؟. [**صحيح**: رواه مالك في "الموطأ١/٢٠٠)]

وعن **علي** قال: "إنكم إن عملتم في دينكم بالقياس أحللتم كثيراً مما حرِم عليكم، وحرَّمتم كثيراً مما أُحلَّ لكم"(٢٠٤). وقال **ابن الجوزي**: "وربما اعتمد (أي من ينسب إلى الفقه) على قياس يعارضه حديث صَحيح ولا يعلم، لقلة إلتفاته إلى معرفة النقل، **وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة، فكيف يستَخرِج من شيءٍ لا يعرفه؟!**.

ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث، حتى إني رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في "الصحاح": لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا، ورأيته يحتج في مسألة، فيقول: دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله ﷺ قال كذا!.ويجعل الجواب عن حديث صحيحٍ احتج به خصمه أن يقول: هذا الحديث لا يعرف.وهذا كله جناية على الإسلام!.

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة، ليتسع لهم المجال في النظر، وإن استدل أحد منهم بالحديث، هجّن، ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث"ا.هـ. ["المنتقى النفيس من تلبيس إبليس": (ص١٢٧-١٢٩)]

قال **الشاطبي**: "أعظم تلك الفرق فتنة على الأمة أهل القياس، على غير أصل، فإن أهل القياس متفقون على أنه على غير أصل لا يصح، **وإنما يكون على أصل من كتاب أو سنة صحيحة، أو إجماع معتبر، فإذا كان للقياس أصل فاسد فهو الذي لا يصح أن يوضع في الدين**، فإنه يؤدي إلى مخالفة الشرع، وأن يصير الحلال بالشرع حراماً بذلك القياس، والحرام حلالاً". [الاعتصام للشاطبي تحقيق الهلالي (٧٩٦/٢)] **والحاصل**: أن المصير إلى الرأي إنما يكون عند فقد النص، إلى هذا يومئ قول **الشافعي** فيما أخرجه البيهقي بسند صحيح إلى أحمد بن حنبل سمعت **الشافعي** يقول: "القياس عند الضرورة". [**صحيح**: رواه البيهقي في "المدخل إلى السنن" (ص٢٤٨)] ومع ذلك فليس العامل برأيه على ثقة من أنه وقع على المراد من الحكم في نفس الأمر، وإنما عليه بذل الوسع في الاجتهاد ليؤجر ولو أخطأ وبالله التوفيق.

---

(٢٠٤) **حسن**: رواه الخطيب ينظر "صحيح الفقيه والتفقه" (ص١٨٠).

د- عمل أهل المدينة إذا خالف النص:

لأن عمل أهل المدينة لا يعدُّ إجماعاً، ولو كان أكثر أهل العلم بالمدينة في الزمن الأول بها، يوضح ذلك المسألة التي بعدها.

هـ- قول بعضهم: (أن الأمر ليس على الوجوب).

وهذا قاعدة تبطل عامة الشرع، وتقضي على اتباع النبي ﷺ، إذ لن تجعل لأمره قيمة تذكر، مما لا يرضاه أحدهم لنفسه مع من يلزمه أمره كزوج أو ولد! وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(النور/٦٣)، وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ قَالَ فَأَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: «اجْعَلُوا حَجَّكُمْ عُمْرَةً»، قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ فَكَيْفَ نَجْعَلُهَا عُمْرَةً؟ قَالَ: «**انْظُرُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا**» فَرَدُّوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ؛ فَغَضِبَ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ غَضْبَانَ فَرَأَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَتْ: مَنْ أَغْضَبَكَ أَغْضَبَهُ اللَّهُ قَالَ: «وَمَا لِي لَا أَغْضَبُ وَأَنَا آمُرُ بِالْأَمْرِ فَلَا أُتَّبَعُ». **[إسناده حسن**: رواه أحمد (٤/٢٨٦)].

وله شاهد من حديث عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة فدخل علي وهو غضبان فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار قال: «**وما شعرت أني أمرت الناس بأمر فأراهم يترددون، لوأني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى أشتريه ثم أحل كما أحلوا**». رواه مسلم (١٢١١).

قال **ابن القيم** : بعد ذكر هذا البراء: "ونحن نشهد علينا أنا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضا علينا فسخه إلى عمرة تفاديا من غضب رسول الله ﷺ وإتباعا لأمره". وقد فهم السلف أن الأمر على الوجوب كما في النماذج التالية:

ففي الحديث أن رجلاً من أهل العراق قام يثني على عثمان وكان أميراً فقام إليه المقداد وجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً، **وجعل يحثو في وجهه الحصباء**، فلما قال له عثمان ما شأنك، قال: «**أمرنا**

رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجوه المداحين التراب»[٢٠٥]. **وفي رواية قال**: "أما أنا فلا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ"[٢٠٦].

وفي رواية زيادة: قال **الزبير**: "أما المقداد فقد قضى ما عليه"[٢٠٧].

وعن أبي صالح السمان قال: بينما أنا مع أبي سعيد وهو يصلي يوم الجمعة، إلى شئ يستره من الناس، إذ جاء رجل شاب من بني أبي معيط، أراد أن يجتاز بين يديه، **فدفع في نحره**، فنظر فلم يجد مساغاً إلا بين يدي أبي سعيد، فعاد **فدفع في نحره أشد من الدفعة الأولى** ، فمثل قائماً، فنال من أبي سعيد، ثم زاحم الناس، فخرج، فدخل على مروان، فشكا إليه ما لقي. **قال ودخل أبو سعيد على مروان، فقال له مروان**: مالك ولابن أخيك، جاء يشكوك؟.

فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شئ يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، **فليدفع في نحره**، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان»[٢٠٨].

وعن **أبي سعيد الخدري** دخل يوم الجمعة، ومروان يخطب، فقام يصلي فجاء الحرس ليجلسوه فأبى حتى صلى، فلما انصرف أتيناه فقلنا: رحمك الله إن كادوا ليقعوا بك.

فقال: ما كنت لأتركهما بعد شئ رأيته من رسول الله ﷺ ، ثم ذكر أن رجلاً جاء يوم الجمعة في هيئة بذة، والنَّبِيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، **فأمره** فصلّى ركعتين، والنَّبِي ﷺ يخطب"[٢٠٩].

عن الحسن قال: كان **معقل بن يسار** يتغدى، فسقطت لقمة فأخذها فأماط ما كان بها من أذى، ثم أكلها، فجعل أولئك الدهاقين يتغامزون به.

فقالوا له: ما ترى ما يقول هؤلاء الأعاجم، يقولون: انظروا إلى ما بين يديه من الطعام، وإلى ما صنع بهذه اللقمة؟!.

---

(٢٠٥) **رواه مسلم** (ح٣٠٠٢).

(٢٠٦) رواه الطبراني (٢٣٩/٢٠)، وهو في "مسند الشهاب" (٤١٣/١-ح٤٦٥)، والحديث مروي من حديث **ابن عمر**، وأن فعل كما فعل المقداد بمن مدحه، رواه أبو نعيم في "الحلية" (٩٩/٦)، ولكن أعله ابن أبي حاتم في "العلل" (٢٣٨/٢).

ورواه أحمد (ح٥٦٨٤)، وعبد بن حميد (٣٨/٢)، وإسناده صحيح كما قال الشيخ مقبل الوادعي في "الجامع الصحيح" (٣٠/٥).

(٢٠٧) رواه أحمد (٥/٦)، وهو برقم (٢٣٩٨١).

(٢٠٨) رواه مسلم (٢٩٩/٤).

(٢٠٩) **إسناد حسن**: رواه الترمذي (٣٠/٣)، وهو في "الجامع الصحيح" للشيخ مقبل الوادعي (٣١/٥).

فقال: "إني لم أكن لأدع ما سمعت من رسول الله ﷺ لهذه الأعاجم، إنا كنا **نؤمر** إذا سقطت من أحدنا لقمة أن يميط ما بها من الأذى، وأن يأكلها"(٢١٠).

فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: «**كل بيمينك**» ، قال -أي الرجل-: لا أستطيع، فقال له ﷺ : «**لا استطعت**» ، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه(٢١١).

و- قولهم: بأن الأوامر إذا كانت في الآداب فهي للاستحباب، وإذا كانت في النواهي فهي للكراهة!!.

وهذا فهم سقيم ولو قال به بعض أفاضل العلم، ولكنها قاعدة شيطانية لا دليل عليها، والسلف جميعاً لم يفرقوا بين أداب وأحكام من حيث الدلالات ونحوها.

ز- قول بعضهم: بأنه إذا تعارض الحديث مع الإجماع، فإن العمل حينئذ بالإجماع ويهدر الحديث!!!

- نحن نطالب من يقول بهذا القول بالدليل الشرعي الذي ينقض أدلة وجوب الاتباع، والسمع والطاعة لله ورسوله.
- أيضاً نحن نطالبه بالإجماع على هذه القاعدة الأجنبية، والتي من يقول بها: هم من أخذ عن المعتزلة، كالآمدي والغزالي ونحوهم، الذين ينقضون لنا قواعدنا، ويبطلون لنا ثوابتنا، ويخالفون بها سلفنا الصالح، وعمل السلف والأئمة.
- حكايةالإجماع هو ظن، وليس بعلم، بل نفي علم بالمخالف.
- الحديث الصحيح يقين، فكيف يترك اليقين للظن.
- والحديث إثبات، وحكاية الإجماع نفي، والمثبت مقدم على النافي لو كان رجلاً من الرجال وعالم من العلماء، فكيف إذا كان هذا من النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم؟!
- الحديث معصوم، وحكاية الإجماع غير معصومة، فكيف نترك المعصوم، لكلام عالم يخطيء ويصيب، ويعلم ويجهل.

---

(٢١٠) **إسناد صحيح**: رواه الدارمي (١٣٢/٢)، صححه العلامة الوادعي في "جامعه" (٣١/٥).

(٢١١) رواه مسلم (٢٠٢١-٢٧٨/١٣).

- ما عذر من ترك الحديث إن وقف بين يدي الله وسأله لماذا تركت حديث نبيي المعصوم، والوحي المنزل، هل ستقول له: نقل فلان الإجماع على خلافه؟!
- على أن الأصل في العلم هو الكتاب والسنة، وهما قد دلا على الإجماع والقياس، فكيف يقدم الفرع على الأصل، ويُجعل حاكماً عليه، على أن حاكي الإجماع هو معتمد على عدم علمه بالمخالف، والظن.
- فالإجماع نفسه يقين، ولكن حكايته ظن، فمتى ثبت الإجماع بيقين قلنا به.
- وأيضاً فإن السلف لما ذكروا الإجماع، ذكروا إجماع من يمكننا أن نضبطه، وثبت في الزمن الأول.
- فنحن نخالف في تعريف الإجماع بما عرفه به كثير من الأصوليين، وهو إجماع مجتهدي عصر من العصور، فأنى لهم به، وكيف يثبتون ذلك، أما لو كان في عهد الصحابة والسلف فالأمر قريب، وأسهل، وإلى حد ما منضبط.

  فمثلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تجتمع أمتي علي ضلالة)، فإما أن تقولوا أن المراد بالأمة هنا هم الصحابة لأنهم الميزان لقوله: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)، وقوله عليه السلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)، ونحوها من النصوص، الدالة على هداية الصحابة، بما لا يشركه فيه غيرهم، فإنهم هداة مهتدين.

  وأنا أتعجب ممن يحكي الإجماع الذي لم يضمن الله لنا حفظ أقوال رجاله، ويدعون السنة المحفوظة بحفظ الله تعالى، والمعصومة.

  ونقول لهم: أنت تغيب عنكم سنن كثيرة ولم تطلعوا على جميع أقوال نبيكم مع أمكانية ذلك بأكثر بكثير من أقوال العلماء في جميع الأقطار والأعصار، والشرق والغرب، ألا يغيب عنكم أقوال هؤلاء، ويكون علمكم بأقوالهم محدوداً محصوراً جداً

  وإما أن نقول: المراد بالحديث جميع الأمة ولا نستثني منهم أحداً في جميع العصور، على ما ورد إطلاقه في الحديث، فلم خصصوه بمجتهدي العصر. فهذا تحكم.
- فالأمر يحتاج إلى إعادة نظر عند من يقول بهذا، ويعد للسؤال جواباً، لا سيما وأن خصمه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن صاحب هذا القول يصد عن حديث نبيه.
- وقد حذر الأئمة من ادعاء الإجماع، حتى قال أحمد: من ادعى الإجماع فقد كذب وما يدريهم لعل الناس اختلفوا.

- وأيضاً كم من اجماع نقله غير واحد ووجد الخلاف في المسألة ممن قبله، لأن أحداً من الناس لم يحط بكلام البشر والناس جميعاً، بل لا أحد يحيط بكلام سيد البشر الذي حفظت سنته، ونقحت، وقد وعد الله بحفظها.، قال الشافعي: ما منا من أحد إلا وتعزب عنه سنة لرسول الله صلى الله.
- بل قال قد نقل بعضهم الإجماع على شيء وضده، كنقلهم الإجماع على جواز قبول شهادة العبد، وبعضهم حكى الإجماع على عكس ذلك، وهو عدم قبول شهادة العبد وهو من غريب الإجماع كما قال شيخنا ابن عثيمين.
- وستجد إجماعات مخالفة للعقيدة فبتقرير هذا القول الغريب، واعتماد هذا الإجماع، ستبطل كثيراً من النصوص، والعقائد، كنقلهم الإجماع على (استحباب زيارة قبور الصالحين) .
- ولذا فأنا أعتقد أنها من الزلات الكبار التي تقضي على كم هائل من السنة، وتصد عنها، والشيطان يستعمل العلماء لذلك، فيوحي إلى بعضهم بقاعدة تصد عن السنن، وتمنع من العمل بها، فوالله لئن يخطئ المرء في أن يترك حكاية إجماع من عالم، خير من أن يخطئ في ترك حديث النبي صلى الله عليه وسلم، بحيث لو سألك الله يوم القيامة: لماذا قلت بهذا القول؟ قلت: يا رب أمرتنا باتباع نبيك فآمنا به واتبعناه، فهل سيسألك لماذا تركت قول فلان من الناس الذي حكى الإجماع المخالف لهذا الحديث؟، أنا أجزم وحالفاً بالله أن سبحانه لن يسألك عن هذا!

ولذا نحن نعتقد أن هذه زلة.

وقال الشعبي: قال عمر: "يُفسد الزمان ثلاثة: أئمة مُضلُّون، وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حق، وزلة العالم"(٢١٢).

في الأثر أن معاذاً(٢١٣) كان لا يجلس مجلساً للذكر إلا قال حين يجلس: **"الله حكَم قسط، هلك المرتابون" –الحديث، وفيه: "وأحذركم زَيغَة الحكيم؛ فإن**

---

(٢١٢) **أثر عمر: صحيح –تقدم تخريجه آنفاً.**

(٢١٣) **أثر معاذ: إسناده صحيح.**

رواه أبو داود (٤٦١١)، والبيهقي (٢١٠/١٠)، وابن عبد البر (٩٨١/٢-ح١٨٧١) مع اختلاف يسير، وقد خرجته في "الشريعة" للآجري برقم (٩٧،٩٨). وصححه الحاكم

الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق".

قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال لي: "**اجتَنب من كلام الحكيم المشبَّهات التي يقال ما هذه، ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لَعله يراجع، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سمعته، فإن على الحق نوراً**"(٢١٤).

فينبغي لمن نقل أقوالاً في المسألة لا دليل عليها أن يحذر فإن أقوال العلماء يستدل لها، لا يستدل بها، فاعرف الحق تعرف أهله.

وإياك يا عبدالله أن تنشر قولاً يزل به خلق من الناس فتكون إماماً **في الصد عن السنة وأنت لا تنتبه لمآلات قولك، وهذه البهرجة التي تنقلها من هنا وهناك،** لا تغير من الحق شيئاً، ولا تفيد الناس إلا شتاتاً وضياعاً وانحرافاً عن السنة وأهلها. **قال أبو عمر:** وتشبه زلة العالم بانكسار السفينة؛ لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير(٢١٥). **قال أبو عمر:** وإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطئ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه.

ح- الحرص على اتّباع الجمهور، والأكثرية ولو كانت على خلاف النص:

(٤٦٠/٤)، ووافقه الذهبي، وهو في "صحيح أبي داود" (٤٨٥٥) لشيخنا الألباني -حفظه الله-. وموضع الشاهد منه تقدم بسند جيد تحت تخريج حديث «**اتقوا زلة العالم، وانتظروا فيئته**».

(٢١٤) قال البيهقي: قوله: فإن على الحق نوراً يعني -والله أعلم-: دلالة من كتاب أو سنة، أو إجماع أو قياس.أ.هـ. (٢١١/١٠).

(٢١٥) هذا ما قاله عبد الله بن المعتز كما رواه الخطيب بإسناده عنه في "الفقيه والمتفقه" (ح٦٤٦).

كثير من طلاب العلم يحرص على معرفة قول الجمهور من العلماء، ويعتبر هذا من الأدلة على صحة القول!!، بل وبعضهم يتبجح بذكر أدلة اتباع الاجماع على ما أراد إلتزامه من مذهب الجمهور.

فنحن نعتقد أن لا دليل على هذا الصنيع من الكتاب والسنة، بل الأدلة على خلافه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ۋ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ۅ ۅ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۓ ﴾ (الأنعام/١١٦) قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: "يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك". [**صحيح**: رواه اللالكائي (ح١٦٠)، وصححه العلامة الألباني في "تخريج المشكاة" (٦١/١)] وقال **أبو شامة** رحمه الله: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد **به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً**، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه –رضي الله عنهم– ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم". [الباعث على إنكار البدع (ص٩١)]،

وقد كان أبو بكر صاحب الحق والصواب مع مخالفة عمر له وسائر الصحابة عند موت النبي ﷺ، حتى خرج عليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتلا عليهم الآية، فالسواد الأعظم كان ذاهلاً عنها، وكأنهم لم يقرأوها من قبل.

وكان الحق معه أيضاً حين بعث جيش أسامة وأنفذه، وكان الحق معه في قتال مانعي الزكاة.

فعن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن!، رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها.

قال: ما هن؟ يا ابن جريج!.

قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السبتية، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة، أهلَّ الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهلل أنت حتى يكونَ يوم التروية.

فقال **ابن عمر**: "أما الأركان ، فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين، وأما النعال السبتية، فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما لا صفرة، فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ به، فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته"(٢١٦).

---

(٢١٦) **رواه مسلم** (ح١١٨٧).

وقال الإمام **ابن القيم** رحمه الله في معرض الرد على من يجعل قول الجمهور حجة، قال: "قولكم: يكفينا أن ثلاثة أركان الأمة عليه"، يريدون الشافعيَّ، وأبا حنيفة، وأحمد، فطرد هذا يوجب عليكم أن كل مسألة اتفق عليها ثلاثة من الأئمة وخالفهم الرابع: أن تأخذوا فيها بقول الثلاثة، لأنهم ثلاثة أركان الأمة، وهذا يلزم أهل كل مذهب، **وكلُّ هذه التلفيقات بمعزل عن البرهان الذي يطالَب به كل من قال قولاً في الدين**، وقد قال الله تعالى: ﴿ ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ﴾ (النساء/٥٩)، فأين أمر بالرد إلى ما ذكرتم ومن ذكرتم؟! ... وقولكم: "إن هذا قول الجمهور"، فإن كان قولُ الجمهور في كل مسألة تنازع فيها العلماء هو الصواب، وجب بطلان كل قول انفرد به أحد الأئمة عن الجمهور.... وهم إذا كان قول الجمهور معهم نادوا فيهم على رؤوس الأشهاد، وأجلبوا بهم على من خالفهم، وإذا كان قولهم خلاف قول الجمهور، قالوا: قول الجمهور ليس بحجة، والحجة في الكتاب والسنة والإجماع!!. ثم نقول: أين المكاثرة بالرجال إلى المكاثرة بالأدلة؟! **والواجب اتباع الدليل أين كان، ومع من كان، وهو الذي أوجب الله اتّباعه، وحرّم مخالفته، وجعله الميزان الراجح بين العلماء، فمن كان من جانبه، كان أسعد بالصوابَ، قلَّ موافقوه أو كثروا**"ا-هـ.[الفروسية (ص٢٩٧)]، وقال **ابن القيم** أيضاً: "إن الجماعة والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض". [إعلام الموقعين (٣٩٧/٣)].

إن هذا لمن غربة الدين فطوبى للغرباء على قلتهم، فلا نستوحش من قلة أهل الحق، ولا تهولنا وتخيفنا كثرة أهل الباطل والبدع والأهواء.

غربة السنة، وفضل الغرباء:

وقد بدت الغربة في اندراس معالم كثير من الإسلام منذ الزمن الأول، زمن قرون الخيرية، وصدقت نبوءة النبي ﷺ حيث قال: «**يدرس الإسلام كما يدْرس وشْيُ الثوب**»(٢١٧).

حتى قال الزهري: دخلت على **أنس بن مالك** بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: "ما أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعَت"!(٢١٨).

ولما قدم أنس المدينة، قيل له: ما أنكرت منا منذ يوم عهدتَ رسول الله ﷺ؟.

قال: "ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف"(٢١٩).

---

(٢١٧) **صحيح**: ينظر تخريجه في "السلسلة الصحيحة" (ح٨٧).

(٢١٨) رواه البخاري (ح٥٢٩،٥٣٠).

وعن **أم الدرداء** قالت: **دخل علي أبو الدرداء مغضَباً**، فقلت له: ما لَكَ؟ فقال: "والله ما أعرف فيهما شيئاً من أمر محمد ﷺ ، إلا أنهم يصلون جميعاً"(٢٢٠).

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: حججت مع عبد الله يعني: ابن مسعود فلما أفاض إلى جمع جعل يلبي، فقال رجل: أعرابي هذا؟!. فقال عبد الله: "**أنسي الناس أم ضلوا**"(٢٢١).

وقال الحسن البصري: سأل رجل **أبا الدرداء** فقال: رحمك الله لو أن رسول الله ﷺ بين أظهرنا، هل كان ينكر شيئاً مما نحن عليه؟، فغضب، واشتد غضبه، وقال: "وهل كان يعرف شيئاً مما أنتم عليه؟"(٢٢٢).

وهذا **مالك ابن أبي عامر الأصبحي** التابعي يقول: "لا أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة"(٢٢٣). يعني: الصحابة.

وقال المبارك بن فضالة: صلّى **الحسن** الجمعة وجلس، فبكى، فقيل له: ما يبكيك، يا أبا سعيد؟، فقال: "تلومونني على البكاء، ولو أن رجلاً من المهاجرين اطّلع من باب مسجدكم ما عرف شيئاً مما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ أنت عليه إلا قبلتكم هذه"(٢٢٤).

فإذا كان هذا الحال في القرون الفاضلةَ فكيف الأمر بزماننا؟!، لا شك أن الأمر أشد، وأكثر سوء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومع ذلك فقد بشرنا نبينا ﷺ وحثنا على ألا نستوحش من كثرة الهالكين، واجتماعهم على أهل السنة والحديث، فعن ابن مسعود قال: قال: « **إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»، قيل: من هم يا رسول الله؟.

قال: «**الذين يصلُحون إذا فسدَ الناس**»(٢٢٥).

---

(٢١٩) رواه البخاري (ح٧٢٤).

(٢٢٠) رواه البخاري (ح٦٥٠).

(٢٢١) قال الحافظ: رواه الطحاوي بسند صحيح (فتح الباري/٣/٦٢٣).

(٢٢٢) إغاثة اللهفان (١/٣٢٣).

(٢٢٣) **إسناده صحيح**: رواه مالك في "الموطأ" (١/٧٢).

(٢٢٤) إغاثة اللهفان (١/٣٢٣).

(٢٢٥) **صحيح**: رواه الآجري في "الغرباء" (ص١٥).

وفي حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «**طوبى للغرباء**»، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟. قال: «**أناس صالحون في أُناسٍ سوء كثير، من يعْصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(٢٢٦).

وفي حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً: «**مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مُطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعْجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، ورأيت أمراً لا يد لك به، فعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامَّهم، فإن فيهم أيام الصبرِ، الصبر فيهن كقبضٍ على الجمرِ**»(٢٢٧).

وهذا الإمام ابن القيم يصف زمنه بقوله: "الحق فيه غريب، وأغرب منه من يعرفه، وأغرب منهما من يدعو إليه وينصح به نفسه والناس؛..... وأراه بعين قلبه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه **مع ما عليه أكثر الخلق من البدع المضلات**، "(٢٢٨).

هذا ما قاله ابن القيم ومن قبله من الأئمة والعلماء في زمانهم فكيف بزماننا، وكلما تأخر الزمن كثر الشر وقل الخير ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ي- قولهم بعدم شمولية النصوص لجميع أبواب الدين:

وليس لأحد أن يقول إن السنة لا تفي بأبواب الشريعة لا سيما فروع الفقه، **ويصد بهذا القول عن اتباعها، أو تعلمها**، أو الحرص عليها. فعن أبي ذر قال: تركنا رسولُ الله ﷺ **وما طائر يقلّبُ جناحيه إلا هو يذكرنا منه علماً**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بقي شئ يُقَرِّبُ من الجنَّة ويباعدُ من النارِ إلا وقد بيّن لكم**». [رواه البطراني (٢/١٥٥) الصحيحة/١٨٠٣].

قال **وكيع**: "لو أنكم تفقهتم الحديث، وتعلمتموه ما غلبكم أصحاب الرأي، (ما قالوا) في شئ يحتاج إليه إلا ونحن نروي فيه باباً". [**صحيح**: رواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ح٧٨٩)]، وقد سئل **شيخ الإسلام ابن تيمية** عمن يقول: **إن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة، هل قوله صواب؟**.

---

(٢٢٦) **حسن**: رواه أحمد (١/١٧٧،٢٢٢)، وابن المبارك في "الزهد" (ح٧٧٥)، الآجري في "الغرباء" (ص٢٢)، **وله طريق أخرى** عند ابن عساكر ()، وفيه ابن لهيعة من رواية عبدالله ابن المبارك عنه، ينظر رسالة: "الغربة والغرباء" (ص١٧).

(٢٢٧) **صحيح لغيره**: رواه أصحاب السنن وغيرهم.

(٢٢٨) إعلام الموقعين (٤/٢١٨،٢١٧).

الجواب: "الحمد لله رب العالمين، هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغيره، وهو خطأ، **بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد، ومنهم من يقول: إنها وافية بجميع ذلك.**

وإنما أنكر ذلك من أنكره لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية، وقاعدة عامة تتناول أنواعاً كثيرة، وتلك الأنواع تتناول أعياناً لا تحصى، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة بأحكام أفعال العباد.

والكلام في عامة مسائل النزاع بين المسلمين إذا طلب ما يفصل النزاع من نصوص الكتاب والسنة وجد ذلك، وتبين أن النصوص شاملة لعامة أحكام الأفعال، وكان الإمام أحمد يقول: إنه ما من مسألة يسأل عنها إلا وقد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها، والصحابة كانوا يحتجون في عامة مسائلهم بالنصوص كما هو مشهور عنهم، وكانوا يجتهدون رأيهم ويتكلمون بالرأي ويحتجون بالقياس الصحيح أيضاً". [إعلام الموقعين (٢/٩)]، يقول **شيخ الإسلام ابن باز** رحمه الله: «لقد استوعبت شريعتنا المطهرة (كل شئ) ولله الحمد والمنة، إن دين الإسلام الحنيف قد أكمله الله، وما من شأن من شئون الدنيا والآخرة إلا وفي هذا الدين له حكم وبيان واضح جلي لمن رزق البصيرة فيه، فهو دين كامل شامل» (فتاوى٢٣/٤٢٤).

ك- التلفيق بين المذاهب، وتتبع رخص، وزلّات العلماء:

وقال **الشيخ حمد بن ناصر**: "إنما التلفيق الباطل كالذي يقلّد أبا حنيفة في مس الذكر والإمام أحمد في يسير الدم لحقه بعد الوضوء ونحو ذلك، لأنه صلاته باطلة عند الإمامين أبي حنيفة بيسير الدم، وأحمد بمس الذكر، هذا ونحوه هو التلفيق".ا-هـ . [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٥٤٦)]. يفر بعض الناس من التعصب للمذاهب زعموا فيتتبع الرخص من كل مذهب دون النظر في قوة الدليل، وهذا هو التلفيق المحرم، وإنما الواجب اتباع الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة وليس بتتبع ما يشتهي من أقوال العلماء، وقد قال تعالى: ﴿ ہ ہ ۀ ۀ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ﴾ (الزمر ١٧، ١٨).قال **سليمان التيمي**: "لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله"، وقال **ابن عبد البر**: معلقاً على هذا الأثر: هذا **إجماع** لا أعلم فيه خلافاً" [(**إسناده صحيح**) (٢/٩٢٧)]. قال **الأوزاعي**: "من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام" (٧/١٢٥)، وقال **إبراهيم بن أدهم**: «من حمل شواذ العلماء حمل شراً كثيراً» (ذم الكلام وأهله للهروي/٨٤٢).

والإمام **الشاطبي** حكى الإجماع على أنّ تَتبُّع رخص المذاهب بغير مستند شرعي فسق لا يحل" (الموافقات٤/١٣٤).

ل- تقسيم بعضهم الدين إلى قشور ولباب.

البعض إذا ذكّر بأمر شرعي ثبت عن النبي ﷺ، نجد جوابه: " إنه ليس من الأمور المهمة ذوات البال، بل إنه من القَشور أو القضايا السطحية!، وأن الأمة تمزق وتقطع ونحن نغرق أنفسنا وغيرنا في الجزئيات والفرعيات ...إلخ !!!".

نقول لهؤلاء على رِسْلِكُمْ لا يستهوينكم الشيطان فإن الله عزّ وجَلّ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(البقرة/٢٠٨). قال **الحافظ ابن كثير** : "ادخلوا في الإسلام وأطيعوا أوامره جميعاً".وقال **الألوسي** رحمه الله: "والمعنى: ادخلوا في الإسلام بكليتكم لا تَدَعوا شيئاً من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه بحيث لا يبقى مكان لغيره" أ.هـ. "فلا ينبغي أن يستهين المسلم بشيء من الذنوب، فربَّ ذنب يكون سبباً لزيغ القلب، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾" (الصف/٥). وعن سهل بن سعد عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى جَمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقّرات الذنوب متى يُؤخذ بها صاحبها أهلكته**».[**صحيح**: أخرجه أحمد (٣٦٧/٦) وغيره (الصحيحة ٣٨٩)] وأرى أن أبلغ رد على هؤلاء الذين يحقرون من شأن المعاصي ويستخفُّون بالطاعات والسنن هو قول **أبي سعيد الخدري** : "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشَّعر، كنّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات" [**حسن الإسناد**: رواه عبدالله بن أحمد في "زوائده" (٣/٣)، وقد ورد عن أنس رواه البخاري]، وقول **عبادة بن قُرص** : "إنكم تأتون أشياء هي أدقّ في أعينكم من الشعر، كنا نَعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات". وقد ذكروا قول عبادة بن قرص **لمحمد بن سيرين**، فصدقه، وقال: "صدق، وأرى جر الإزار منه". [(**صحيح**: عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٤٧٠/٣)، (٧٩/٥)] قلت: صدق الله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾(النور/١٥). وقال **العز ابن عبد السلام**: "لا يجوز التعبير عن الشريعة بأنها قشر، مع

كثرة ما فيها من المنافع والخير، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً؟. **ولا يطلق مثل هذه الألقاب إلا غبيٌّ شَقي، قليل الأدب**، ولو قيل لأحدهم: إن كلام شيخك قشور، لأنكر ذلك غاية الإنكار، ويطلق لفظ القشور على الشريعة، وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيعزَّر هذا الجاهل تعزيراً يليق بمثل هذا الذنب". [(فتاوى العز ابن عبد السلام (ص٧١)].

م- قولهم بالتأصيل، ويعنون بذلك ألا تدرس الكتاب والسنة إلا بعد دراسة أصول الفقة وأصول الحديث ونحو ذلك.

وأنا أعجب من هؤلاء من أين جاءوا بمثل هذه الخرافة التي صدوا بها عن تعلم وتعليم الكتاب والسنة؟!، فإن كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ كل منهما سهل ميسر للناس لا سيما إن أُخذا على يدي شيخ متقن لهما، فمن سمع أشرطة الشيخ ابن عثيمين وهو يفسر القرآن، أو صحيح البخاري، أو بلوغ المرام، وكذا الشيخ ابن باز أو غيرهما فإنه سيفهم بكل يسر وسهولة ما يسمعه منهما، ولو كان من العوام الطغام،ولا يحتاج الأمر إلى كبير بحث، فكيف لو كان حاضراً لدرس في كتب السنة الأخرى مثل: (سنن أبي داود)، أو (سنن الترمذي)، أو (سنن ابن ماجة) كدرس شيخنا عبدالمحسن العباد حفظه الله وأمتع بحياته، وسأله عما يشكل، فلا شك أنه سينتفع أكثر، فما بالهم يصدون الناس عن هذا النور والهدى بهذه الحجة الواهية؟!.

وما الفرق بين كتاب البخاري ومسلم ونحوهما، وكتاب: (رياض الصالحين)، الذي يقرأه الصغير والكبير، في المساجد وغيرها؟.

ودرجات الثقافة العامة عند الناس كبيرة، فلا تكاد ترى أحداً من الشباب إلا وهو عنده شئ من العلم الدنيوي مثل علم الرياضيات، والفيزياء والكمياء، بل وقد درس بعض اللغات الأخرى كالإنكليزية ونحوها، فيا ترى هذه أسهل أم الكتاب والسنة؟!

بل قال **الإمام الصنعاني** رحمه الله: «القرآن العظيم واضح العبارة على ما لا نهاية، والمتون في أنهى مراتب الغموض ... ولو وجه الطالب فكره تلقاء الكتاب والسنة لعرف المطلوب منه بأوضح عبارة وأشرف إشارة مع السعة في الأمر، ولا أشرف ولا ألذّ ولا أنقى ولا أبقى ولا أروح من قراءة أحاديث رسول الله ﷺ، **ولو كان فهمها متوقف على ما ذكر من العلوم والدقائق لم تكن شريعته سمحة سهلة ليلها كنهارها، بل ربما كان هذا من الغلو في الدين والتشديد والحرج الذي رفعه الله بفضله**» (مزالق الأصوليين/ص٩٩: ١٠٠).

ثم إن معرفة الكتاب والسنة ودراستهما ومعرفة معانيهما لا يتوقف على معرفة أصول الفقه مثلاً لأمور:

منها: أنا لا نطالبه أن يكون مفتياً بهما وإنما يدرسهما لينتفع بهما للعمل بما علمه منهما من حلال وحرام ونحو ذلك.

ومنها: أن دراسة الأصول ليست شرطاً في تعلم العلم، فمن أين الدليل على شرطية ذلك، وهل كان الناس قبل تدوين الأصول لا يتعلمون العلم؟.

ومنها: أن بعض العلماء لا يجعلون دراسة كتب الأصول شرطاً في الإفتاء ونحوه، كما قال شيخنا **ابن عثيمين** في مقدمة شرح الورقات، وفتوى أخرى في كتاب العلم له.

ومنها: أن دراسة الأصول يتطلب زماناً طويلاً جداً حتى يصير الرجل أصولياً، ولا يكفيه دراسة كتاب ولا عشرة حتى يصير أصولياً متمكناً هاضماً للأصول.

ومنها: أن كثيراً من المقدمات والحدود والمسائل التي في كتب الأصول لا يحتاج إليها أصلاً.

قال **الصنعاني** رحمه الله: «وأما القدر المحتاج إليه من فن الأصول فهو يصل إليه طالبه بدون هذه المفاوز التي يفنى العمر قبل بلوغ الغرض المقصود بها، بل هي من الصواد عن المطلوب». (مزالق الأصوليين/ص٨٧).

وقال: «أطلقوا فن الأصول على مسائل لا يحتاج إليها العبد في أمر دينه أصلاً ولا فرعاً، فإنه ليس من الأصول ولا من لغة العرب تقسيم العلم إلى التصور، والتصديق، وكل واحد إلى كسبي وبديهي، ولا عرف حبر الأمة ترجمان القرآن رضي الله عنه أن الحد حقيقي ورسمي ولفظي، ولا الذاتيات واللوازم والماهية والكليات الخمس، ولا العرض اللازم والمفارق، والمحمول والموضوع والرابطة والشخصية والطبيعية والمهملة والمسورة .....إلخ فنستغفر الله ونتوب إليه، وأرسل الله سيدنا رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إل اليمن ولم يعرفه أن عكس النقيض تبديل يقتضي الطرفين، ولا عرَّفه العكس المستوي، أن الجزئية لا تنعكس أصلاً، وهذا يعلمه كل طالب، ويعلم أن قد صارت معرفة هذه الأمور كالضروريات عند من أراد معرفة كتب الأصول، والأمر أقرب من هذا. ... وأحقر أحواله أن يكون من اللغو نعوذ بالله من ذَرب اللسان .... ومعلوم أنه لا يعني الإنسان الاشتغال باسم المشترك إذا أطلق على معنييه هل هو من قسم الحقيقة أم المجاز؟

وأي فائدة تترتب على هذا في الدين؟!» (مزالق الأصوليين/ص٨٩: ٩٤).

ومنها: أن لازم هذا أن نطالب العامي والصغير والكبير إذا أراد أن يتعلم الفروض العينية من طهارة وصلاة ونحوها أنه لا يجوز له ذلك إلا بعد تعلم الأصول المزعومة.

قال **الصنعاني** : «ومن عرف كتب الحديث علم أن الأمر يسير في العلم، وأن العمدة: العمل، وهذااغتراب الدين» (مزالق الأصوليين/ص٨٨).

وقال: «والسلف الأول إذا مرت بأحدهم الآية أكسبته معانيها الغرض المقصود، كقوله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو زينة ...﴾، يفهم من هذا حقارة الدنيا، والتزهيد فيها والترغيب عنها، والمعنى المطلوب هو الذي يتأوه له السامع إذا قرع صماخ أذنه، وهذا التأوه على قدر إيمان العبد وخوفه من الله ورجاه له، والله سبحانه يقول: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾، وقال: ﴿قرآنا عربياً غير ذي عوج﴾، وقال: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ ، ولو كان من أراد فهمه كُلّف قراءة المطوّل وحاشية الشلبي، وتحقيق الأطول لذهب عمره قبل الوصول إلى الموصل» (مزالق الأصوليينَ/ص٩٥: ٩٦).

وقال: « » (مزالق الأصوليين/ص٩٧: ٩٨).

الفصل الرابع

الأسباب المعينة على الاتباع

١- دراسة السنة، وكتب الحديث والتفقه فيها.

فإن من درسها أحبها، وازداد من اتباعه للحديث، وكان أقرب إلى الحق والهدى والصواب، وأبعد عن البدع.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "جماع الخير أن يستعين بالله في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ، فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علماً نافعاً، وإما ألا يكون علماً،وإن سُمِّي به، ولئن كان علماً نافعاً فلابد أن يكون في ميراث محمد ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله وخير منه، وليكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه، فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل إذا أمكنه ذلك، وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي ﷺ وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من "صحيح محمد بن إسماعيل البخاري" لكن هو وحده لا يقوم بأصول العلم". [الفتاوى (١٠/٦٥٣)].

وإن ترك الاطلاع على السنة والاشتغال بها من علامات أهل البدع والأهواء، قال **شيخ الإسلام** -رحمه الله-: "فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه" (درأ التعارض ١/١٢٠).أ.هـ.

قال **بشر بن السري السقطي**: "نظرت في العلم فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت وذكر ربوبية الرب وجلاله وعظمته وذكر الجنة والنار وذكر الحلال والحرام والحث على صلة الأرحام وجماع الخير، ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة والتشاح واستقصاء الحق والمماسكة في الدين واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام والتجرؤ على الحرام" (جامع بيان العلم لابن عبدالبر، وشرف أصحاب الحديث للخطيب).

فالواجب قراءة ودراسة السنة، والعمل والاتباع للحديث الثابت الصحيح لذاته أو لغيره، أو الحسن لذاته أو لغيره.

وقال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: «اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ هَذَا الْإِعْرَاضَ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَاعْتِقَادَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمَا بِالْمَذَاهِبِ الْمُدَوَّنَةِ الَّذِي عَمَّ جُلَّ مَنْ فِي الْمَعْمُورَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَآسِي وَالْمَصَائِبِ، وَالدَّوَاهِي الَّتِي دَهَتِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُدَّةِ قُرُونٍ عَدِيدَةٍ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّتَائِجَ الْوَخِيمَةَ النَّاشِئَةَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ جُمْلَتِهَا مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي وَاقِعِهِمُ الْآنَ مِنْ تَحْكِيمِ الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ الْمُنَافِي لِأَصْلِ الْإِسْلَامِ ; لِأَنَّ الْكُفَّارَ إِنَّمَا احْتَاجُوهُمْ بِفَصْلِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ بِالْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ عَنْ طُرُقِ الثَّقَافَةِ وَإِدْخَالِ الشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَلَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِمَا لَكَانَ ذَلِكَ حِصْنًا مَنِيعًا لَهُمْ مِنْ تَأْثِيرِ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ فِي عَقَائِدِهِمْ وَدِينِهِمْ.

وَلَكِنْ لَمَّا تَرَكُوا الْوَحْيَ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاسْتَبْدَلُوا بِهِ أَقْوَالَ الرِّجَالِ لَمْ تَقُمْ لَهُمْ أَقْوَالُ الرِّجَالِ وَمَذَاهِبُ الْأَئِمَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ مَقَامَ كَلَامِ اللهِ وَالِاعْتِصَامِ بِالْقُرْآنِ، وَكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّحَصُّنِ بِسُنَّتِهِ.

وَلِذَلِكَ وَجَدَ الْغَزْوُ الْفِكْرِيُّ طَرِيقًا إِلَى قُلُوبِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ سِلَاحُهُمُ الْمُضَادُّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَمْ يَجِدْ إِلَيْهِمْ سَبِيلًا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مُنْصِفٍ يَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ النَّاسِ، وَلَوْ بَلَغُوا مَا بَلَغُوا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ - لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَ كَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هَذَا الْغَزْوَ الْفِكْرِيَّ الَّذِي قَضَى عَلَى كِيَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَتِهِمْ وَفَصَلَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، لَوْ صَادَفَهُمْ وَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ لَرَجَعَ مَدْحُورًا فِي غَايَةِ الْفَشَلِ لِوُضُوحِ أَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَوْنِ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ الْمَذْكُورِ لَمْ يَسْتَنِدْ إِلَّا عَلَى الْبَاطِلِ وَالتَّمْوِيهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ. (أضواء البيان٧/ ٣٧٨).

فضل كتب الحديث والسنة ومكانتها وميزاتها

سبق وأن تكلمنا عن السنة وعظمتها وأهميتها، والحديث وما فيه من نور وهدى، وأذكر هنا شيئاً مما ورد عن السلف في فضل كتب الحديث والسنة تتميماً للفائدة، وليقف طالب العلم على الآثار السلفية التي تحث على ذلك، وتؤكد أهمية الاعتناء بكتب الحديث أولاً قبل الكتب الكثيرة التي كتبها الناس.

فعن النضر وموسى ابنا أنس عن أبيهما، أنس بن مالك، أنه أمرهما بكتابة الحديث والآثار عن رسول الله ﷺ وتعلمها، وقال **أنس** «كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً» (شرف أصحاب الحديث/١٩٨).

كتابة الحديث، وجمعه وتفهمه قبل كل شيء، لا يقدم شيئاً من العلم عليها، وهو الذي يشرح ويفسر القرآن، عن عياش القطان، قال: قلت **لأحمد بن حنبل**: أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء فقال لي أحمد: «حتى تفرغ من حديث نبينا ﷺ»[٢٢٩]، فإن كان هذا في جمع أحاديث الأنبياء؛ فكيف بكلام البشر وبعض المقلدة من أصحاب المذاهب؟!.

فكتب السنة والحديث هي في الحقيقة كتب العلم، والفقه، وهي أصل العلوم، فمن كان مفسراً فهو بحاجة إليها، ومن كان له اعتناء بالأحكام والحلال والحرام فهو بحاجة إليها، وإلى دراستها، لأنه لا يمكن أن يبني فقهه إلا عليها، ومن كان له اعتناء بالعقيدة أو الأخلاق والآداب، والمغازي والسير كلهم بحاجة

(٢٢٩) الجامع لأخلاق الراوي (١٩٢٥).

ملحة إلى الحديث وكتبه، وإمعان النظر فيها، ودراستها فالسنة هي المبينة للقرآن، **(لتبين للناس ما نزل إليهم)**، والموضحة له، فحاجة الناس كلهم إليها أحوج ما يحتاجون إليه بل أحوج لهم من الطعام والشراب.

ولذا فلا يطلق العلم إلا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: قال **العلامة الفلاني** رحمه الله: "فَهذه الْأَحَادِيث والْآثَار مصرحة بِأَن اسْم الْعلم إِنَّمَا يُطلق على مَا فِي كتاب الله وسنة رَسُول الله ﷺ والْإِجْمَاع أَو مَا قيس على هَذِه الْأُصُول عِنْد فقد نَص على ذَلِك عِنْد من يرى ذَلِك لَا على مَا لهج بِهِ أهل التَّقْلِيد والعصبية من حصرهم الْعلم على مَا دون من كتب الرَّأْي المذهبية مَعَ مصادمة بعض ذَلِك لنصوص الْأَحَادِيث النَّبَوِيَّة". (إيقاظ همم أولي الأبصار/ص).

فضائل كتب الحديث والأثر:

أولا: **هي الأصل في العلم**

ثانيا: **هي البيان للقرآن والتفسير له.**

ثالثا: **شاملة لجميع أبواب الدين**

(الفقه – والتفسير – العقيدة والمنهج – الزهد والرقائق – الآداب والأخلاق – المغازي والسير – الفضائل والمناقب)

رابعاً: **كتب مباركة عظيمة البركة.**

خامساً: **كتب جامعة مانعة نافعة غاية النفع، والفائدة، ونفعها للمرء حتى في طعامه وشرابه، ومدخله ومخرجه.**

سادساً: **كتب مختصرة في العبارة عظيمة وكثيرة في المعنى**

لذلك كان من حفظها ودرسها يكون قد حصل الكثير من المسائل في المدة اليسيرة، واشتملت على مهمات العلوم، واحتوت على الأصول لجميع الفنون.

فبهذا ينال العلوم الكثيرة في المدة اليسيرة، وهذا من بركة الحديث والسنة

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن أهل السنة والحديث: «**إنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم، والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال وأجيال** ﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ** ﴾(محمد/١٧)، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾(النساء/٦٦: ٦٨) ، **وما تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم**». مجموع الفتاوى (١٠/٤).

سابعاً: الاعتناء بالكليات، والعمومات التي يدخل تحتها الكثير من الجزئيات.

ثامناً: يفيد منها الطالب الكثير من العلوم،وينتفع بكثير منها في سائر الفنون.

فحينما يدرس السنة يجد نفسه قد درس علوماً أخرى كثيرة، كاللغة، والأصول، والمصطلح، وعلم الرجال والعلل، وغيرها، ولعل هذا من بركتها أيضاً.

تاسعاً: كتب فيها من الرقة وزيادة الإيمان وتهذيب النفس، والأخلاق، والهداية، والأدب الشيء الكثير، كأنه يعيش مع النبي ﷺ وأصحابه، فكلما كان أكثر ملازمة لهذه الكتب كان أعظم أدباً، وأكثر هداية.

وثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: ﴿**لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم**﴾( ) . فجعلت أنظر يميناً وشمالاً **فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي**. وغيره كثير في السنة، وفي سنن الدارمي بإسناد صحيح: عن عمرو بن محمد عن أبيه قال : ما سمعت ابن عمر يذكر النبي ﷺ قط إلا بكى.

وقال **بشر بن السري السقطي**: «نظرت في العلم فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت وذكر ربوبية الرب وجلاله وعظمته وذكر الجنة والنار وذكر الحلال والحرام والحث على صلة الأرحام وجماع الخير.

ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة، والتشاح واستقصاء الحق، والمماكسة في الدين واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام والتجرؤ على الحرام» (جامع بيان العلم لابن عبدالبر، وشرف أصحاب الحديث للخطيب).

عاشراً: السهولة واليسر، فهي سهلة الفهم، والحفظ، بلا تعقيد ولا وعورة، وواضحة إلى ما لا نهاية من الوضوح، والبيان.

قال **ابن القيم** رحمه الله: «لا تجدَ كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتمَّ بياناً من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه سبحانه بياناً، وأخبر أنه يسره للذّكر، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير؛ **إحداها** تيسير ألفاظه للحفظ، **الثاني** تيسير معانيه للفهم، **الثالث** تيسير أوامره ونواهيه للامتثال»[٢٣٠]. وهذا يدل فيه الكتاب والسنة، بل السنة من باب أولى لأنها بيان للقرآن، فهو أكثر وضوحاً.

لذلك قال **الإمام الصنعاني** رحمه الله: «القرآن العظيم واضح العبارة على ما لا نهاية، والمتون في أنهى مراتب الغموض ... ولو وجه الطالب فكره تلقاء الكتاب والسنة لعرف المطلوب منه بأوضح عبارة وأشرف إشارة .... **ولو كان فهمها متوقف على ما ذكر من العلوم والدقائق لم تكن شريعته سمحة سهلة ليلها كنهارها، بل ربما كان هذا من الغلو في الدين والتشديد والحرج الذي رفعه الله بفضله**» [٢٣١].

قال الإمام العلامة الشنقيطي رحمه الله، في تفسير قوله: **(أفلا يتدبرون القرآن)**:

«وإن كان قصدهم أن تعلمهما صعب لا يقدر عليه، فهو أيضاً زعم باطل، لأن **تعلم الكتاب والسنة، أيسر من تعلم مسائل الآراء والاجتهاد المنتشرة، مع كونها في غاية التعقيد والكثرة**، والله جل وعلا يقول في سورة القمر مرات متعددة: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر:١٧],

---

(٢٣٠) «الصواعق المرسلة» (٣٣٠-٣٣٥)، باختصار.

(٢٣١) مزالق الأصوليين (ص٩٩: ١٠٠).

ويقول تعالى في الدخان: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨], ويقول في مريم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾ [مريم:٩٧].

فهو كتاب ميسر، بتيسير الله، لمن وفقه الله للعمل به، والله جل وعلا يقول: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢].

فلا شكَ أن الذي يتباعد، عن هداه، هو يحاول التباعد، عن هدى الله ورحمته.

ولا شك أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله إلى أرضه، ليستضاء به فيعلم في ضوئه الحق من الباطل والحسن من القبيح والنافع من الضار، والرشد من الغي. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء:١٧٤].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ, يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦], وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن:٨] وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فإذا علمت أيها المسلم أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله ليستضاء به، ويهتدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور.

فلا تكن خفاشي البصيرة، واحذر أن تكون ممن قيل فيهم:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم

مثل النهار يزيد أبصار الورى .. ... نورا ويعمي أعين الخفاش

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠], ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

ولا شك أن من عميت بصيرته عن النور، تخبط في الظلام، ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور.

وبهذا تعلم أيها المسلم المنصف، أنه **يجب عليك الجد، والاجتهاد في تعلم كتاب الله، وسنة رسوله** صلى الله عليه وسلم، **وبالوسائل النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منهما، علماً صحيحاً**.

ولتعلم أن **تعلم كتاب الله وسنة رسوله في هذا الزمان، أيسر منه بكثير في القرون الأولى، لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك**، من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين وأحوال الرجال، من رواة الحديث، والتمييز بين الصحيح والضعيف، لأن الجميع ضبط وأتقن ودون، فالجميع سهل التناول اليوم.

فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها من النبي صلى الله عليه وسلم ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين.

وجميع الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم حفظت ودونت، وعلمت أحوال متونها وأسانيدها وما يتطرق إليها من العلل والضعف».

الحادي عشر: ليس فيها حشو وكلام زائد، بل كلام قليل مختصر، ومعان جليلة.

الثاني عشر: أنها كتب لا تُمل البتة، وأما غيرها فلا تقدر أن تطيل القراءة فيها، والجلوس لسماعها لساعات طويلة، فأي درس مع أحسن شيخ متمكن، وفي أي علم مثلاً من علوم الآلة أو كتب الرأي (الفقه) لا تستطيع أن تزيد عن ساعة إلا بملل وضيق صدر.

كيف تمل وأنت مع النبي ﷺ وصحبه الكرام، تقرأ كلامهم وعنهم، وتنظر في طريقتهم وسيرتهم؟!

فعن **عبد الله بن المبارك**، وقد قيل له: «يا أَبَا عَبْد الرَّحْمَن، إِنَّكَ تُكْثِرُ الْقُعود فِي الْبَيْت وحدَكَ، فَقَالَ: لَيس أَنَا وحْدِي، أَنا مع النَّبِي ﷺ وأَصْحابه بينهم يَعْنِي النَّظَر فِي الْكُتُب» . ترتيب الأمالي للشجري (٧٥).

الثالث عشر: فيها تثبيت للعقائد، وتفصيل وتوضيح ما كان غامضاً منها، فمثلاً إن درست في العقيدة الإيمان بفضل الصحابة، أو بعذاب القبر، أو الشفاعة ونحوها، سيجد طالب العلم تفصيلاً لفضائل الصحابة وذكر فضائل كثير من الصحابة، وأنواع كثيرة من الشفاعات قد تصل إلى بضع عشرة شفاعة لنبينا ﷺ ، وأحاديث مختلفة، وهكذا في كل باب.

الرابع عشر: كثيرة الحجج والأدلة في الموضوع الواحد، بل والمسألة الواحدة.

الخامس عشر: فيها إحياء لكثير من السنن التي ماتت بين الناس.

السادس عشر: وهي سبب لجمع الكلمة، والألفة، وعدم الفرقة، فإنَّ تمزُّقَ الأمة وخلافَاتها لن يُصْلَح، ولن يزولَ إلا بشدَّة بالسُّنَّة، والعمل بها، والسير وفق منهج السلف، والحرصَ على الحديث والأثر، ودليل ذلك قوله ﷺ: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»[٢٣٢].

فمن أعظم أسباب الفرقة والاختلاف والتمزق بله العداوة والبغضاء، ترك سبيل ومنهج السلف، والوقوف في وجه ذلك بشتى التأويلات، بدليل قوله تعالى: ﴿ **فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾(المائدة/١٤).

فظهر أن **سببَ الاجتماعِ والألفة جمع الدين، والعمل به كله**، وهو: **عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً، وظاهراً**.

وسبب الفرقة: ترك الحظ مما أُمر العبد به، والبغي بينهم، ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه»[٢٣٣].ا.هـ. ملخصاً.

ولما كان السلف على منهج واحد في التلقي والاستدلال، مرجعهم جميعاً الكتاب والسنة، ودعوتهم التوحيد وتعظيم السنة والحديث، والعمل به، والدعوة إلى ذلك جمعهم الله عزوجل، وإن اختلفوا في مسألة لم يوجب ذلك فرقة ولا شقاقاً بينهم، وسادوا الدنيا، ورفعهم الله، ومكن لهم في الأرض، وأورثهم إياها.

---

(٢٣٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود، والترمذي (ح٢٨٢٨) وصححه، وابن ماجة (ح٤٢)، وكذلك ابن رجب والألباني (صحيح أبي داود:٣٨٥).

(٢٣٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٤: ١٧).

وأما اليوم فاختلاف المناهج في التعلم، فضلاً اختلاف مناهج التلقي، يوجد الخلاف والشقاق، والتنازع والفرقة وإلى الله المشتكى.

السابع عشر: ويحصل بإدمان القراءة في كتب السنة وملازمتها من الحفظ للأحاديث، وتثبيت المحفوظات، وإشاعة السنة والحديث بين الناس ما لا يحصل لمن عكف على المتون، فقراءة الحديث ومجالس الحديث، والتفقه فيه ولا سيما مع الإكثار منه تثبت المحفوظ، وتقوي الملكة وذلك لبركة السنة، فما تكرر، تقرر.

الثامن عشر: يحصل للعبد بإدمان القراءة في كتب السنة، من الراحة والطمأنينة، والفرح والسرور، وانشراح الصدر، والثبات عليه، والرقة والخشية ما ليس في الكتب الأخرى من قسوة القلب، ونسبة بينهما فإن الأحاديث وحي يوحى من الله تعالى.

التاسع عشر: إن "الإكثار من مطالعة كتب السنة كالكتب الستة وغيرها من الصحاح والمسانيد؛ فهي تمد الكاتب بالأساليب البيانية الراقية، وترفد مادته اللغوية والشرعية، فالنبي "**أوتي جوامع الكلم**"، ودانت له نواصي البلاغة، ودنت له قطوف الحكمة، وتفجرت من أقواله ينابيع الفصاحة؛ فهو يتكلم بالسهل الممتنع، وبالألفاظ المعبرة المشتملة على الرقة، والمتانة، والإبانة عن الغرض بدون تكلف". الارتقاء بالكتابة (ص:٦)

العشرون: هناك أمور تربوية يستفيدها الناظر في كتب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، **منها** التعود على استعمال النصوص والنظر في الأدلة، **ومنها** أنه ينتفع بالحديث وفوائده، وليس ما يتعلق بالمسألة التي يبحثها فحسب، بل مع كل حديث يقرأه المرء ينتفع بأحكام ومسائل أخرى، **ومنها** أن قلبه ينفر بعد ذلك ممن يتكلم بغير النصوص وبغير أدلة، **ومنها** أنه يحب السنة وأهل الحديث، والصحابة الذين نقلوا السنة بل والرواة الذين نقلوها، **ومنها** أنه يقف على أكثر من نص في المسألة الواحدة فيزداد رسوخاً وثباتاً على ما هو عليه، فلا يتزعزع عنها، **ومنها** الهداية التي تلقى في قلبه لمعرفة الحق، **ومنها** التعرف على منهج السلف في التلقي والاستدلال، **ومنها** كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ففي الحديث الواحد قد يصلي عليه عشر مرات وأكثر، **ومنها** أن القاريء لها والناظر فيها، يقف على نصوص كثيرة مرفوعة وموقوفة ومقطوعة، لم تطرق لم يرها من قبل، **ومنها** أنه القارئ لها يطلع على علوم كثيرة، من

علوم الحديث والفقه والتفسير والرجال والجرح والتعديل، واللغة والبيان وغيرها، ومنها ومنها ... أمور وعلوم كثيرة وجليلة.

الحديث والسنة هي الفقه كله:

إن تسمية الحديث بالفقه، لستَ أنا أول من أطلق عليه ذلك بل إن النبي ﷺ، أطلق على حديثه ذلك، ومنه قوله ﷺ: «**رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**». فهذا يدل على أن حافظ الكتاب والسنة، حافظ لفقه، وأنه لعله يؤديه إلى من هو أفقه منه، فيتفقه فيه، كما أطلق العلماء عليه هذا الاسم ويطلق على الكتاب والسنة، وعن محمد بن عبدالوهاب قال: قلت **لعلي بن عثام**: "رجل يقول ليس في حديث رسول الله ﷺ فقه، فقال: هذا فاجر فأين الفقه،؟ وأين الخير إلا فيه؟!!"[٢٣٤].

فالمحدث فقيه، ولا يتصور في المحدّث إلا أن يكون فقيهاً.

قال **الإمام وكيع بن الجراح**: «لقَيني أبوحنيفة، فقال لي: لو تركت كتابةَ الحديث وتفقَّهت، أليس كان خيراً؟. قلت: أفليس الحديث يجمع الفقه كله؟.

قال ما تقول في امرأة ادعت الحمل، وأنكر الزوج؟.

فقلت له: حدثني عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ لاعن بالحمل، فتركني، فكان بعد ذلك إذا رآني في طريق يأخذ في آخر»[٢٣٥].

قال بعضهم:

عليكم بالحديث فليس شيء . .. يعادله على كل الجهات

نصحت لكم فإن الدين نصح .. . ولا أخفي (نصائح) واجبات

وجدنا في الرواية كلَّ فقه ... وأحكام ومن (كل) اللغات

(لذكر المسندات جعلتُ حفظي) ... وحفظ العلم خير العائدات

---

(٢٣٤) ذم الكلام وأهله (٢/ ٧١).

(٢٣٥) **صحيح**: الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦١-ح٧٨٧).

أئمته النجوم وهل رشيد . .. تكلم في النجوم الزاهرات

الكتب الستة خاصة

التي يقال لها: الأصول الستة والكتب الستة والصحاح الستة، والأمهات الست.

ولقد كان للعلماء وطلاب العلم العناية الفائقة بكتب السنة، ولما كانت "الطبقة العليا منها هي الأمهات الست التي خصت بمزيد الصحة والشهرة والقبول وتلقتها الأمة المرحومة جميعاً من السلف والخلف تلقيا لا يحول ولا يزول واعتنى بروايتها عصابة أهل الحديث عناية تامة وأذعن لضبطها ونشرها في كل عصر خاصتهم والعامة بل عليها اقتصروا في قراءة كتب الحديث وتدريسه وبها اكتفوا في تحصيل سند هذا العلم وتأسيسه"(٢٣٦)، وحين نطلق الكتب الستة نعني بها: الصحيحان وسنن النسائي وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه، وأصبح لهذه الكتب من المنزلة الرفيعة ما جعل بعض العلماء يطلق عليها اسم الصحاح ولم يزاحم هذه الكتب إلا مسند أحمد وموطأ مالك وسنن الدارمي، ولكل منها مزية... ومهما يكن من أمر فقد غدت هذه الكتب التسعة من أشهر كتب السنة ومصادر لفهم الدين أصوله وفروعه ومن أجل ذلك فقد حظيت بعناية المسلمين على مر العصور دراسة وشرحاً واستنباطاً وتخريجاً واختصاراً وفهرسة"(٢٣٧).

وأولها: الصحيحان، فهما أهم وأصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، قال **ابن دقيق العيد** رحمه الله في نصيحته لطالب العلم: "ولْيقدّم العناية بالكتب الستة، ومقدَّمها الصحيحان، ثم كتب (المسانيد)، وكتب العلل ، وكتب الضبط لمشكل الأسماء ، والمؤتلف والمختلف وليتقن ما أشكل عليه.

وليذاكر بما عنده، ويشتغل بالتَّصنيف والتخريج، فهو من أعظم الأشياء عوناً له على الحفظ".

الاقتراح في فن الاصطلاح للحافظ ابن دقيق العيد (ص: ٢١).

وهذه الكتب هي أصول الإسلام التي يرجع إليها في الأمور كلها، وإن خالف الصحيح منها رد المخالف لها، بل قال **السبكي**: "هذه أحاديث الكتب الستة التي هي أصول الإسلام وهي كافية لمن أحاط بها ولا يبقى بعدها إلا فهم يؤتيه الله من يشاء". فتاوى السبكي (١/ ٤١٤).

---

(٢٣٦) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ٣).

(٢٣٧) أبوداود حياته وسننه (ص: ١).

وقال العلامة **النووي** رحمه الله: "لا يخرج عن الكتب الخمسة التي هي أصول الإسلام من الصحيح إلا اليسير". يعني الستة خلا ابن ماجه.

ذكر الحافظ **المزي** في كتابه: «تهذب الكمال» فصلاً في فضل الكتب الستة فقال: «قال مُحَمَّد بْن أَبي نصر الحميدي: سمعت الفقيه أبا محمد علي ابن أحمد بن سعيد الحافظ بالأندلس وقد جرى ذكر "الصحيحين" فعظم منهما، ورفع من شأنهما.

وحكي أن سعيد ابن السكن اجتمع إليه قوم من أصحاب الحديث، فقالوا له: إن الكتب في الحديث قد كثرت علينا، فلو دلنا الشيخ على شيء نقتصر عليه منها. فسكت عنهم، ودخل إلى بيته، فأخرج أربع رزم، فوضع بعضها على بعض، فقال: «هذه قواعد الاسلام: كتاب البخاري وكتاب مسلم، وكتاب أبي داود، وكتاب النَّسائي».

وقال **أبوبكر الصولي**: سمعت زكريا بن يحيى الساجي يقول: «كتاب الله أصل الاسلام، وكتاب السنن لابي داود عهد الاسلام».

وقال **أبوسليمان الخطابي**: سمعت ابن الأعرابي يقول ونحن نسمع منه هذا الكتاب يعني كتاب السنن وأشار إلى النسخة وهي بين يديه: «لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله عزوجل، ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البتة». قال **الخطابي**: وهذا كما قال لا شك فيه، لان الله تعالى أنزل كتابه تبيانا لكل شيء، وقال: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شئ**﴾ () ، فأخبر سبحانه وتعالى وبحمده أنه لم يغادر شيئا من أمر الدين لم يتضمن بيانه الكتاب إلا أن البيان على ضربين: بيان جلي، تناوله الذكر نصا، وبيان خفي اشتمل على معنى التلاوة ضمنا، فما كان من هذا الضرب كان تفصيل بيانه موكولاً إلَى النَّبِي ﷺ، وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ () . فمن جمع بين الكتاب والسنة فقد استوفى وجهي البيان.

وقد جمع أبوداود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم، وأمهات السنن، وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدما سبقه إليه، ولا متأخرا، لحقه فيه.

قال **أبوسليمان الخطابي**: واعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنَّف في حكم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كآفة الناس فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء

-على اختلاف مذاهبهم-، ولكل فيه ورد، ومنه مشرب، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مدن أقطار الارض.

وكتاب أبي داود أحسن وضعاً (يعني من الصحيحين)، وأكثر فقهاً، وكتاب أبي عيسى أيضاً كتاب حسن، والله تعالى يغفر لجماعتهم، ويحسن على جميل النية فيما سعوا له مثوبتهم برحمته». تهذيب الكمال (١/١٧١).

وقال **الصديق حسن خان** رحمه الله: "هذه الكتب الستة التي هي أم كتب الحديث وأشهرها وبأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام ومصنفوها أشهر علماء الحديث وأكثرهم حفظا وإليهم المنتهى". الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ٥٠)

وقال العلامة **حمد بن معمر** رحمه الله في معرض الإنكار على من يتشبث بالمتون والمختصرات:

«وأما **كتب الحديث، كالأمهات الست**، وغيرها من كتب الحديث، وشروحها، وكتب الفقه الكبار، التي يذكر فيها خلاف الأئمة وأقوال الصحابة والتابعين، فهي عندهم مهجورة، بل هي في الخزانة مسطورة، للتبرك بها لا للعمل». الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٤/ ٢٧).

قال **البشير الإبراهيم** رحمه الله: «ومن العار الفاضح ألا نرى في الكثير من أبنائنا الذين تخرّجوا من الزيتونة، واتجهوا إلى علوم الدين من استوعب قراءة الصحيحين والسنن؛ ولعمري ما سلاح الفقيه إلا تلك الكتب وأشباهها». آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/ ٢٠٣).

ومن تلبس إبليس على بعض طلاب العلم، وعلى بعض المتفقهة أن أشغلهم عن الصحيح والعمل به والدعوة إليه، واهتم بأمور كثيرة وأشغلهم عن السنة الصحيحة.

قال **الخطيب**: "أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب عليهم كتب الغريب دون المشهور ، وسماع المنكر دون المعروف ، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من رواية المجروحين والضعفاء حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبا والثابت مصدوفا عنه مطرحا وذلك لعدم معرفتهم بأحوال الرواة

ومحلهم ونقصان علمهم بالتمييز وزهدهم في تعلمه ، وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين الأعلام من أسلافنا الماضين".

وهذا الذي ذكره الخطيب حق، ونجد كثيرا ممن ينتسب إلى الحديث لا يعتني بالأصول الصحاح كالكتب الستة ونحوها. الحديث المعلول قواعد وضوابط (ص: ٤٥)

وكان أحد الملوك بالمغرب الأقصى لما رأى الناس يتعصبون لمذهب مالك، ويتركون الحديث، اخذته الغيرة على السنة فبالغ وقال مرة: "**يا أبابكر، ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود, وكان عن يمينه, أو السيف!**".

ولا شك أننا ننكر هذه الطريقة، ويستفاد من هذه الكتب، ولكن لا تقدم لا في الدراسة، ولا التدريس، ولا العمل على الكتاب والسنة، ولا تدرس على أنها أصل يتعبد بما فيها، وسيأتي بيان لهذا إن شاء الله.

وكانت من نصائح الشيخ الفاضل **مشهور حسن آل سلمان**:

فطالب العلم إذا كان صاحب نهمة وهمة, يبدأ بالقرآن و تفسير موجز وتفسير متوسط وتفسير مفصل, ثم السنة لابد من قراءة الصحيحين، **لابد من قراءة الصحيحين, ثم السنن الأربعة**، حينئذ طالب العلم يكون طالب علم، ما الذي يمنع أن يكون البخاري على رأس التخت (السرير) عندك, وتقرأ يعني كل يوم تقرأ الباب مرة ومرتين وثلاثة, وقد تستغرق سنة في البخاري، وسنة في مسلم, لما كنا في الهند نزلنا في مدرسة، كانوا يقولون: كل سنة نختم البخاري، وكل سنة نختم مسلم، جلست في بيت الله الحرام في مكة المكرمة في رمضان الماضي في مجلس شيخنا يحيى مراد العظيم أبادي الهندي في المجلس الذي ختم فيه تفسير ابن كثير ففي أواخر رمضان من كل عام يختم ابن كثير في بيت الله الحرام.

فالشاهد طالب العلم ينبغي أن يمر مرة ومرتين وثلاثة على تفسير القرآن وعلى البخاري.

لا تكون ضائعاً إيش أقرأ إيش، تعيش وتموت وأنت تائه، لا تبقى متحيراً لأن العلم واضح، ليس العلم الذي يطرب, ليس العلم الذي يقيم البدن, التسالي والأشياء اللذيذة، التي تتعلق بها النفس، الذي يطيب البدن الطعام والوجبات القوية، والذي يطيب العلم الوجبات القوية الكتاب والسنة **تفسير القرآن والكتب الستة**.

أنهينا البخاري مسلم، أباداود، الترمذي النسائي وهلم جرا. يكون في مكتبتك ست كتب وتقرأها باستمرار أحسن ما تكون في مكتبتك عشرات الألوف من الكتب وأنت محتار أيش تقرأ؟!.

وتنهل وتشرب من أصل النبع ثم تبدأ تقرأ شرح, تقرأ شرح موفق للصحيحين ووو... الخ الذي يستظهر ما في فتح الباري عالم

السخاوي في كتابه الترجمة الذاتية لنفسه يقول: كتاب الإسلام فتح الباري". (مقطع في النت فرغه لي أحد الطلاب).

وقد نصح شيخنا العلامة **ابن باز** رحمه الله: "وأنصح لجميع العلماء بأن يعنوا بمراجعة ... وكتب السنة مثل: "الصحيحين وبقية الكتب الستة, ومسند الإمام أحمد , وموطأ الإمام مالك وغيرها من كتب الحديث المعتمدة وكتب التفسير المعتمدة كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي ونحوهم من أهل السنة". مجموع الفتاوى (٥/٢٧٠).

وقال أيضاً رحمه الله: "وأوصي أهل العلم وطلبته بالعناية بكتب الحديث والإكثار من قراءتها وتدريسها والمذاكرة فيها، وأهمها الصحيحان، ثم بقية الكتب الستة، مع موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي وغيرهما من كتب الحديث المعروفة، ضاعف الله الأجر لمؤلفيها , وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء". مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا (٧/ ٢١٠).

وسئل رحمه الله: ما هي كتب السنة التي ترون أنها مناسبة وتنصحوننا باقتنائها؟

ج: كتب السنة كثيرة والحمد لله منها الكتب الستة وهي الصحيحان البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه رحمهم الله، ومنها موطأ مالك – رحمه الله – ومسند أحمد – رحمه الله – وسنن الدارمي – رحمه الله – ، فهذه كتب الحديث المعروف المشهورة .

ومن كتب السنة ما ألفه جماعة آخرون من أهل العلم، منها ما ألفه الشافعي – رحمه الله – كالأم، ومنها ما ألفه الفقهاء بعد ذلك في أحكام الشرع المطهر، ومن أحسن ما ألف في ذلك مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – تعالى وتلميذه العلامة ابن القيم – رحمه الله –، فإن كتبهما مفيدة جدا وتعتني بالدليل وترجح الراجح في مسائل الخلاف فهي كتب عظيمة". مجموع فتاوى ابن باز(٣٠)جزءا (٢٥/ ٦٢)

وكم وكم اهتمت الأمة قديماً بهذه الكتب المباركة حفظاً وشرحاً ودراسة وتدريساً، ونشراً واعتناء، حتى إن بعضهم الآن ليختم الكتب الستة كل عام، وبعضهم في العام مرتين.

من أراد أن يكون عالماً للمتقين إماماً فعليه بالكتب الستة حفظاً ودراسة وفهماً وعملاً:

النية والاستعانة بالله، والحرص على تعلم كتاب الله، مع حفظه، والكتب الستة مع حفظ متونها بلا مكرر، ودراستها جميعاً، فمن فعل ذلك ضبط أكثر العلم.

كتاب صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى

"وهو المسند الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسننه وأيامه كما سماه مؤلفه المشهور بصحيح البخاري للإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبي عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري المتوفي بقرية خرتنك سنة ست وخمسين ومائتين.

قال **الصديق حسن خان**: هو أول مصنف صنف في الصحيح المجرد وأول الكتب الستة في الحديث وأفضلها قال النووي في شرح صحيح مسلم: اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم وتلقاهما الأئمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما صحيحا وأكثرهما فوائد، وليس كتاب يساوي صحيح البخاري في باب الصحة بدليل كمال الصفات التي اعتبرت في الصحة في رجاله". الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٥٨)

قال **الصديق حسن خان**: "وأما فضله فهو أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن والمتلقى بالقبول من العلماء في كل زمان يقول أبو زيد المروزي: كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي {صلى الله عليه وسلم} في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس الشافعي وما تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك؟ قال: **جامع محمد بن إسماعيل البخاري** وقال الذهبي في تاريخ الإسلام وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى وهو أعلى في وقتنا هذا إسنادا للناس ومن ثلاثين سنة يفرحون بعلو سماعه فكيف اليوم فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته انتهى وهذا قاله الذهبي في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

وروى بالإسناد الثابت عن البخاري أنه قال رأيت النبي {صلى الله عليه وسلم} وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الصحيح وأيضا قال البخاري كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لي بعض أصحابه لو جمع أحد كتابا مختصرا في السنن الصحيحة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التي بلغت من الصحة أقصى درجاتها كان أحسن وتيسر العمل عليه للعاملين من دون مراجعة إلى المجتهدين قال فوقع ذلك في قلبي وأخذ بمجامع خاطري فصنفت هذا الجامع الصحيح

وقال النسائي أجود هذه الكتب كتاب البخاري وقال البخاري ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من نحو ست مائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال ما أدخلت فيه إلا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى يطول وقال صنفت كتابي هذا في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته

وقال الفربري رحمه الله تعالى قال البخاري ما وضعت في الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وأرجو أن يبارك الله تعالى في هذه المصنفات

وروى عن عبد القدوس بن همام قال سمعت عدة من المشايخ يقولون حول البخاري تراجم جامعة بين قبر النبي {صلى الله عليه وسلم} ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

وبقي في تصنيفه ست عشرة سنة قال الحاكم قال أبو عمرو اسماعيل حدثنا أبوعبدالله محمد بن علي قال سمعت البخاري يقول أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج في كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة انتهى

وقال الشيخ أبومحمد عبدالله بن أبي جمرة قال لي من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقر لهم بالفضل أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب إلا بخت قال وكان مجاب الدعوة وقد دعا لقارئه.

وقال الحافظ **عماد الدين ابن كثير**: وكتاب البخاري الصحيح يستسقى بقراءته الغمام وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام".

قال الشيخ **عبدالحق الدهلوي** في "أشعة اللمعات": قرأ كثير من المشايخ والعلماء والثقات صحيح البخاري لحصول المرادات وكفاية المهمات وقضاء الحاجات ودفع البليات وكشف الكربات وصحة الأمراض وشفاء المرضى عند المضايق والشدائد فحصل مرادهم وفازوا بمقاصدهم ووجدوه كالترياق مجربا وقد بلغ هذا المعنى عند علماء الحديث مرتبة الشهرة والاستفاضة"

الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٦٩، وما بعدها)

قلت: ولا شك أن هذا لا يستدل به، وليس بحجة، ولكنه يستأنس به، ولا بأس به في مثل هذا لبركة حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وما أحسن قول البرهان القيراطي رحمه الله تعالى في صحيح البخاري نظم:

حدث وشنف بالحديث مسامعي فحديث من أهوى حلى مسامعي
لله ما أحلى مكرره الذي يحلو ويعذب في مذاق السامع
بسماعه نلت الذي أملته وبلغت كل مطالبي ومسامعي
وطلعت في أفق السعادة صاعدا في خير أوقات وأسعد طالع
ولقد هديت لغاية القصد التي صحت أدلته بغير ممانع
وسمعت نصا للحديث معرفا مما تضمنه كتاب الجامع
وهو الذي يتلى إذا خطب عرى فتراه للمحذور أعظم دافع
كم من يد بيضاء حواها طرسه توى إلى طرق العلى بأصابع
وإذا بدا بالليل أسود نقشه يجلو علينا كل بدر ساطع

ولأبي الفتوح العجلي نظم:

صحيح البخاري يا ذا الأدب قوي المتون على الرتب
قويم النظام بهيج الردا خطير يروج كنقد الذهب
فتبيانه موضح المعضلات وألفاظه نخبة للنخب
مفيد المعالي شريف المعالي رشيق أنيق كثير الشعب

سما عزه فوق نجم السما فكل جميل به يجتلب
سناء منير كضوء الضحى ومتن مزيج لشوب الريب
كأن البخاري في جمعه تلقى من المصطفى ما اكتتب
فلله خاطره إذ وعى وساق فرائده وانتخب
جزاه الإله بما يرتضي وبلغه عاليات القرب

الحطة فى ذكر الصحاح الستة (ص: ١٧٠)

ولأبي عامر الفضل بن اسماعيل الجرجاني الأديب رحمه الله تعالى نظم

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين العمى والهدى والسد دون العنا والعطب
أسانيده مثل نجوم السماء أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبي ودان له العجم بعد العرب
بأب من النار لا شك فيه يميز بين الرضا والغضب
خير رفيق إلى المصطفى ونور مبين لكشف الريب
يا عالما أجمع العالمون على فضل رتبته في الرتب
حث الأئمة فيما جمعت وفزت على زعمهم بالقصب
بت السقيم من الغافلين ومن كان متهما بالكذب
حيت من عدلته الرواة وصحت روايته في الكتب
برزت في حسن ترتيبه وتبويبه عجبا للعجب
فأعطاك ربك ما تشتهيه وأجزل حظك فيما يهب
يصك في عرصات الجنان بخير يدوم ولا يقتضب

فلله دره من تأليف رفع علم علمه بمعارف معرفته وتسلسل حديثه الجامع فأكرم بسنده العالي ورفعته، الحطة فى ذكر الصحاح الستة (ص: ١٧٠)

وقال **الصديق حسن خان**: "اعلم أن البخاري قد التزم مع صحة الأحاديث استنباط الفوائد الفقهية والنكتة الحكمية فاستخرج بفهمه الثاقب من المتون معاني كثيرة فرقها في أبوابه بحسب المناسبة واعتنى فيها بآيات الأحكام وسلك في الإشارات إلى تفسيرها السبل الوسيعة ومن ثم أخلى كثيرا من الأبواب من ذكر إسناد الحديث واقتصر على قوله فلان عن النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد يذكر المتن بغير إسناد وقد يورده معلقا لقصد الاحتجاج إلى ما ترجم له وأشار للحديث لكونه معلوما سبق قريبا ويقع في كثير من أبوابه أحاديث كثيرة وفي بعضها آية من القرآن فقط وفي بعضها لا شيء فيه". الحطة فى ذكر الصحاح الستة (ص: ١٦٠)

التفقه في السنة:

كما يجب أن نتفقه في السنة تفقهاً لقوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين**..﴾(التوبة/).

لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢٣٨).

وقوله ﷺ في دعائه لابن عمه ابن عباس: «**اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**» رواه البخاري.

قال **وكيع**: "يا فتيان تفهَّموا فقه الحديث، فإنكم إن تفهمتم فقه الحديث لم يقهركم أهلُ الرأي"(٢٣٩).

قال **الخطيب**: "وإنما أسرعت أَلسنةُ المخالفين إلى الطعن على المحدِّثين لحملهم أصول الفقه، وأدلته في ضمن السنن، مع عدم معرفتهم بمواضعها، فإذا عُرِف صاحبُ الحديث

(٢٣٨) **متفق عليه**: رواه البخاري ()، ومسلم ().

(٢٣٩) **إسناده صحيح**: رواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ح٧٨٨).

بالتفقه خرست عنه الألسن، وعظم محلّهُ في الصدور والأعين، وخسئَ من كان عليه يطعن"[٢٤٠].

وقد قال **ابن حزم** معلقاً على حديث أبي موسى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**». (متفق عليه)، رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

قال رحمه الله: «فمن استطاع منكم أيها الإخوة في الله عز وجل أن يكون من الطائفة الأولى النقية فليفعل، فحسب الواحد منا أن يكون في جملة من أثنى عليه رسول الله ﷺ.

فإن لم يمنح ذلك ؛ فليكن من الأجادب التي تمسك الماء لعل الله ينفع بنا وبكم في ذلك، ولو أن يموت أحدُنا وهو مقيِّدٌ لحديث النبي ﷺ يشاهد مجالسه، طالب له، مستكثر منه!

فأعيذ نفسي وإياكم بالله أن نكون من القيعان التي لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأ!»[٢٤١].

وقال **الصنعاني**: «ولو وجَّه الطالبُ فِكْرَهُ تلقاء الكتاب والسنة لعرف المطلوب منه بأوضح عبارة وأشرف إشارة مع السعة في الأمر، **ولا أشرف ولا ألذّ ولا أنقى ولا أبقى ولا أروح من قراءة أحاديث رسول الله** ﷺ، ولو كان فهمها متوقف على ما ذكر من العلوم والدقائق لم تكن شريعته سمحة سهلة ليلها كنهارها، بل ربما كان هذا من الغلو في الدين والتشديد والحرج الذي رفعه الله بفضله » (مزالق الأصوليين/ ص١٠٠).

---

(٢٤٠) الفقيه والمتفقه (٢/١٦١).

(٢٤١) **التلخيص لوجوه التخليص**" (ص١٣٢: ١٣٣).

قال **يحيى القطان**: "ينبغي لطالب الحديث أن يكون ثبت الأخذ، ويكون يفهم ما يقال له، ةيبصر الرجال، ثم يتعاهد". (شرح علل الترمذي١/ ١٩٤).

وقال ابن المديني: "التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم" (سير النبلاء١١/ ٤٨)

٢- قراءة كتب في حقيقة الاتباع، والنهي عن الابتداع.

مثل كتاب: "الرد إلى الأمر الأول" لأبي شامة،وكتاب: ابن وضاح "البدع والنهي عنها"، وكتاب: الطرطوشي "الحوادث والبدع"، وكتاب: "الاعتصام" للشاطبي،وكتاب: "اقتضاء الصراط المستقيم"، ومقدمات: "كتاب: الشريعة" للآجري، و"الإبانة" لابن بطة، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة" اللالكائي، ونحوها، و"الإستقامة" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب: "الاعتصام بالكتاب والسنة" من صحيح البخاري، ومقدمة "سنن الدارمي"، ومقدمة "سنن ابن ماجه"، و"كتاب: السنة" من "سنن أبي داود"، ومقدمات سائر الكتب السلفية في الاعتقاد ونحوها.

ولقد كان من منهج الأوائل قبل أن يبدأوا في بيان معتقد أهل السنة، أن يبدؤا بمقدمة مهمة في تعظيم السنة، وبيان منْزِلتِها، والرفعِ من شأنها، والحثِ على اتِّباعِها، والإعلاء من شأنِ أهلِها، وذمِ البدعةِ في الدينِ والتحذيرِ منها ومن أهلها، ومجالستِهم والأخذِ عنهم ونحو ذلك.

ولعله من أسرار عدم تلوث الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، بشئ من البدع أنهم هضموا المنهج هضماً فكانوا يخافون من البدع الصغيرة فضلاً عن الكبيرة.

ولوضوح المنهج الصحيح لا يُعْلم في الصحابة من كان قدرياً ولا خارجياً، ولا ...إلخ على الرُّغم أن هذه البدع حدثت، وبدأت تنمو في زمانهم لذلك قال **ابن عَبَّاس** لما ناظر الخوارج قال للصحابة: "وليس فيهم منكم أحد".

والعجب أنك ترى الرجلَ اليوم عقيدته صحيحة في توحيد العبادة، وفي الأسماء والصفات، ولكنك تجده منحرفاً في المنهج يتقلب في الجماعات المختلفة، والحزبية المقيتة، أو العصبية المذهبية ونحو ذا، ويرجع هذا والله أعلم إلى عدم تأصيل المنهج عنده، ودراسة كتب الاتباع، والنهي عن الابتداع، لأن هذه الكتب تجعل المسلم على حرص كبير واهتمام عظيم بالاتباع، وعلى حذر كبير من الابتداع، والانحراف.

٣- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع.

فإن أعظم ما يلزم العبد الاستقامة أن يكون آمراً بها غيره.

٤- الدعاء.

ومن دعائه ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**». (رواه مسلم/٢٧٢١) فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه.

٥- الإخلاص والتجرد في معرفة الحق، وقصد الاتباع.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف/ ١٣). ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت/ ٦٩)، وعن **عبدالله بن مسعود** قال: "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرَت قالوا: غُيِّرَت السنة: قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟. قال: إذا كثرت قرّاؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة"، وفي رواية: " **وتُفُقِّه لغير الدين**". [صحيح: رواه الدارمي (ح١٨٦، ١٨٥)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٥٩)].

الحذر الحذر يا طلاب العلم من السعي وراء الشهرة، والشهادات، والمال،وليكن قصدك الله تعالى والدار الآخرة، فقد كانت الأمة في مقدمة الأمم لما كانت تبتغي بأعمالها الدينية بل والدنيوية الدار الآخرة، وتأخذها مطية إلى الآخرة.

٦- الاستعانة بالله تعالى وحسن التوكل عليه:

أمر الله تعالى بالتوكل عليه: فقال لرسوله: ﴿**قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا**﴾(الملك/ ٢٩)، وقال لرسوله: ﴿**فتوكل على الله إنك على الحق المبين**﴾ (النمل/ ٧٩) وقال له: ﴿**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**﴾(النساء/ ٨١)، وقال له: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده**﴾(الفرقان/ ٥٨). قال تعالى: ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾.

المتوكل على الله تعالى ينال محبة الله لقوله: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾.

الدعاء بالتوكل والتبرئ من الحول والقوة إلا بالله: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْك تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أَعُوذُ بعزَّتِكَ؛ لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ أنْ تُضلَّني، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لاَ تَمُوتُ، وَالجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً، قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبرَاهيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْماناً وَقَالُوا: حَسْبُنَا الله ونعْمَ الوَكيلُ . رواه البخاري.

حسن التوكل يستجلب كفاية الله ونصرته ورزقه للعبد، قال تعالى: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾.

فيحصل العبد بحسن توكله على ربه على ما لم يكن يخطر بباله، ولا دار بخياله من أنواع الفتح والإعانة والتوفيق والسداد، عن عُمَر رضي الله عنه، قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول:

«**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً**».

معناه: تَذْهبُ أَوَّلَ النَّهَارِ **خِمَاصاً**: أي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ **بِطَاناً** أَي: مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ.

قال **ابن تيمية** رحمه الله: "فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه إلى أربعة أقسام :

قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لآلهية الرب سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان **لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور**.

ولهذا قال بعض السلف: **من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**.... إلى أن قال رحمه الله: "والقسم الرابع: هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، وقوله: ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ فاستعانوا به على طاعته، وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يُعبدَ إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله، وأنه ربهم الذي ﴿ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع﴾، وانه ﴿**ما يفتحِ اللهُ للناس من رحمةٍ فلا ممسكَ لها وما يمسكُ فلا مرسلَ له من بعده**﴾، ﴿**وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله**﴾. (التحفة العراقية/)

فهذا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي كان يسبق الخيل، إنما ذلك بحسن توكله واستعانته بربه، كما قال: "فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئا". متفق عليه.

ثم إن أصحاب النبي ﷺ نالوا ما نالوا وحققوا ما حققوا من انتصارات وفتوح في مدة يسيرة الفتوح الكثيرة، وملكهم الأرض واستخلفهم ومكنهم فيها بفضل إخلاصهم، وصدق عزائمهم، وحسن توكلهم وإستعانتهم بالله عز وجل، وعدم تقصيرهم في واجبات أخرى.

قاموا بهذا كله، فيما لو قام به غيرهم في دهور وأزمان لما استطاع أن يحقق عُشر معشارهم.

زيد يتعلم السريانية في خمس عشرة يوماً

ابن جرير وما حسب له من كتاباته بيده

شيخ الإسلام ابن تيمية

شيخ الإسلام الألباني

شيخ الإسلام ابن باز

كلمة ابن القيم في "الاستعانة بالله تعالى"

٧- الحرص على اتباع وفهم السلف خير القرون:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ (الحجرات/٧).

قال **الإمام ابن القيم**: "والصحابة هم الراشدون المهتدون، التي تمت هدايتهم ورشدهم، وكمال رشدهم يتضمن تمام الهداية في القول والفعل، ومعرفة الخطأ والصواب، والحق والباطل، وهذا يقتضي أنهم أولى بالهداية إلى الحق من غيرهم، ومن كان راشداً مهتدياً

كان قوله وفتياه أقرب إلى الحق والصواب ممن لم يكن كذلك، وهذا يقتضي اتباعه، وتقديم قولِهِ وفهمِهِ لكمال هدايته، فاقتضت الآية تقديم أقوالهم وفتاويهم، والله أعلم". [أعلام الموقعين (١٢٠/٤)]

وسبق أن ذكرنا حديث النبي ﷺ: «**فعليكم بما عرَفْتُم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**».

قال **الإمام البغوي** –رحمه الله– معلقاً على هذا الحديث: "أمر بلزوم سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، والتمسك بها بأبلغ وجوه الجِدِّ، ومجانبة ما أُحدِثَ على خلافها". [شرح السنة للبغوي (٢٠٦/١)]، وقوله ﷺ في وصف الفرقة الناجية: «**هي ما أنا عليه وأصحابي**». [**حسن أو صحيح لغيره**: ينظر تخريجي لكتاب "لشريعة" للآجري (ح١٦ ط-جديدة)].

وعن **ابن مسعود** قال: "إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه". [**صحيح**: ينظر تخريجي له في "الشريعة" (١٢٠٤)].

قال ابن مسعود –رضي الله عنه– "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم **واتَّبِعُوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم**"(٢٤٢).

وعن **عمر بن عبد العزيز** أنه أوصى بعض عماله: "أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدَثَ المُحْدِثُون بعده ...فعليك بلزوم السنة فإنه لك

---

(٢٤٢) **لا بأس به:**

أخرجه ابن عبد البر في كتاب "جامع بيان العلم" (١٨١٠).

بإذن الله عصمة، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، **فإن السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ كَفُّوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا"**. [**صحيح**: (صحيح سنن أبي داود/٤٦١٢)، وانظر تخريج "الشريعة" (٥٧٠)]، وقال **عمر بن عبد العزيز** أيضاً: "سنَّ رسولُ اللهِ ﷺ وولاة الأمر من بعده سناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله [ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا في شئ خالفها]، من اهتدى بها مهتدي ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها، اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاَّه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً". [**صحيح لغيره**: رواه الآجري (برقم٩٢)].

وقال **مالك** –رحمه الله–: "لم يكن شئ من هذه الأهواء على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان". [**حسن الإسناد**: رواه الهروي في "ذم الكلام" (ح٨٦٥)]

وقال **ابن أبي حاتم**: "أما أصحابُ رسولِ الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحيَّ والتنْزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهمُ اللهُ –عز وجل– لصحبةِ نبيهِ ﷺ ونصرتِهِ وإقامةِ دينِهِ، فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا قدوةً فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغَهُم عن الله –عز وجل– وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينةِ رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب، واستنباطهم منه، فشرفهم الله –عز وجل– نفى عنهم الشكَّ والكذبَ والغلط وسماهم عدول الأمة فقال –عز وجل– في محكم كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، (البقرة/١٤٣)، ففسر النبي ﷺ عن الله –عز ذكره– قوله: وسطاً، قال: عدلاً فكان عدول الأمة وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة وندب الله عز وجل إلى التمسك

بهديهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال:﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾". [مقدمة الجرح والتعديل (١/٧)].

وقال **شارح الطحاوية**: "والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتِّباعُهُم هُدًى وخلافهم ضلال". [شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٣٠)].

٨- ملازمة أهل الاتَّباع الذين هم أهله والأخذ عنهم.

ثم الذين اتبعوهم بإحسان من أهل العلم في كل زمان ومكان هم أهل الاتباع، قال عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(التوبة/١٠٠)، وقد سبق أن ذكرنا أهل الاتباع.

فالزمهم أخي المسلم وكن على معرفة بسبيلهم ومنهاجهم فقد قال **ابن شوذب**: "من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها، لأن الأعجمي يأخذ فيه ما سبق". [الإبانة (٢/٤٧٦)].

٩- محبة علماء السنة وأئمتها والانتفاع بعلمهم.

وليحرص المسلم المريد للخير على محبة أهل السنة، وعلمائها، وأن ينهل ويستفيد من كتب أئمة السلف وتعليقاتهم على النصوص، كمالك وأبي حنيفة وأحمد والشافعي، وكالآجري وابن بطة، والبغوي، وأبي القاسم الأصبهاني، والبربهاري، وأبي عثمان الصابوني، والطبري، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم كثير، ومشايخ العلم المعاصرين من أمثال الألباني وابن باز وابن عثيمين ونحوهم.

فإن هؤلاء هم أئمة السنة وأعلامِها، قال **قتيبة**: "لولا أحمد لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا". (السير١١/ ١٩٥).

وقال قتيبة أيضاً: "خير أهلِ زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب، يعني: أحمد بن حنبل، **وإذا رأيتَ رجلاً يحبُّ أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة**، ولو أدرك عصر الثوري، والأوزاعي، والليث، لكان هو المقدَّم عليهم.

فقيل لقتيبة: يُضَمُّ أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين". (السير١١/ ١٩٥).

قال **ابن أبي حاتم**: سألتُ أبي عن علي ابن المديني وأحمد بن حنبل، أيهما أحفظ؟ فقال: كانا متقاربين، وكان أحمد أفقه، **وإذا رأيتَ من يحبُّ أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة**". (السير١١/ ١٩٨).

قلت: وإذا رأيت رجلاً يحب المشايخ **الألباني، وابن باز، وابن عثيمين**، فاعلم أنه صاحب سنة، فإنهم أئمة الهدى في زماننا رحمة الله عليهم وأسكنهم فسيح جناته، وبارك في جهودهم، وآثارهم.

قال **أبو عثمان الصابوني**: "إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها، وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلّون أصحابَهم على دار البوار، **وقد زيَّن اللهُ سبحانه قلوبَ أهل السنة ونورّها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله**"[٢٤٣].

١٠- المنهجية الصحيحة في أخذ العلم:

أ- اختيار الشيخ الذي يتلقى منه العلم.

وسئل عمن نكتب في طريقنا، فقال: عليكم بهنَّاد، وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإياكم أن تكتبوا، عني: عن أحد من أهل الأهواء، قليلاً ولا كثيراً، **عليكم بأصحاب الآثار والسنن**". (السير١١/ ٢٣١).

---

(٢٤٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٠٧).

قال **موسى بن حزام الترمذي**: كنت أختلفُ إلى أبي سليمان الجوزجاني في كتب محمد (يعني ابن الحسن الشيباني) فاستقبلني **أحمد بن حنبل**، فقال: إلى أين؟، قلت: إلى ابي سليمان.

فقال: العجبُ منكم! تركتم إلى النبي ﷺ، يزيد عن حميد، عن أنس، وأقبلتم على ثلاثة إلى أبي حنيفة، رحمه الله، أو سليمان، عن محمد عن أبي يوسف عنه! قال: فانحدرتُ إلى يزيد بن هارون. (السير ١١/ ٢٣١).

وقال **البربهاري** أيضاً[٢٤٤]: "عليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس"[٢٤٥].

وقال **الصديق حسن خان** -رحمه الله-: "عليك يا باغي الخير، وطالب النجاة بلا ضير، أن تكون محدثاً، أو متطفلاً على المحدثين، وإلا فلا تكن ... فليس فيما سوى ذلك من عائدة تعود إليك"[٢٤٦].

قال **عبدة بن زياد الأصبهاني**:[٢٤٧] .

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى الآثارُ

لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهارُ

ولربما غلط الفتى سبل الهدى والشمس بازغة لها أنوار

وقال **هبة الله بن الحسن الشيرازي**:[٢٤٨]

---

(٢٤٤) شرح السنة (ص٢٠).

(٢٤٥) ومن أراد المزيد في هذه المسألة فليراجع كتاب "الاعتصام" للشاطبي -رحمه الله- فإنه كتاب جليل، عظيم النفع، كبير الفائدة، لم يصنَّف في بابه مثلُه. والتعليق على الطحاوية لشيخنا العلامة الألباني (ص٤٨).

(٢٤٦) صفة صلاة النبي ﷺ (ص١٧٦).

(٢٤٧) المصدر السابق (رقم١٦٣)

(٢٤٨) لوائح الأنوار السنية (٣٦٣/٢).

عليك بأصحاب الحديث فإنهم على منهج للدين ما زال معلماً

وما النور إلا في الحديث وأهله إذا ما دَجى الليلُ البهيمُ وأظلما

وأعلى البرايا مَن إلى السنن إعتزى وأغوى البرايا من إلى البدع انتما

ومَنْ تركَ الآثارَ قد ضل سعيه وهل يترك الآثار من كان مسلما

وقال المجد بن أحمد الأربلي:

إذا شئت أن تتوخى الهدى وأن تأتي الحق من بابه

فدع كلَّ قول ومن قاله لقول النبي وأصحابه

فلم ينج من محدثات الأمور بغير الحديث وأصحابه

وقال ابن رجب: "وقد انقسم الناس في هذا الباب (يعني: العلم) قسمان:

"[٢٤٩].

وقال **الصنعاني** رحمه الله: "إنما يشترط أن يؤخذ العلم عمَّن يوثق بصدقه، ودينه وورعه، وشهرته بالعلم النافع من الكتاب والسنة، وألا يسأله عن مذهب فلان ولا فلان، وكيف وفي كتب الأصول نقل الإجماع على تحريم تقليد الأموات".

(إرشاد النقاد/ ص١٦٣).

ب- عدم الأخذ من أهل البدع.

قال تعالى: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾.

قال ابن تيمية: "".

فقد النبي ﷺ عن تلقي العلم إلا عن أهل السنة والهدى والتُّقى فقال:

---

(٢٤٩) إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم (ص١٤٣).

«**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»"[٢٥٠].

فنهى عن أخذه من الأصاغر ومجالستهم (وهم: أهل البدع، والأهواء، والآراء). قال ابن المبارك: "هم أصحاب البدع"، وقال **اللالكائي**: "معناه: أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ، وأصحابه والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير"[٢٥١].

وقال محمد بن سيرين: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٢٥٢].

وقال أيضاً: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالَكم، فيُنْظرُ إلى أهل السنة فيؤخذُ حديثُهم، وينظرُ إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[٢٥٣].

وقال **الثوري**: "من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، فقد خرج من عصمة الله تعالى"[٢٥٤].

وقال **علي بن حرب**: "من قدر أن يكتب الحديث إلا عن صاحب سنة فإنهم يكذبون كل صاحب هوى يكذب ولا يبالي"[٢٥٥].

وقال **حماد بن سلمة**: "حدثني شيخ لهم -يعني: الرافضة- تاب قال: "كُنّا إذا اجتمعنا واستحسنّا شيئاً جعلناه حديثاً"[٢٥٦].

---

(٢٥٠) **صحيح**: رواه ابن المبارك (ح٦١)، واللالكائي (١٠٢)، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/١٣٧-ح١٥٩، ١٦٠)، وهو في "الصحيحة"(٦٩٥).

(٢٥١) اللالكائي في "شرح أصول السنة" (١/٨٥).

(٢٥٢) رواه مسلم في "مقدمة صحيحه" (١/١٢٦-ط قرطبة).

(٢٥٣) المصدر السابق.

(٢٥٤) : رواه الخطيب في "الكفاية" (١/١٢٣).

(٢٥٥)**صحيح**: رواه أبو نعيم (٧/٢٦، ٣٣)، وابن بطة في "الإبانة" (٢/٤٦١-ح٤٤٤).

(٢٥٦) **صحيح**: رواه الخطيب في"الكفاية" (١/١٢٣)، و في "الجامع" (١/١٣٨).

وقال **القاضي عبد الله بن لهيعة**: "عن شيخ من الخوارج أنه سمعه يقول بعدما تاب: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً!"(٢٥٧).

وقال الخطيب البغدادي: "وإذا كان الراوي من أهل الأهواء والمذاهب التي تخالف الحق لم يُسمَع منه، وإن عُرِفَ بالطلب والحفظ"(٢٥٨).

فلا يؤخذ عن الأصاغر، (أهل البدع)، ولا يؤخذ من الصحفيين، ولا المثقفين ولا الحركيين ولا المفكرين، ولا يؤخذ من فاسق ولا منافق وإن كان فصيحاً، عليمَ اللسان، متفيهقاً، حافظاً للكلام أهل العلم، بل حافظاً للنصوص. «**كل منافق عليم اللسان**»، وفي الحديث: «**غير الدخال أخوفني عليكم من الدجال: الأئمة المضلون**».

وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(الأعراف/ ١٦٩).

ولو كان من أحفظ الناس للنصوص.

فإن الناس لم يعودوا يميزون بين الصحيح والسقيم، والغث من السمين، ولكنهم يُعجبون بكل غريب، أو طرفة، أو قصة، أو كل مؤثر من الحديث والكلام، ولو كان من أضعف الحديث وأوهاه، وأبعده من الصواب وأرداه.

---

(٢٥٧) **صحيح**: رواه الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/١٣٦-ح١٦١)، و"الكفاية" (١/١٢٦،١٢٣)، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عنه، وروايته عنه مستقيمة لأنها من قديم حديثه عنه، على أنه باشر القصة بنفسه فلا يضره ضعف الحفظ.

وأبو نعيم في "الحلية" (٩/٣٩)، وقد رواه الحافظ ابن حجر في "مقدمة اللسان"، من طريق ابن مهدي عنه وصححه لأنه من قديم حديث ابن لهيعة (١/١٠).

(٢٥٨) الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/١٣٦).

وقال **سفيان الثوري**: "عليكم من الحديث بما عُرِفَ، وتواطأت عليه الألسن، وإياكم وهذه الأحاديث: يعني: الشواذ"(٢٥٩).

كثرة الكلام لا يدل على كثرة العلم:

فعن أشهب بن عبد العزيز قال: سمعت **مالك بن أنس** يقول: "ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يجعله الله تعالى في القلب"(٢٦٠).

وعن ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله ﷺ، فقاما فتكلما ثم قعدا.

وقام ثابت بن قيس؛ خطيب رسول الله ﷺ فتكلم، فعجب الناس من كلامهما، فقام رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «**يا أيها الناس! قولوا قولكم، فإنما تشقيق الكلام**(تزيينه والمبالغة فيه، والإكثار منه) **من الشيطان**». (صحيح الأدب المفرد/ ٦٧٥)

عن أنس قال: خطب رجل عند **عمر**، فأكثر الكلام، فقال عمر: "إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان". (صحيح الأدب المفرد/ ٦٧٦).

عن أبي يزيد – أو : معن بن يزيد– أن النبي ﷺ قال: «**اجتمعوا في مساجدكم، وكلما اجتمع قوم فليؤذنوني**». فأتانا أول من أتى، فجلس، فتكلم متكلِّم منّا، ثم قال: إن الحمد لله الذي ليس للحمد دونه مقصد ولا وراءه منفذ، فغضب فقام، فتلاومنا بيننا، فقلنا: أتانا أول من أتى، فذهب إلى مسجد آخر فجلس فيه ..» (صحيح الأدب المفرد/ ٦٧٧).

وعن **مجاهد**: «أن رسول الله قال إن الله لم يبعث نبيا إلا مبلغاً وإن تشقيق الكلام أو الخطب من الشيطان». رواه عبدالرزاق ()، والهروي في (ذم الكلام وأهله١/ ١١٤ –رقم٩٩).

---

(٢٥٩) ؟ : ذم الكلام (ح٨٩٦).

(٢٦٠) **صحيح**: الضعفاء للعقيلي (١/ ١٠٠)، ورواه الرامهرمزي في "المحدث الفاصل" (رقم٧٥٥) من طريق أخرى عنه، وبنحوه عند أبي نعيم في "الحلية" (٦/ ٣١٩)

يقول **ابن رجب** رحمه الله تعالى: **قد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض،** وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم، كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد ابن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام. ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال

فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين انه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، .... فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً.

فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم، وهذا انتقاص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبة لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولقد صدق **ابن مسعود:**

"إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وسيأتى بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه".

فمن كثر علمه وقوله فهو ممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه، وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بألسنتم عن القدر المحتاج إليه من ذلك وهذا هو الفقه والعلم النافع. (فضل علم السلف على علم الخلف- ص٥٣-٥٨).

لا يغتر المسلم بتخشع بعض الناس وزهدهم:

فإن هؤلاء يأتون بالغرائب، ويقصون على الناس القصص، كما هي عادة أكثر القُصَّاص اليوم، ولقد فتن كثير من الناس بأمثال هؤلاء وبهذا التماوت، والتخشع.

فعن ابن عون قال: سمعتُ **رجاء بن حيوةَ** يقول: "حَدِّثنا يا أبا قلابة ولا تحدِّثنا عن متماوت ولا طَعَّان"[٢٦١].

وهذا عمرو بن عبيد كان من أعبد الناس وأزهدهم ولكنه كان معتزلياً خبيثاً كان السلف ينهون عن الجلوس إليه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن الخوارج بأن الناس يحقرون صلاتهم من صلاتهم.

جـ- اختيار الكتب المناسبة التي يدرسها طالب العلم.

قال **أبو عمر ابن عبدالبر**: "طلب العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعدِّيها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدا ضل، ومن تعداه مجتهدا زل.

فأول العلم: حفظ كتاب الله جل وعز وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً ليس من باب الفرض".

---

(٢٦١) الضعفاء للعقيلي (١٢/١).

قال **أبو عمر**: القرآن أصل العلم فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمهم من لسان العرب كان له ذلك عونا كبيرًا على مراده منه، ومن سنن رسول الله ﷺ، ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك، وهو أمر قريب على من قربه الله عليه،

ثم ينظر في **السنن المأثورة الثابتة** عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله – جل وعز – في كتابه، وهو تفتح له أحكام القرآن فتحاً.

ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها واستعارتها ومجازها وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يستغنى عنه.

ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن نبيهم ﷺ، ويعني بسيرهم وفضائلهم، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم حتى يقف على العدول منهم من غير العدول، وهو أمر قريب كله على من اجتهد....

ومن طلب الإمامة في الدين وأحب أن يسلك سبيل الذين جاز لهم الفتيا نظر في أقاويل الصحابة والتابعين والأئمة في الفقيه إن قدر على ذلك، نأمره بذلك كما أمرناه بالنظر في أقاويلهم في تفسير القرآن[٢٦٢]..

---

(٢٦٢) وإن أحب الإشراف على مذاهب الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم بالحجاز والعراق وأحب الوقوف على ما أخذوا وتركوا من السنن، وما اختلفوا في تثبيته وتأويله من الكتاب والسنة كان ذلك له مباحا ووجها محمودا إن فهم وضبط ما علم أو سلم من التخليط نال درجة رفيعة، ووصل إلى جسيم من العلم واتسع ونبل إذا فهم ما اطلع، وبهذا يحصل الرسوخ لمن فقهه الله وصبر على هذا الشأن واستحلى مرارته واحتمل ضيق المعيشة فيه.

واعلم –رحمك الله– أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حاد أهله عن طريق سلفهم وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم: فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه قد رضيت بالدؤوب في جمع ما لا تفهم، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم، فجمعوا الغث والثمين، والصحيح والسقيم، والحق والكذب في كتاب واحد، وربما في ورقة واحدة، ويدينون بالشيء وضده، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم، قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن

التدبر والاعتبار، فألسنتهم تروي العلم وقلوبهم قد خلت من الفهم. غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب، أو الحديث المنكر، وتجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحدا جهله من علم صلاته وحجه وصيامه وزكاته.

وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها ولا بأصل من القرآن ولا اعتنوا بكتاب الله -جل وعز- فحفظوا تنزيله، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله، ولا وقفوا على أحكامه، ولا تفقهوا في حلاله وحرامه، قد اطرحوا علم السنن والآثار وزهدوا فيها، وأضربوا عنها فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف، ولا فرقوا بين التنازع والائتلاف، بل عوَّلوا على حفظ ما دون لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان، وكان الأئمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه، ويودون أن حظهم السلامة منه.

ومن حجة هذه الطائفة فيما عوَّلوا عليه من ذلك أنهم يقصِّرون وينزلون عن مراتب من له القول في الدين لجهلهم بأصوله، وأنهم مع الحاجة إليهم لا يستغنون عن أجوبة الناس في مسائلهم وأحكامهم، فلذلك اعتمدوا على ما قد كفاهم الجواب فيه غيرهم وهم مع ذلك لا ينفكون من ورود النوازل عليهم فيما لم يتقدمهم فيه إلى الجواب غيرهم، فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل، ويفرضون الأحكام فيها، ويستدلون منها ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدل الأئمة وعلماء الأمة، فجعلوا ما يحتاج أن يستدل عليه دليلاً على غيره، **ولو علموا أصول الدين وطرق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه**.

فهم يفرطون في انتقاص الطائفة الأولى وتجهيلها وعيبها، وتلك تعيب هذه بضروب من العيب، وكلهم يتجاوز الحد في الذم، وعند كل واحد من الطائفتين خير كثير وعلم كبير، أما أولئك فكالخزان الصيدلانيين، وهؤلاء في جهل معاني ما حملوه مثلهم إلا أنهم كالمعالجين بأيديهم لعلل لا يقفون على حقيقة الداء المولد لها، ولا على حقيقة طبيعة الدواء المعالج به، فأولئك أقرب إلى السلامة في العاجل والآجل، وهؤلاء أكثر فائدة في العاجل وأكبر غرورا في الآجل، وإلى الله نفزع في التوفيق لما يقرب من رضاه ويوجب السلامة من سخطه، فإنما يُنال ذلك برحمته وفضله.

واعلم يا أخي أن المفرد في حفظ المولدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير من السنن إذا لم يكن تقدم علمه بها وإن المفرد في حفظ طرق الآثار دون الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها لصفرٌ من العلم وكلاهما قانع بالشم من المطعم، ومن الله التوفيق والحرمان وهو حسبي وبه أعتصم.

واعلم يا أخي أن الفروع لا حد لها تنتهي إليه أبدا، ولذلك تشعبت، فمن رام أن يحيط بآراء الرجال فقد رام ما لا سبيل له ولا لغيره إليه؛ لأنه لا يزال يرد عليه ما لا يسمع، ولعله أن ينسى أول ذلك بآخره لكثرته، فيحتاج أن يرجع إلى الاستنباط الذي كان يفزغ منه ويجبن عنه تورعا بزعمه أن غيره كان أدري بطريق الاستنباط منه، فلذلك عول على حفظ قوله.

ثم إن الأيام تضطره إلى الاستنباط مع جهله بالأصول فجعل الرأي أصلا واستنبط عليه.

(ص).

﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال أبوعبدالله: يعلم الناس صغار العلم قبل كباره، قال الحافظ: يعني ما وضح من مسائل العلم، قبل ما دق منها،

ولتفصيل القول في هذا الباب موضع آخر إن شاء الله.

الخلاصة

حاولت في هذا البحث المختصر جداً أن أبين حقيقة الاتباع وثماره، وأن توحيد المرسَل بالاتباع ركن في الدين، وهذا النوع من التوحيد غفل عنه الكثير من الناس، بل غفلوا عن أهميته، وقصَّروا في الأخذ به تقصيراً عظيماً.

كما بينت ما تيسر من ثماره النافعة في الدنيا والآخرة، وأن جميع أعمالنا منوطة بالاتباع، وأنها لا تُقْبَل بدونه، كما أن الإعراض عنه ولو في يسير مؤذن بإحباط العمل، وقد يكون سبباً في زيغ القلوب، والموت على الشرك والكفر.

كما أشرتُ إلى منْزلة السنة ومكانتها، ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وكيف أن السلف رحمهم الله عظَّموا النبيَّ ﷺ وسنته في حياته وبعد مماته، وسارعوا واستجابوا وتسابقوا في العمل بالسنة، والاتباع لها، وعظموها تعظيماً، وأنهم ثبتوا عليها حتى الموت، وأنهم كانوا يطلبون الحجة والدليل على كل ما يفعلون أو يذرون.

كما أوضحتُ أهم صفات أهل الاتباع الذين هم أهله حقاً وصدقاً، كي نلازمهم، ونكون معهم ونفيد منهم.

هذا وقد ذكرت العوائق التي صدَّت الناسَ عن الاتباع، مثل الرأي وذم أهله والتقليد، وذكرت الأدلة على تحريمه ونقلت بعض الأقوال في ذلك لا سيما أقوال أئمة الدعوة النجدية، وأوضحتُ أن التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة.

ومما ذكرتُ من الأمور التي تصد عن الاتباع الكلام وذمه، والفلسفة والمنطق، كما عرَّجتُ على الكتب التي عاقت دون الاتِّباع مثل كتب الرأي، والكتب الفكرية والحركية والثقافية، وكذا كتب أهل السلوك والتصوف، والخطرات والوساوس ونحوها وبينت بدعيتها وذم السلف لها.

كما بينتُ أيضاً أموراً أخرى صدت الناس مثل: البدع والشبهات، والهوى والشهوات، وحب الدنيا، ومما يصد أيضاً شياطين الجن والإنس،والصحبة السيئة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، والجهل، والجدل وحب الظهور، والغلو والتعمق.

وكذا ذكرتُ أشهر القواعد التي وضعها بعضهم وهي تخدش في توحيد الاتباع، وتصد عن السنة مثل قول بعضهم: "هذا الحديث العمل على خلافه"، ومنه: "تقديم القياس على النص"، ومنه: "تقديم عمل أهل المدينة على النص"، ومنه: "اتباع الجمهور والأكثر ولو كان على خلاف النص"، ومنه: "القول بعدم شمولية النصوص لأبواب الشرع"، ومنه: "التلفيق وتتبع رخص العلماء".

وأخيراً ذكرتُ الأسباب المعينة على الاتباع من الإخلاص والحرص على اتباع النبي ﷺ، ودراسة كتب السنة والحديث، ولزوم منهج وفهم السلف خير القرون، وملازمة أهل الاتباع. عسى الله أن يردَّنا جميعاً إلى الكتاب والسنة، وطريق السلف الصالح، وأن يؤلِّف بين قلوبنا، وأن يجمع شملنا، فنعز كما عز الأولون.

فعلى المسلمين أن ينهضوا بكل ما أُتوا من قوة بحمل هذه الأمانة العظيمة، وهي السنة المباركة، فيقومون بتحقيقها وتصفيتها مما دخلها، وحفظها والتفقه فيها، وأن يهبوا في نصرتها والعمل بها، والاتباع لها، والدفاع عنها، ونشرها وإذاعتها بين الناس بجميع الوسائل المسموعة والمرئية، والمكتوبة والمقروءة.

فإن من تمام النصح للنبي ﷺ هو الإيمان به وتصديقه وطاعته ومؤازرته ونصرته وحمايته حيًا وميتًا، وإحياء سنته، والتخلق بأخلاقه، ومحبته، وموالاته، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وإبلاغ رسالته، والدعوة إليها ونشرها والذب عنها، وإقامة شريعته.

"فنسأل اللهَ العظيم أن يجعلنا من المتبعين له (ﷺ) المؤمنين به، وأن يحيينا على سنته ويتوفانا عليها، لا يفرِّق بيننا وبينها، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين". [مجموع الفتاوى (١٠٤/١٩)] والله ولي التوفيق لا شريك له ولا رب سواه.

التوصيات المقترحة

١- الحث على الاتباع ونشره وطبع البحوث المتعلقة بذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٢- تكرار وبصفة دورية مثل هذه المؤتمرات التي يكون فيها تلاقح الأفكار -إن صح التعبير- وتبادل الخبرات، والتشاور في مثل هذه الأمور المهمة.

٣- العمل على تحقيق كتب السنة، وتنقيحها، وتصفية الصحيح منها من الضعيف.

٤- نشر كتب السنة الصحيحة والأثر، والعمل على إحيائها، والحث والعمل على شيوعها وانتشارها.

٥- العمل الدؤوب على قراءة وتدريس ما صح من الحديث والأثر، بشكل جامع شامل، على جميع المستويات سواء الدراسات النظامية، أو في المساجد والجمعيات ونحوها من دور التعليم.

٦- إقامة دورات مكثفة في تدريس الكتب النافعة العظيمة، وإحياء منهج أهل الحديث في إتمام وختم الكتب الستة ونحوها مع شئ من الشرح للغريب وبيان ما غمض منها، وربطها بواقع الناس وما يحتاجونه منها.

٧- إنشاء لجان تخصصية تمد الباحثين، ودور التخصص في العلوم المختلفة كالعقيدة والتفسير والفقه بالنصوص الصحيحة من السنة النبوية، والآثار السلفية.

٨- إيجاد صلات قوية بين أهل العلم والاتباع والتواصل مع ذوي الكفاءات من هذه الأمة من أهل الاتباع والسنة والاستفادة من تخصصاتهم، والحث على الانتفاع بهم وبقدراتهم، وتعريف الناس بهم حتى يتم ويعظم النفع.

٩- تنقية كتب الفقه والتفسير من الآراء المخالفة للسنة الصحيحة، والأقوال الرجيحة، وتنقيتها من الضعيف من الحديث والإسرائيليات.

١٠- التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والبدع والترهيب منها ومن أهلها، والنهي عن كل ما يصد عن الاتباع.

١١- قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، بعمل جليل وهو إنشاء: "مجمع الملك فهد للمصحف الشريف"، ووددت لو قامت المملكة السعودية -وفقها الله- بنحو من هذا العمل خدمة للسنة المطهرة ، ومن أولى بذلك منها فإنها حامية حمى التوحيد والسنة، كما أُفَضِّل أن يقام هذا "المجمع" الذي هو لخدمة السنة النبوية في مدينة رسول الله على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، ولعل هذه الجمعية (جمعية السنة) تكون نواة لذاك المشروع العظيم، فيوكل إليها الإعداد له والله ولي التوفيق.

وأخيراً: أشكر كل من ساهم وحث وعمل على إعداد مثل هذا المؤتمر المبارك، فما أحوج الأمة إلى مثله، بل والمئات من مثله، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وجعل ذلك وغيره في موازينكم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المحتويات

المقدمة ٢

خطة البحث: ٤

الفصل الأول ٥

عِظم شأن الاتِّباع ٥

المبحث الأول: توحيد اتِّباع النَّبي ﷺ ٥

المبحث الثاني: مكانة السنة ومنزلتها وكيف انتفع السلفُ بها، وتعاملوا معها ٩

مَنْزلة السنة في الإسلام: ٩

تسليم السلف لنصوص الكتاب والسنة: ١٢

سرعة الاستجابة لله ورسوله: ١٥

عدم التقدم بين يدي الكتاب والسنة بقول أو فعل: ١٦

تعظيم السلف للنَّبيِّ ﷺ وسنته والانتصار لها: ١٨

تنبيه مهم يتعلق بالغلو في التعظيم: ٢٤

الاقتداء بالسنة والثبات عليها حتى الممات: ٢٩

الصدع بالسنة ولو خالف فيها من خالف: ٣١

طلب الحجة والبرهان الثابت الصحيح: ٣٤

ما من عالم إلا وتغيب عنه سنة عن رسول الله ﷺ: ٣٩

رجوع السلف عن قولهم إلى الحجة والدليل الأرجح: ٤٠

هل يجوز لمسلم أن يخرج عن مذهبه الذي تعلمه؟ ٤٣

التأدب مع السنة، ولا تُضْربُ لها الأمثالُ: ٥٣

هل كل أفعال النبي ﷺ على الاقتداء: ٥٥

المبحث الثالث: أهل الحديث والسنة هم أهل الاتباع حقاً ٦١

الفصل الثاني ٦٨

الأمر بالاتباع وثماره اليانعة، وما يترتب على التهاون به ٦٨

المبحث الأول: أهمية وثمار الاتباع ٦٨

١- المتبع يعيش حياة سعيدة هنيئة طيبة: ٦٨

٢- طاعة الله ورسوله من أسباب رحمة العبد في الدنيا والآخرة: ٦٩

٣- طاعة الله ورسوله سبب من أسباب الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة: ٦٩

٤- الاتباع للسنة سبب عظيم يستجلب به العبد محبة الله تعالى ومغفرته: ٦٩

٥- الاتباع سبب للثبات على الحق والهدى: ٧٠

٦- طاعة الرسول من طاعة الله عز وجل: ٧٠

٧- أن السمع والطاعة لله ورسوله علامة الإيمان، ومن صفات المؤمنين: ٧٠

٨- أن من أطاع الرسول ﷺ فهو ممن أخرجه الله من الظلمات إلى النور: ٧١

٩- أن الهدى والاستقامة في الاتباع وطاعة الله ورسوله: ٧١

١٠- أن الاتباع ينجي من الضلال والانحراف والبدعة: ٧١

١١- كفاية الله تعالى ونصرته لأهل الاتِّباع: ٧٢

١٢- بركة الاتباع والطاعة والتسليم: ٧٢

١٣- الاتباع لرسول الله ﷺ ينجي العبد من عذاب القبر: ٧٣

١٤- من أطاع الله ورسوله استحق الجنة والنعيم المقيم: ٧٤

١٥- دخول المتَّبع في ولاية الأنبياء: ٧٤

١٦- الاتباع يلحق العبد بالأنبياء والصالحين، ويدرك معيتهم في الآخرة: ٧٤

١٧- رسول الله ﷺ نِعْمَ الأسوة والقدوة: ٧٥

١٨- الاتباع ينجي من الاختلاف والفرقة، ويجمع الله به القلوب: ٧٦

١٩- أن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا باتباع السنة: ٧٦

٢٠- عظم أجر المتبع والمتمسك وقت الفتن وغربة الدين: ٧٧

٢١- أن في اتباع السنة والعمل بها إحياء لها وسعي في نشرها. ٧٧
٢٢- أن في سنته ﷺ تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها. ٧٧
المبحث الثاني ٧٨
الآثار السيئة لترك الاتباع وأنه نذير شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة ٧٨
ب- ترك الاتباع قد يؤدي إلى الشرك والكفر. ٧٩
جـ- عدم الاتباع والتسليم يؤدي إلى العاهات في الجسد: ٨١
د- ترك الاتباع يكون سبباً في قطع الخير عن العبد: ٨٤
هـ- ترك الاتباع يلحق السوء بالعبد في أهله أو نفسه: ٨٤
و- ترك الاتباع يؤدي إلى هلاك وموت العبد: ٨٥
ز- أن ترك الاتباع ورفع كلام الناس فوق كلامه ﷺ مؤذن بإحباط العمل: ٨٥
ح- أن مخالفة الاتباع، والابتداع سبب لعدم ورود حوضه ﷺ: ٨٦
ط- أن مخالفته توجب النار والعذاب الأليم: ٨٦
الفصل الثالث ٨٧
عوائق في وجه الاتباع ٨٧
١- الرأي: ٨٨
هل تهجر كتب الفقه المصنَّفة في المذاهب؟ ٩٠
٢- التقليد: ٩١
أ- تقليد السادة والرؤساء: ٩١
ب- الآباء والأجداد والعادات: ٩١
جـ- تقليد المشايخ والعلماء: ٩١
نقل أقوال أئمة الدعوة في الاتِّباع وعدم التقليد: ١٠٢
مجمل مساوئ التقليد والتعصب المذهبي: ١٠٦
١- مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب، وتقديم الرأي المحض أحياناً عليها. ١٠٦

٢- حط بعضهم من الصحابة والسلف، انتصاراً وتعصباً لمذهبهم:.....١٠٦

٣- امتلآء كتبهم بالأحاديث الضعيفة بله الموضوعة، والاحتجاج بها، واستنباط الأحكام منها، مع إجماعهم على عدم جواز الأخذ بالضعيف في الأحكام. ١٠٧

٤- تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة والمتقدمين. ١٠٨

٥- الصد عن سبيل الله عز وجل، والحيلولة دون دخول الكفار في دين الله أفواجاً، وصدُّهم عن الدين، برؤيتهم لمهازل الكتب والأضحوكات التي شوهت جمال الإسلام. ١٠٩

٦- خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.....١١٠

٧- الانحباس في مذهب واحد، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى، وجهود رجالها و كتبهم تعصباً للمذهب.....١١٢

٨- نشر الخلاف والانقسام بين المسلمين، والتسبب في وقوع الفتن والكوارث بينهم. ١١٤

من آثار هذا التفرق: ١١٤

ا- عدم صلاة أصحاب المذاهب خلف بعضهم. ١١٤

ب- عدم التزاوج والتناكح بينهم: ١١٥

جـ- سب بعضهم بعضاً: ١١٥

د- سجن ونفي وقتل بعضهم بعضاً:.....١١٦

٩- شيوع التقليد والجمود، وإقفال باب الاجتهاد.....١١٧

١٠- الخوض في المسائل الخيالية، والانشغال بالافتراضات السخيفة. ١١٨

١١- فتح باب الحيل المحرمة للتخلص من التكاليف الشرعية.....١١٩

١٢- تدخل الظروف والمصالح السياسية، في انتشار بعض المذاهب وانحسار أخرى.....١٢٠

١٣- الأخذ بجزء من النص دون الجزء الآخر. ١٢٠

١٤- مخالفتهم في الفروع لما قرروه بأنفسهم في الأصول. ١٢٣

١٥- الوقوع في أخطاء اجتهادية فاحشة..... ١٢٣
١٦-التشدد في بعض المسائل، مما فيه عنت كبير على الناس..... ١٢٤
١٧- فساد طريقة التأليف، والتعقيد في الأسلوب، وكان من أسباب ذلك الصد عن العلم والتعلم..... ١٢٤
١٨- صد عن التعلم والتعليم..... ١٢٥
١٩- مخالفة المقلدين للمذاهب لما هو مذكور في كتبهم نفسها..... ١٢٥
٢٠- تحريفهم للنصوص تعصباً لمذاهبهم..... ١٢٥
٢١- إشاعة أكذوبة: أن الشريعة لا تفي بمتطلبات العصر، وأنها غير كافية ولا نافعة لهذا الزمان، بسبب إغلاق باب الاجتهاد..... ١٢٦
٢٢- إقصاء تحكيم الشريعة الإسلامية من معظم الدول الإسلامية..... ١٢٧
٢٣- أنه سبب من أسباب تسلط الكفار على المسلمين..... ١٢٨
٢٤- بغض الدليل والحجة والشغف بأقوال الرجال:..... ١٢٨
٣- الكلام والفلسفة والمنطق:..... ١٢٩
من أول من أنشأ المنطق؟..... ١٢٩
الرد على شبهة لأهل الكلام:..... ١٢٩
هل الناس بحاجة إلى تعلم المنطق؟!..... ١٣٠
فتوى في تعلم المنطق والفلسفة:..... ١٣٢
من مفاسد الكلام ومنطق اليونان:..... ١٣٢
تنكيل السلف بمن أقبل على الكلام:..... ١٣٣
٤- اتباع الكتب والعكوف عليها:..... ١٣٤
أ- كتب الرأي، أو (ما يسمى بكتب الفقه):..... ١٣٤
ب- الكتب الفكرية والحركية والثقافية:..... ١٤٢

جـ- كتب الرقائق والسلوك: ١٤٣
٥- البدع والشبهات: ١٤٤
٦- الهوى والشهوات: ١٤٦
٧- إيثار الدنيا وحبها، والسعي لأجل حطامها: ١٤٧
٨- الصحبة السيئة: ١٤٩
٩- شياطين الإنس والجن: ١٥٠
١٠- الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٥٠
١١- الجهل وأخذ العلم عن الجهلة: ١٥١
١٢- صد بعض المنسبين للعلم وطلبه عن علم الكتاب والسنة: ١٥٢
١٣- الجدل وحب الظهور وقلة الإخلاص: ١٥٤
١٤- الغلو والتعمق والتكلف: ١٥٥
١٥- الانشغال بالمسائل قبل وقوعها، وتشقيق المسائل: ١٥٥
نهي السلف عن السؤال عما لم يقع، وتشقيق المسائل: ١٥٧
مثال للتفريعات القبيحة وتشقيق المسائل وتوليدها: ١٥٨
تشقيق المسائل ليس من الفقه والعلم في شئ: ١٥٩
تنبيه: ١٦١
١٦- التأويل وهو التحريف للنصوص لموافقة الأهواء. ١٦٢
١٧- القواعد التي وضعها بعضهم وهي تخدش في توحيد الاتباع: ١٦٢
أ- لا يقال هذا الحديث العمل على خلافه: ١٦٢
ب- قول بعضهم: إنه لا يجب العمل بخبر الواحد لا سيما في الاعتقاد: ١٦٣
جـ- القياس إذا خالف النص: ١٦٣
د- عمل أهل المدينة إذا خالف النص: ١٦٥
هـ- قول بعضهم: (أن الأمر ليس على الوجوب). ١٦٥
و- قولهم: بأن الأوامر إذا كانت في الآداب فهي للاستحباب، وإذا كانت في النواهي فهي للكراهة!!. ١٦٧

ز- الحرص على اتِّباع الجمهور، والأكثرية ولو كانت على خلاف النص: ١٧٠
غربة السنة، وفضل الغرباء: ١٧٢
ح- قولهم بعدم شمولية النصوص لجميع أبواب الدين: ١٧٤
ط- التلفيق بين المذاهب، وتتبع رخص، وزلّات العلماء: ١٧٥
ي- تقسيم بعضهم الدينَ إلى قشور ولباب. ١٧٦
ك- قولهم بالتأصيل، ويعنون بذلك ألا تدرس الكتاب والسنة إلا بعد دراسة أصول الفقة وأصول الحديث ونحو ذلك. ١٧٧
الفصل الرابع ١٧٩
الأسباب المعينة على الاتباع ١٨٠
١- دراسة السنة، وكتب الحديث والتفقه فيها. ١٨٠
٢- قراءة كتب في حقيقة الاتباع، والنهي عن الابتداع. ٢٠٢
٣- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع. ٢٠٣
٤- الدعاء. ٢٠٣
٥- الإخلاص والتجرد في معرفة الحق، وقصد الاتباع. ٢٠٣
٦- الاستعانة بالله تعالى وحسن التوكل عليه: ٢٠٤
٧- الحرص على اتباع وفهم السلف خير القرون: ٢٠٦
٨- ملازمة أهل الاتِّباع الذين هم أهله والأخذ عنهم. ٢٠٩
٩- محبة علماء السنة وأئمتها والانتفاع بعلمهم. ٢٠٩
١٠- المنهجية الصحيحة في أخذ العلم: ٢١٠
أ- اختيار الشيخ الذي يتلقى منه العلم. ٢١٠
ب- عدم الأخذ من أهل البدع. ٢١٢
كثرة الكلام لا يدل على كثرة العلم: ٢١٥
لا يغتر المسلم بتخشع بعض الناس وزهدهم: ٢١٧
جـ- اختيار الكتب المناسبة التي يدرسها طالب العلم. ٢١٧
الخلاصة ٢٢٠

تم بفضل الله تعالى وحده لا شريك له

ابن رجب: وكل هؤلاء من العلماء الربانيين الخائفين لله فكلهم علماء بالله يخشونه ويخافونه وبعضم أوسع علما بأحكام الله وشرائع دينه من بعض ولم يكن تمييزهم عن الناس بكثرة قيل وقال ولا بحث ولا جدال وكذلك معاذ ابن جبل رضي الله عنه أعلم الناس بالحلال والحرام وهو الذي يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها بل قد سبق عنه كراهة الكلام فيما لا يقع وإنما كان عالما بالله وعالما بأصول دينه رضي الله عنه وقد قيل للإمام أحمد من نسأل بعدك قال عبدالوهاب الوراق قيل له إنه ليس له اتساع في العلم قال إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق

الأئمة الأربعة

قال **الشعبي**: "كل أمة علماؤهم شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم"(٢٦٣).

وقال أبو عثمان الصابوني: "إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها، وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار

(٢٦٣)

البوار، وقد زيَّن الله سبحانه قلوب أهلِ السنة ونوَّرها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله"(٢٦٤).

ويقول الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: "دين الإسلام حق بين باطلين، وهدى بين ضلالتين، .... فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك ، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم.

وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم.

وأما اتخاذهم أرباباً من دون الله، إذا قيل: قال الله، قال رسوله، قيل: هم أعلم منا!! فهذا طريق الضالين.

ومن أهم ما على العبد وأنفع ما يكون له معرفة قواعد الدين عند التفصيل فإن أكثر الناس يفهم القواعد، ويقر بها على الإجمال ويدعها عند التفصيل والله أعلم"(٢٦٥).

الإمام أبو حنيفة (رحمه الله)

هو النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي ، وُلد بالكوفة في سنة ثمانين على المشهور، وقيل في سنة سبعين من الهجرة النبوية الشريفة ، وذلك َفي حياة جماعة من الصحابة.نشأ بالكوفة ،ولم يجد في حال ترعرعه من يرشده إلى الأخذ عمن أدركه من الصحابة، فاشتغل بالبيع والشراء إلى أن قيَّض الله له الإمام الشَّعبي ، فأيقظه إلى النظر في العلم ومجالسة العلماء ،

(٢٦٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٠٧).

(٢٦٥) مجوعة الرسائل والمسائل النجدية (١/١١).

وله شيوخ كثيرون أشهرهم : حماد بن أبي سليمان .تفقَّه به جماعة من الكبار منهم : زفَر بن الهذَيل ، وأبو يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن ، وابنه حماد بن أبي حنيفة ، ونوح بن أبي مريم ، وأبو مطيع البلْخي ، وحسن بن زياد اللؤلؤي .

قال الذهبي ـ رحمَه الله ـ : (وروى عنه من المحدّثين والفقهاء عدَّة لا يُحصون)[٢].أخلاقه وورعه :

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ : (روى الحسين بن إسماعيل بن مجالد عن أبيه قال: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف ، فقال له الرشيد : صفْ لي أخلاق أبي حنيفة ؟ قال :كان والله شَديدُ الدَّب عن حرم الله ، مُجانباً لأهل الدنيا ، طَويل الصمت ، دائم التفكير ، لم يكن مهْذَاراً ولَا ثرثاراً ، إن سُئل عن مسألة كان عنده منها علم أجاب عنها ، وما علمت يا أمير المؤمنين إلا صائناً لنفسهَ ودينه ، مشتغلاً بنفسه عن الناس ، لا يذكر أحداً إلا بخير)[٣].قال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين .

قال الحسن بن صالح بن الحي : كان أبو حنيفة شديد الخوف لله ، هائباً للحرام أن يستحل .

قال يزيد بن هارون : ما رأيت أحلم من أبي حنيفة ، كان له فضل ودين وورع وحفظ لسان ، وإقبال على ما يعنيه .

وقال غيره : شتمه رجل وأطال بنحو : يا زنديق ، فقال له : غفر الله لك ، هو يعلم مني خلاف ما تقول .

شهادة الأئمة بفقه أبي حنيفة (رحمه الله) :

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة .

وعن الأعمش أنه سئل في مسألة فقال : إنما يُحسن هذه النعمان بن ثابت ، وكان إذا سئل عن الدقائق أرسلهم إلى أبي حنيفة .

وعن ابن المبارك : لولا أن الله أدركني بأبي حنيفة وسفيان لكنت بدعياً .

قال الشافعي لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : نعم رأيت رجلاً لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجَّته .

والحاصل : أنه كان ـ رحمه الله ـ من الأئمة الأجلاَّء البارزين في الفقه وسائر العلوم ، والورع والدين والزهد ، والتقوى والعبادة ، حتى صار نبراسا يهتدي به المهتدون ، وقداتفقوا على حصافة عقله ورأيه ، ودقة فكره ووعيه ، وخارق ذَكائه ، وقد أكثر العلماء الثناء عليه وفي فقهه ، ومن التأليف في مناقبه .

ويمتاز مذهبه بالأخذ بالرأي الصائب في الأكثر ، لقلة رواة الأحاديث الصحيحة في العراق .

وفاته :

توفي في سنة مائة وخمسين هجرية ، وقال كثيرون : كان موته في رجب ، وقيل: في شعبان ، والله أعلم .

وله من الآثار العلمية مسند صغير في الحديث ، والفقه الأكبر في العقائد [١].

الإمام مـــالـــك (رحمه الله)

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني .

ولادته :

ولد في سنة تسعين من الهجرة ، وقيل : في سنة خمس وتسعين .

شيوخه :

نشأ مالك بالمدينة المنورة في عصر الدولة الأموية ، وقد كثر العلماء بالمدينة ، وأخذ يستقي العلم من شيوخها ووجد كثرة عظيمة ينهل من معارفها .

نشأ في ذلك الوسط العلمي غلاماً حافظاً متقناً وبرًّا تقيًّا ، وأخذ العلم عن نحو مائة من الأجلاَّء .

ومن المشهورين البارزين الذين أخذ عنهم : نافع مولى ابن عمر ، ومحمد بن شهاب الزهري . رضي الله عنهما . وتلقى فقه الرأي على ربيعة بن عبد الرحمن الملقب بربيعة الرَّأْي .

ولم يكن الرأي الذي تلقاه قياساً محضاً من كل الوجوه ، بل كان أساسه التوفيق بين النصوص المختلفة ومصالح الناس .

وبعد أن اكتملت دراسة مالك للآثار والفتيا ، وشهد له سبعون شيخاً من أهل العلم أنه أهل لذلك اتخذ له مجلساً في المسجد النبوي للدرس والإفتاء ، وقصده الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، وأخذوا ينهلون من معارفه وعلومه ، وكان هو المرجع في الفتوى حتى قيل : لا يفْتى ومالكٌ في المدينة .

وقد كان مُتصّفاً بالوقار والسكينة ، والابتعاد عن فضول الكلام ، وعلى غاية من السَّمت الحسن ، والزهد والورع والتقوى والعبادة .

وكان لا يُلْقي الدرس إلا أن يكون متطهراً مُتجمّلاً ، وكان يمشي بالمدينة حافياً ، إجلالا لرسول الله ﷺ لا يركب حمارا ولا بغلا .

قيل : أنه كان في بعض الأيام جالساً على كرسي يلْقي الحديث فلدغته عقرب ست عشرة مرة ، فلم ينقطع عن التحدث حتى انتهى .

وكان يكره أن يُحَدّث على الطريق ، أو قائماً أو مستعجلاً ، ويقول : أن أتفهم ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ.

ثناء الأئمة على مالك في علمه :

قال عبد الرحمن بن مهدي . رحمه الله .: أئمة الحديث الذين يقتدى بهم أربعة : سفيان بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة .

قال الإمام الشافعي . رحمه الله . : إذا جاءك الأثر ن مال فَشُدَّ به ، وإذا ذُكر العلماء فمالك النَّجم .

قال الإمام أحمد بن حنبل . رحمه الله . : مال سيد من سادات أهل العلم ، وهو إمام في الحديث والفقه ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى مع عقل وأدب .

ويمتاز مذهبه بالأخذ بعمل أهل المدينة وبالمصالح المرسلة وبسدّ الذرائع ، ومناقب هذا الإمام الجليل أكثر من أن تحصرها الأقلام ، أو تحول حول استقصَائها الأفهام .

وفاته :

انتقل ـ رحمه الله ـ إلى جوار ربه سنة مائة وتسع وسبعين هجرية ، وله من الآثار العلمية الموطأ والمُدَوَّنَة ، وكان يقال قبل ظهور الصحيحين : أن أصح كتاب بعد كتاب الله هو المُوطَّأ .

الإمام الشَّافعي (رحمه الله)

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المُطَّلبي ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف المذكور .

مولده :

ولد ـ رحمه الله ـ بغزة من الشام ، وقيل : بعسقلان ، سنة مائة وخمسين للهجرة النبوية وأمه قيل : قرشية والصحيح أنها من الأزد .

نشأ مُحبًّا للعلم ، ذا ذكاء خارق وطموح إلى المجد عال ، وقد حفظ القرآن الكريم وهو في السنة السابعة من العمر ، ثم اتجه إلى حفظ أحاديَث رسول الله ﷺ، وكان مع حرصه على حفظ كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ متَّجها إلى اللغة العربية ، حتى خرج إلى البادية ولَزِم هذيلاً يتعلم من كلامها ويأخذ من طبعها .

وأقام في البادية مدة طويلة ،وظهر نبوغه في حفظ الشعر والأدب ما لا يسع لمنكر أن ينكره ، حتى أن الأصمعي ـ على جلالة قدره ـ قرأ عليه أشعار الهذليين .

شيوخه :

تلقى الشافعي الفقه والحديث على شيوخٍ قد تباعدت أماكنهم وتخالفت مناهجهم ، أخذ ن شيوخ مكة كمسلم بن خالد ، وسفيان بن عيينة ، وسعيد بن سالم .

كما أخذ عن شيوخ أهل المدينة ، كمالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد الأنصاري ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي .

ومن شيوخ اليمن : مطرف بن مازن ، وهاشم بن يوسف قاضي صنعاء ، وعمر بن أبي سلمة صاحب الأوزاعي .

ومن شيوخ العراقِ : وكيع بن الجراح ، وأبو أسامة حماد بن أسامة ، وتلَقَى عن محمد بن الحسن كتبه سماعا منه ، وروى أحاديث وتفقه فقه أهل العراق عليه .

وقد بلغ في الفقه والحديث منزلة عظيمة ، ودرجة عالية ، حتى أذن له بالفتيا مسلم بن خالد الزنجي .

وقد اجتمع له من الفقه والرواية ما لم يجتمع لغيره ، حيث اجتمع له فقه المكيين والمدنيين واليمنيين والعراقيين والمصريين ، اطلع على أقوالهم وآرائهم وأدلتهم ، وأخرج مذهبه الجديد ممحصا جامعا بين الفقه والحديث والدليل والتعليل .

ثناء الأئمة على علمه :

أجمع شيوخه وقرناؤه وتلاميذه الذين تلقوا العلم عنه ، أنه كان عَلَماً بين العلماء ، لا يُجارى ولا يبارى .

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي بعد أن قرأ رسالته في الأصول : هذا كلام مُفَهَّمٍ .

قال الإمام داود بن علي الظاهري : للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده ،وسخاوة نفسه ، ومعرفته بصحيح الحديث وسقيمه، وناسخه ومنسوخه ، وحفظ الكتاب والسُّنَّة ، وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : ما رأيت رجلاً أكمل من الشافعي .

قال الإمام أحمد بن حنبل : ما عرفتَ ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي .

وبالجملة ، فلقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو والأدب على إمامته وجلالته ، وأمانته وعدالته ، وزهده وورعه ونزاهة عرضه ، وعفَّة نفسه ، وحسن سيرته وعلو قدره ، وسخائه ورجاحة عقله ، وكفاه فضلاً وفخراً وعلماً أنه أول من ألَّف في علم الأصول ، وكتب فيه رسالته المشهورة ، وصنَّف كثيرون في مناقبه.

وفاته :

توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة مائتين وأربع هجرية عن أربعة وخمسين عاماً ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى . رحمه الله رحمة واسعة .

آثاره العلمية :

وله من الآثار العلمية : كتاب الأم الشهير ، ومسند صغير في الحديث ، والرسالة في علم أصول الفقه ، وينسب له ديوان شعر .

وقد كان شاعراً مُجيداً ، غير أنه لا ينجزم بصحة كل ما في الديوان إليه .

ويمتاز مذهبه بالأخذ بالحديث والقياس في الغالب .

الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله)

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، وينتهي نسبه إلى معد بن عدنان الشيباني المروزي الأصل .

قال ابن خَلِّكَان : هذا هو الصحيح في نسبه ، ولد في ربيع الأول سنة مائة وأربع وستين هجرية في بغداد .

نشأته :

نشأ الإمام ببغداد وتربَّى بها تربيته الأولى ، حتى إذا أتمَّ حفظ القرآن وعلم اللغة اتجه إلى الديوان ليمر على التحرير والكتابة .

وبعد أن تلقى على القاضي أبي يوسف من شيئاً من فقه العراقيين ، اتجه الإمام إلى رجال الحديث ومسلكهم ، فقصد الحديث سنة مائة وتسع وسبعين ، واستمر ينهل من مناهل مُحَدِّثي بغداد ، ويكتب عن شيوخهم حتى سنة مائة وست وثمانين ، ثم رحل إلى البصرة ، وَفي العام الذي يليه رحل إلى الحجاز ، ثم توالت رحلاته بعد ذلك إلى الحجاز واليمن وغيرها في طلب الحديث ، واستمر أحمد في رحلاته لطلب العلم والحديث حتى بعد أن اكتملت رجولته .

ونضج علمه ، فلقد صار إماماً جليلاً في علم الفقه والحديث وعلوم العربية ، واطَّلع على آراء الفرق المختلفة كالخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة ، وبعد أن أَروى ظمأه من علم الحديث والتفسير والعربية والفقه جلس للتحديث والفتيا .

وقد اتفقت الأئمَّة على جلالته وإمامته ورسوخ علمه ، واتباعه للسنَّة الغرَّاء ، حتى كان يفعل ما كان النبي ﷺ يفعله ، ولا يفعل ما لم يفعله .

وابتلي بفتنة المأمون ، حيث دعاه إلى القول بخلق القرآن ، بإغراء قاضيه أحمد بن أبي دؤاد وإخوانه المعتزلة ، ثم مات المأمون وأنزل به المعتصم الأذى والضرب بالسياط ، والإمام يقابل ذلك بالصبر والاحتساب ويقول : بيني وبينكم كتاب الله ... وبقي في السجن سنتين وشهوراً حتى فرَّج الله عنه ، وخذل أعداءه .

كان الإمام أحمد من الحفَّاظ البارزين في ذلك العصر ، يقال : كان يحفظ ألف ألف حديث .

قال بعضهم في الثناء عليه :

حَوَى ألْفَ أَلْف من أَحاديث أُسْنِدَت وأَثْبَتَهَا حفْظاً بقَلْبٍ مُحَصّلِ

أَجَابَ علَى ستّينَ أَلْفَ قضيَّة بأَخْبَرَنا لا عن صَحائفَ نُقَّلِ

وهذه منقبة لا يعلم أن أحداً من الأئمة اتَّصف بها ، وقد سئل كثير منهم عن معشار عشر ذلك فأحجم عن جواب أكثرها .

ثناء العلماء عليه :

قال يحيى بن معين : أرادَ الناس منا أن نكون مثل أحمد ، لا والله ما نقَوى على ما يقْوى عليه أحمد ولا على طريقته .

قال الإمام الشافعي : خرجت من بغداد وما خَلَّفْتُ بها أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل .

قال بعضهم : تأيَّد الدِّينُ برَجُلَين : أبي بكر يوم الرِّدة ، وأحمد بن حنبل يوم المِحْنَة .

وقال بعضهم :

أَضْحَى ابْنُ حَنْبَلٍ حجَّةٌ مبرورة وَبِحُبِّ أَحْمَد يُعْرَفُ المُتَنَسِّكُ

وَإِذَا رَأَيْتَ لأحْمَدَ متنقِّصاً فَاعْلَمْ بِأَنَّ ستورَهُ ستهتكُ

أخذ العلم عن الإمام أحمد جماعة من العلماء الأفاضل منهم : محمد بن إسماعيل الباري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع والتقوى .

وفاته :

توفي ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب .

وقال ابن خلكان : وحزر منحضر جنازته من الرجال ، فكان ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا .

وقيل : أسلم يوم مات الإمام أحمد عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس ، رحمه الله رحمة واسعة .

آثاره العلميّة :

له من الآثار العلميَّة : المسند وهو أكبر كتاب في الحديث ، وله الرد على الجهميَّة، وكتاب الزهد وغير ذلك .

ويمتاز مذهبه بالأخذ بالحديث وبأقوال الصحابة أكثر من غيره .